

ⵜⴰⴷⵓⴷⴰ ⵜⴰⴳⵓⴷⴰⴽⵜ
ⵜⴰⴷⵓⴷⴰ ⵜⴰⴳⵓⴷⴰⴽⵜ
ⴰⴳⵓⴷⴰ ⴰⴳⵓⴷⴰⴽⵜ
ⴰⴳⵓⴷⴰ ⴰⴳⵓⴷⴰⴽⵜ



المملكة المغربية
وزارة الشباب
والثقافة والتواصل
قطاع الثقافة

Royaume du Maroc

Ministère de la jeunesse, de la Culture et de la Communication

Département de la Culture

أبجدات في الكتاب العربي المخصوص

إعداد وتنسيق وتحرير
عبد العزيز الساوري

1
الجزء الأول

أبحاث في الكتاب العربي المخطوط

إعداد وتنسيق وتحرير
عبد العزيز الساوري

الجزء الأول

عنوان الكتاب: أبحاث في الكتاب العربي المخطوط

التصنيف: دار الحديث الكتانية - طنجة بيروت

الناشر: وزارة الثقافة والشباب والرياضة (قطاع الثقافة) - الرباط المملكة المغربية

الطبع: مطبعة دار المناهل - الرباط

رقم الإيداع القانوني: 2021MO3516

الرقم الدولي المعياري للكتب (ردمك): 978-9920-692-26-7

الفهرس

5	تقديم
7	المحور الأول: بحوث في علم المخطوط
	مخطوط بين مُحَقِّقَيْن: حول مسألتَي السِّبْق والتَّخْصُّص
9	عباس أرحيلة
	المَخْطُوطَاتُ النَّاقِصَةُ أَنْوَاعُهَا وَطَرَائِقُ تَحْقِيقِهَا
23	عباس هاني الجراح
	صفحات من تاريخ المخطوطات المصحفية الملكية المملوكية: مصحف الملك
	المظفر الظاهر بيبرس الجاشنكير نموذجا: دراسة كوديكولوجية
55	كريم إفراق أحمد
	ملامح تقييدات الأحسائيين على المخطوطات
77	محمد علي الحرز
	مِهْنِيو الْوَرَاقَةِ خِلَالِ مَرَحَلَةِ الْإِنْتِقَالِ مِنَ النِّسْخِ الْيَدَوِيِّ إِلَى الطَّبْعِ الْآلِيِّ بِالْمَغْرِبِ
149	أحمد الصديقي
	المنهج العلمي في صياغة مقدمات تحقيق المخطوط العربي
185	شريف علي الأنصاري

التَّجْرِيد -أو عمل المؤلّف الوسيط - ودوره في حفظ نصوص التراث العربي المخطوط
محمد بولعياض 209

إطالة على علم التحقيق
خديجة كلامي 241

وقفية للمنصور الذهبي لكتاب الجامع الصحيح للترمذي على خزانة جامع القرويين:
محاولة لدراسة كوديكولوجية
إنعام بن يحيى 255

الوراقة في سوس: الخط والنساخت
مولود الحانفي 273

تقديم

لا شك أن ترسيخ الهوية الثقافية والحضارية للأمة يرتبط ببذل مزيد من الجهود في استكشاف رصيدنا من الأوعية المعرفية التي يزخر بها تراثنا المخطوط، وهو العبء الذي حملته وزارة الثقافة والشباب والرياضة (قطاع الثقافة) على عاتقها، ووضعتة ضمن أولوياتها، فاستطاعت الكشف عن آلاف النسخ من الكتب والوثائق النفيسة بفضل استحداثها جائزة الحسن الثاني للمخطوطات سنة 1969م، وتعتبر هذه الجائزة آلية فريدة من نوعها أثبت فعاليتها في تحفيز أرباب الخزائن الخاصة على إبراز ما بحوزتهم من ذخائر ونوادير.

وموازة مع إصدار دليل مخطوطات جائزة الحسن الثاني دأبت الوزارة في السنوات الأخيرة على إصدار كتاب تذكاري بعنوان: «أبحاث في الكتاب العربي المخطوط»، يضم بين دفتيه بحوثا قيمة في التعريف بالكتاب المخطوط سواء من الناحية الفيلولوجية، أو الكوديكولوجية؛ مما حقق إضافة نوعية عززت من قيمة الجائزة وأكدت تفردا وتميزها.

وإذ نحتفل بالذكرى الخامسة لإصدار كتاب: «أبحاث في الكتاب العربي المخطوط»؛ فإننا نرف إلى عموم القراء والمهتمين نسخة جديدة من الكتاب التذكاري المذكور، يحتوي على 1689 صحيفة، في ستة أجزاء ضخام، شارك في إعدادة ثلة كريمة من الباحثين من داخل المغرب وخارجه بمقالات وبحوث علمية رصينة - لم تنشر من قبل - تتناول في مجملها تحليل ووصف ونقد وتحقيق جوانب مهمة من تراثنا العربي المخطوط. وذلك من خلال المحاور التالية:

- علم المخطوط.

- خزائن ومكتبات.

- من نوادر المخطوطات.

- قراءات في كتب مخطوطة.

- رحلات وتجارب مع المخطوط.

- أعلام ومعالم.

- نصوص محققة.

وتحت هذه المحاور نجد جملة من البحوث القيمة التي تعرف بعيون الكتب المخطوطة، وترصد مختلف وجوه العناية بها وراقعة، ونسخا، وخطا، وزخرفة، وتسفيرا، وأملنا أن تتحقق بهذا الكتاب التذكاري الفائدة المرجوة، وأن ينجح في إثارة عزائم المتخصصين الغيورين على التراث لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من نفائس أعلاق تراثنا التليد.

ولا يفوتني توجيه الشكر لجميع من أسهم فيه من السادة الأساتذة الباحثين من داخل المغرب وخارجه، والشكر موصول لجنود الخفاء بمديرية الكتاب والخزانات والمحفوظات ومطبعة دار المناهل بالوزارة التي حرصت على إخراج هذا العمل العلمي الوازن بهذه الحلة القشبية، والله ولي التوفيق.

وكتب عبد العزيز الساوري

المحور الأول

بحوث في علم المخطوط

مخطوطٌ بين مُحَقِّقَيْنِ:

حول مسألتَي السِّبْق والتَّخْصُّصِ

عباس ارحيلة

أستاذ بكلية الآداب (سابقاً)

جامعة القاضي عياض - مراكش

تمهيد

سيكون موضوع هذا المبحث ذلك التعليق الذي كتبه د. محمد فؤاد أشرف طلعت في شكل (تنبيه) و(ملاحظات)، ضمن تحقيقه لكتاب: قراءة الكسائي؛ الذي سبق إلى تحقيقه د. حاتم صالح الضامن، رحمه الله تعالى (ت2013م)؛ إذ ظهر تحقيقه للكتاب سنة 2005، ولم يظهر تحقيق د. أشرف محمد فؤاد طلعت إلا بعد سنتين؛ أي سنة 2007م.

وإذا كان د. حاتم الضامن أشهر من نار على علم؛ فقد ولد ببغداد سنة 1938م، وتولى كثيراً من المهام، من جملة ما أنه عمل عضواً في لجنة إحياء وتحقيق التراث الإسلامي، وعندما انتقل إلى الإمارات اشتغل أستاذاً للدراسات العليا بكلية الدراسات الإسلامية، واستقر في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي خبيراً بالمخطوطات. وقد قال من أحصى كتبه أنها قاربت الثمانين، وبحوثه في المجالات أربت على المائة. ومنهج في تحقيق كتب التراث سطره في كراس أسماه: (المنهج الأمثل في تحقيق المخطوطات). ومؤلفات د. حاتم الضامن وتحقيقاته قاربت المائة والستين بين كتاب ورسالة.

أما د. أشرف محمد فؤاد طلعت فلا تعرفه إلا قلة قليلة ممن لهم اهتمام خاص بالقراءات، وهو من مواليد حي شبرا بالقاهرة سنة 1960م. تخرج من كلية الطب عين

شمس سنة 1984م، وأثناء مزاولته لمهنة الطب (تخصّص جلد)؛ ترقّى في حفظ القرآن برواية حفص عن عاصم من الشاطبية؛ إلى أن بلغ درجة الإتقان للقراءات العشر. وفي سنة 1990م ترك عالم الطب؛ ليتفرّغ لخدمة القرآن الكريم ما تبقّى من حياته. ولهذه الغاية، استقر بمدينة جدة للعمل ضمن لجنة تحقيق ونشر العلوم القرآنية للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن⁽¹⁾.

ومن مدينة جدة انتقل أستاذاً محاضراً بمعهد جلالة السلطان الحاج حسن البلقية لتحفيظ القرآن، الكريم - بروناي دار السلام. وهناك تفرّغ لاستكمال مشروعه العلمي في خدمة القرآن الكريم تدريساً وتأليفاً، نظماً وتحقيقاً، إبداعاً وجمالياً، وبرّز في مجالات من العناية بالقرآن لم يُسبق إليها، وأصبحت أعماله دالة عليها. فجهوده في تيسير (علم القراءات)، ونشرها، وتقريبها بشتى المهارات الفكرية، والوسائل التقنية الجمالية من طلاب حفظ كتاب الله تعالى ودراسة؛ تشهد له بعمق التخصص وشموخه في مجال (علم القراءات).

إن الطريقة التي نهجها في تقريب أمور القراءات من أذهان مرّيدي حفظ كتاب الله تعالى، وما بذله من دقة في تبليغها، ومهارة في صياغتها، وإتقان في بيانها وتوضيحها؛ واستيعاب لما تدعو الحاجة إليه فيها: لمّا يجعل من أشرف طلعت أحد نوابغ هذه الأمة في (علم القراءات)، أولاً، وأحد العلامات في تاريخ هذا العلم بالكيفية التي رسمها لخدمة للقرآن، ثانياً، وأحد المجاهدين الذين استماتوا في خدمة القرن الكريم بصورة لا تُضاهى في كيفية تعليم الأجيال وتكوينها، ثالثاً.

وأذكر له نموذجين من آثاره العلمية:

غاية الاختصار في قراءة العشرة أئمة الأمصار لأبي العلاء الهمداني (569هـ)،

دراسة وتحقيق - ط1 [دار الصحابة للتراث، طنطا، 1427هـ / 2006م].

(1) إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري: إلياس بن أحمد حسين بن سليمان البرماوي: (ترجمة مقتضبة جداً): 58/2 - 61.

سفير العالمين في إيضاح وتحرير وتحبير سميع الصالحين في رسم وضبط الكتاب
المبين: جمع وتأليف وتعليق: خادم الكتاب والسنة د. أشرف محمد فؤاد طلعت،
تقديم د. أحمد عيسى المعصراني: شيخ عموم المقارئ المصرية - ط1 [مكتبة الإمام
البخاري، الإسماعلية، 2008م] في مجلدين. ط1: 2003م - ط2: 2006م.
الكتاب المحقق:

هو كتاب في قراءة الإمام الكسائي (أبي الحسن علي بن حمزة إمام النحاة
الكوفيّين، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة، توفي سنة 189 هـ)؛ ثالث قراء
الكوفة، وأحد القراء السبعة، برواية أبي عمر الدُّوريّ (حفص بن عمرو 246 هـ)، عن
طريق ابن مِقْسَم (محمد بن الحسن البغداديّ 354 هـ).
المحققان:

(أ) ظهر الكتاب محققاً أول مرة بعناية د. حاتم الضامن، بعنوان: قراءة الكسائي
رواية أبي عمر الدُّوريّ عن طريق ابن مِقْسَم، تأليف: رضيّ الدّين أبي عبد الله محمد بن
أبي نصر الكرمانيّ، المتوفى بعد سنة 563 هـ)، عن دار نينوى للدراسات والنشر
والتوزيع، سوريا، دمشق، ط1، 1426 هـ / 2005م، ويقع في (172) صفحة. وهو
الكتاب الثالث في سلسلة القراءات التي أخرجها د. حاتم الضامن حسب ما ورد في
مقدمته. وكان معتمده في التحقيق، نسخة من مجموع تحتفظ به مكتبة كوبريلي زادة في
استانبول، تحت رقم: 1631.

(ب) ثم حَقَّقَه د. أشرف طلعت بعنوان: (مفردة الكسائي كتاب فيه مجردُ قراءة
أبي الحسن علي بن حمزة النحويّ الكوفيّ المعروف بالكسائي رواية أبي عمر الدُّوريّ
من طريق ابن مِقْسَم رحمهم الله: تأليف الشيخ الإمام الأجل الزاهد رضيّ الدين، شمس
القراء أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرمانيّ، من علماء القرن الهجريّ السادس) -
ط1 (المطبعة الوطنية بسلطنة بُرْناي دار السلام، سنة 1428 هـ / 2007م).

وليس من غايتي هنا أن أقارن بين التحقيقين، وإنما أريد أن أقف مع القارئ على نموذج لما يمكن أن يحدث بين محققين حول كتاب مخطوط واحد؛ مما يستدعي خاصة ضرورة نوعية من التخصص في مجال القراءات، وإن كان كل منهما له تجربة وباع طويل في ذلك.

وأريد هنا أن أوقف القارئ على التنبيه الذي أنهى به د. أشرف طلعت مقدمة تحقيقه، وعلى الرسالة التي بعث بها إلى د. حاتم الضامن والتي ضمنها ملاحظاته على نشرة د. حاتم الضامن، وأثبتها د. أشرف في نهاية تحقيقه.

ومما يُثير الانتباه أن د. أشرف لم يشر إلى تحقيق د. حاتم الضامن لا في مقدّمته، ولا في هوامشه، كما أنه لم يشر إلى تحقيقه لا ضمن المخطوطات، ولا ضمن فهرس المصادر والمراجع: المخطوطة والمطبوعة! ولعل السبب يرجع إلى ما سنستشفه من خلال قراءتنا لما ورد في (التنبيه) و(الملاحظات)!

أولاً: قضية السبق إلى تحقيق الكتاب

السبق مطلب علمي في كل مجال من مجالات البحث العلمي، وهو أساس التطور، ومناط التجديد والإبداع، به تتحقق التراكمات والإضافات، ومن خلاله تتنافس المواهب في مسار المعارف والعلوم.

أول ما يطالب به أي باحث، في أي مجال من مجالات المعرفة، أن يأتي بشيء جديد لم يُسبق إليه؛ أن يكون عمله إضافة في مجاله. والإضافة الحقيقية في كل بحث علمي أن يأتي صاحبه بشيء جديد. وما كان للمعارف أن تتطور، ولا أن يحصل تراكم في مجالات المعرفة؛ ما لم تنشأ القرائح البشرية للإبداع.

وترى العلماء يطمحون في كل ما يأتون به، أن يُشهد لهم بتقديم كل ما هو جديد. وفي مقدمات الكتب في حضارة الإسلام، نجد هاجس الإبداع يؤرّق كل مؤلف، فكل

واحد يطمح أن يأتي بما لم يأت به السابقون، وأن ينظر إلى عمله بإعجاب، ويُخامره شعور بأنه أتى ما لم يخطر على أحد قبله⁽¹⁾.

وماذا يمكن أن نقول عن مجالات التحقيق؟ قد يكون من حقَّ المحقِّق أن يقول إنه كان له فضل السبق في إخراج كتاب ما. وقد تكون له مكانة ممن اشتهروا بالتحقيق، وشهد لهم الناس بالتفوق فيه. ولكن هل يصبح تحقيقه حَكراً عليه ولا يمكن لغيره أن يُحقِّقه! لم يقل بهذا أحد من أهل التحقيق؛ إذ الزَّمن كشاف! فقد يظهر للعيان ما لم يكن في الحسبان. وسيشهد التاريخ للدكتور حاتم الضامن أنه كان له فضل السبق في كثير من أعماله العلميَّة. وهذا يدل على تعلقه بكل ما هو جديد في ميدان المعرفة، مع مواكبة دائبة لحركة التحقيق في العالم العربي، وإحساس متجدد بضرورة الاجتهاد والإتيان بكل ما هو جديد، ولا شك أن ظروفه أسعفته في التقرب من عالم المخطوطات في بغداد ودبي.

وجهود د. حاتم الضامن، رحمه الله تعالى، كثيرة جداً، ومتنوعة جداً، وهو صاحب منهج في تحقيق المخطوطات، كما تمت الإشارة، وأشرف على كثير من الرسائل الجامعيَّة في مجالات اللغة والقراءات...

وأريد أن أفق عند نموذج واحد لم ينل به د. حاتم الضامن ما يستحقه من فضيلة السَّبق، وكان السَّبق فيه وبالا على كتاب في القراءات، وكشفاً لحقيقة بعض الجهود التي أضرت بكتب التجويد والقراءات أثناء تحقيقها!! والسبب في ذلك ضرورة التخصص في مثل هذه العلوم والمعارف. وإذا كانت مجالات تحقيق المخطوطات تتسع اتساع مجالات التراث الإسلامي، وتشعب موضوعاته؛ فإن مما يستدعي اشتراط التخصص في التحقيق مجال القراءات القرآنيَّة.

(1) ينظر كتابي: مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع.

ثانيا: قراءة في تنبيه د. أشرف طلعت (ص 102)

(أ) التنويه بالدكتور حاتم الضامن وطلابه:

نجد د. أشرف يُنَوِّه بالدكتور الضامن، ويعتبره «أحد أعلام العصر علماً وخلقاً»، كما يعتبر تحقيقه لهذا الكتاب مكماً لتحقيقه المشار إليه أعلاه. ويدعو له وطلابه بالتوفيق في «إخراج المزيد من كتب التجويد والقراءات لحمايتها من الطفيليين».

(ب) التجويد والقراءات من أدق العلوم:

ولاحظ د. أشرف أن هناك حقيقة غابت عن أذهان الكثيرين؛ وهي أن كتب «هذين العُلَمَين الشَّرِيفين من أدقِّ العلوم، وكتبهما ومصطلحاتهما من أعقد الكتب والمصطلحات، حتى على المختصِّين، خلافاً لما يظنه الكثيرون!».

(ج) وماذا يحدث إذا وقع الجهل بهذه الحقيقة:

تعرَّض هذان العُلَمَان لَنَزَق «الطُّفِيلِيَّين»، ولم يجدا حماية لهما من هؤلاء؛ ف«أصبح هذان العُلَمَان مطيَّةً لكل من لا مطيَّة له».

(د) ومن أسباب امتطاء هذين العلمين، لكل من هب ودبَّ، أن المكتبة الإسلامية افتقدت من يقوم بهذين العلمين، وظلت «في انتظار يدٍ حكيمة متخصصة، ماهرة مخلصه، لتخرج بها إلى الحياة، فإذا بالأيدي الجاهلة الشلاء العابثة تمتدُّ إليها لتغتالها، أو لتُخرجها مشوَّهة ممسوخة».

(هـ) وكانت النتيجة: أن تكاثر الطفيلِيُّون، وأصبح هذان العلمان مطيَّة لكل من لا مطيَّة له، وتم اغتيال ثقافة شريفة في حضارة أمة، وهكذا خيم الجهل وامتدَّت أيدي العابثين من أدعياء التحقيق إلى كتب التجويد والقراءات؛ ف«تدفَّق شلال من الأعمال الهزيلة، التي تُبكي العيون، وتُدمي القلوب (...).

ومن وراء هؤلاء عددٌ من دور النشر لا يرى أصحابها إلا الكسب الرخيص، ولو على رفات الكتب وأشلاء مصنفاتها (...). يعرف ذلك كل مخلص منصف مكلوم الفؤاد على ما أصاب علوم الشريعة على يد هؤلاء، فإلى الله نشكو، وإيَّاه نستودع علوم دينه. وللبيت رب يحميه».

في هذا (التنبية) الموجَّه لأهل النَّباهة من هذه الأمة، يُعرب د. أشرف طلعت عن ألمه وحسرتة على ما لحق كتب التجويد والقراءات من ضيم وعبث واغتيال، وأحس أن المكتبة الإسلامية تئنُّ مما لحقها من التَّشويه والمسح على أيدي هؤلاء الطفيليين.

السؤال: من هم هؤلاء الذين اتخذوا كتب التجويد والقراءات مطيَّة من لا مطيَّة له؟ من هم هؤلاء الطفيليُّون الذين تدفَّقت على أيديهم شلَّالات من الأعمال الهزيلة؟ ومن هؤلاء الذين لا حكمة فيهم، ولا تخصُّص لديهم، وليس الإخلاص من شيمهم، ولا المهارة في انفعالهم بالعلم من مواهبهم؟

لنقرأ (رسالة) د. أشرف طلعت التي بعث بها إلى د. حاتم الضامن، والتي أثبتَّها في نهاية تحقيقه للكتاب؛ لعلها تحمل لنا بعض الجواب، إن لم تكن تحمل الجواب كله!!

ثالثاً: مع (رسالة) د. أشرف طلعت إلى د. حاتم الضامن

(تقع الرسالة بين ص 307 و368).

أخبرنا د. أشرف في بداية رسالته هذه، أنه كان بصدد تحقيق كتاب: مفردة الكسائي، حين وردت عليه نسخٌ [هكذا بالجمع] محققة مهداة إليه من د. حاتم الضامن، فتوقَّف عن العمل بعد أن قارب إنهاء تحقيقه بقليل.

وتحدَّث د. أشرف عن معاناته في تحقيق هذا الكتاب الذي أخذ منه وقتاً طويلاً؛ وذلك «بسبب وجود كثير من المواضع المشككة فيه؛ سواء كان ذلك من المصنَّف، أو بسبب ضعف الناسخ، رحمهما الله».

وقال: «وقد استطعتُ بفضل الله تعالى ردَّ جميع هذه المواضع المشكّلة - على كثرتها - إلى الصواب إلا في موضعين اثنين لم أهدِ إلى المقصود منهما».

وهنا تنكشف الحقيقة المريرة الصادمة للفكر والوجدان، الساخرة بشيء يقال له «التحقيق»، ويصدر من أناس كانوا يُدرّسون التحقيق في الجامعة، ويُعدّون من أهل التحقيق منذ مطالع سبعينيات القرن العشرين. وما تلك الحقيقة؟

يقول د. أشرف، مخاطباً د. الضامن بتواضع جمّ: «وعندما طالعت النسخة التي تفضّلتم بتحقيقها - وأستميحكم عذراً - وجدت جميع هذه المواضيع ما تزال على خطئها الموجود في الأصل، والذي يؤدي إلى تغيير مذهب الكسائي في القراءة، بل ومذاهب غيره من القراء، مما جعلني أقرأ نسختكم بتمهل، كلمة كلمة، وأقارنها بالأصل - وبغيره من المصادر - فظهرت ملاحظات أخرى كثيرة، منها ما هو مؤثّر جداً ومنها ما هو دون ذلك» [ص307].

ما معنى قولك يا دكتور أشرف أنك وجدت جميع المواضع المُشكّلة في النص ما تزال على خطئها الموجود في الأصل؟؟؟! هل اكتفى د. حاتم الضامن بنسخ المخطوط وإخراجه من الكتابة باليد إلى الكتابة بالآلة الميكانيكية الحديثة؟

أَيكون هو ممن اتخذوا هذا العلم مطيّة؟ وهل هو يجهل مذهب الكسائي حتى يقع في تغييره، وتغيير مذاهب القراء؟ وكيف سوّلت له نفسه أن يُحقّق ما لا يتحقّق من حقيقته؟ كيف يكون هذا من رجل يعتبره طلبته من أكابر المحقّقين وشيوخ المصنّفين؟ كيف وأنت تعتبره «من أعلام العصر علماً وخلقاً»؟ كيف وأنت تقول له داعياً: «أن يُمتّع الله العالم الإسلاميّ بوجودكم وعلومكم»؟

وقبل أن يشرع د. أشرف في عرض ملاحظاته، اعتذّر للدكتور حاتم الضامن بشيء الأساليب: فقال:

- إنه قدّم له هذه الملاحظات ليستدرّكها «في الطبقات القادمة إن تيسر ذلك»!
- وأنه وجده يدعو القراء إلى إبداء ملاحظاتهم على الأعمال السابقة؛ «ليستفيد من ذلك الجميع!».
- ودعا أن يتجاوز عن هفواته أثناء استعراضه للملاحظات فقال: «وأن تسامحني على أي جملة أو كلمة سبق قلّمي فكتبها وفي ظاهرها سوء أدب، أو تجاوز للحدّ، أو تفاخر، أو تعالم، أو غير ذلك من الهفوات» [ص308].

رابعاً: مجموعة ملاحظات

- بلغ عدد الملاحظات ستّاً وتسعين ومائتين.
- ذكر د. أشرف إحدى عشرة ملاحظة على الدراسة، استوقفتني منها اثنتان:
- الأولى: يقول د. أشرف طلعت: «أرجو التفضل بقراءة الدراسة عن المؤلف وعن الكتاب في الطبعة (أ) ففيها أشياء مهمة».
- وفي هذا تلميح إلى أن ما جاء به د. الضامن عن المؤلف والمؤلف في مقدمة تحقيقه لا يحمل أهمية تذكره، فهو يستدعيه أن يرجع إلى مقدمة تحقيق أشرف ليستفيد منها.
- الثانية: جاء عند الضامن: والحرص على ذكر كل ما تفرّد به الكسائي.
- والمطلوب: المصنف نص على بعض المواضع التي تفرّد بها الكسائي، وما ترك النص عليه أكثر مما ذكره.

- وهذه الملاحظة تخفي حقائق كثيرة، أهمها الفرق بين «كل» و«بعض».
- ويصعب استعراض الملاحظات الجزئية، لكثرتها وتنوعها، ففيها من الشواهد على فساد التحقيق، ما ينبغي أن يُعرض على الطلبة الذين يريدون التخصص في مجال التحقيق.

وسأكتفي بالملاحظات العامة التي وضعها د. أشرف على طبعة د. حاتم الضامن. وسأوردها هنا كما وضعها د. أشرف، حتى لا يُقال إنني أتزيّد على أحدهما. ولقد أوجز د. أشرف تلك الملاحظات العامة في ست ملاحظات. يقول د. أشرف:

الأولى: «التدخل في النصّ بالزيادة، أو النقص، أو تغيير ما في الأصل، دون إشارة إلى ذلك في الغالب، وهو كثير جدّاً، بصورة تَلَفَت النظر، وقد لاحظت ذلك - أيضاً - في بعض كتب التجويد والقراءات التي صدرت بتحقيقكم، وهو أمر مؤرّق لمن يتتبعون نصوص الأئمة للاستدلال بها في تحقيق وتحريّر المسائل».

[أمثلة على زيادة ما ليس في الأصل، وقد وضعت الزيادة التي نبّه عليها د. أشرف بين هلالين: قرأت (به) على الشيخ.

نماذج من تغيير ما في الأصل: ضياء الأمة تصبح عند د. الضامن ضياء الأئمة! - الدايلي تصبح الدؤلي! نحو أيّاً تصبح نحو يا - و(ليّا) تصبح (وليا) - (قد تبين) تصبح، (قد تبين) - (يخسف) تصبح (نخسف) -

الجهل بقراءة الكسائي: (ويعذّب من يشاء، تصبح (ويعذّب) والكسائي يقرأ بجزم الباء - (فيغفر لمن يشاء) تصبح (يغفر بمن يشاء): يقرأ الكسائي بجزم الراء - واللام عند الذال من: (يفعل ذلك)، تصبح: واللام عند الذال: (ومن يفعل ذلك) - (من ما) أصبحت (مما) -

غياب التعليق: (حبذا لو يُوضح معنى قول المصنف: «وأخواتها»)، ص 314. **الملاحظة الثانية:** كثير من الآيات المكتوبة في الكتاب قد أخذت من صورة المصحف المطبوع على رواية حفص، وكان لذلك سلبية كثيرة جداً في المواضع التي خالف فيها الكسائي حفصاً كما قدمتُ.

أما الآيات التي كُتبت على الكمبيوتر ولم تؤخذ من المصحف فأكثرها مخالف للرسم، ومصطلحات الضبط فيها ليست - في عدد من المواضع - كمصطلحات ضبط

المصحف، وذلك قد يكون بسبب عدم معرفة الموظف الذي قام بالكتابة بمصطلحات الضبط، أو بسبب ضعف إمكانات الكمبيوتر في ذلك.

الملاحظة الثالثة: سقط من المصنف، أو من الناسخ، أو من كليهما، عددٌ غير قليل من حروف الخلاف، ولم تُستدرَك في المطبوع [ص 365 - 366].

[وأتى د. أشرف بهذه الخلافات، وعددها 13، وتقدم بالرجاء للدكتور الضامن أن يُراجع تلك الاستدراكات في طبعته هذا؛ مُحدِّداً له أرقام الفقرات، وعددها 13].

الملاحظة الرابعة: «تحتاج كتب القراءات كثيراً إلى التنبيه (في كل سورة) على حكم ما سبق ذكره من حروفها مجموعاً إلى نظيره في موضع متقدم، فهذا يُساعد القارئ كثيراً على سرعة معرفة حكم أي كلمة لأي أي سورة بمعرفة موضعها الذي ذكرت فيه في الكتاب، وهذا أيضاً يُساعد محقق الكتاب على اكتشاف الحروف التي لم يذكرها المصنف...». [ص 366].

[وشهد له د. أشرف باستدراك موضع واحد دون بقية المواضع!].
«يضاف إلى ما تقدم: المواضع التي أحال المصنف فيها على موضع متقدم بقوله، مثلاً: «وقد سبق ذكر كذا...»، أو: «وقد مضى كذا...»، ولم يُحدِّد للقارئ أين ذكر ذلك [ص 367].

[أشار د. أشرف إلى هذه المواضع من خلال أرقام صفحات د. حاتم الضامن، وما يُقابلها في تحقيق د. أشرف طلعت؛ وكأنه يكشف له الطريقة التي ينبغي أن تكون عليه في فقرات د. أشرف!].

الملاحظ الخامسة: «عرض المصنف كثيراً من أحرف الخلاف على غير ترتيب ورودها في سورها، ولم يُعدَّل ذلك أو يُنبَّه عليه، وهذا قد يؤدي بالقارئ أن يحكم بسقوط حرف من الحروف من الكتاب لفقده إياه في مظنة وجوده، بينما ذلك الحرف موجود فعلاً، مقدماً أو مؤخراً عن موضعه».

«ولقد سقط المصنف نفسه في هذا الأمر ففاته ذكر بعض الحروف لعدم وجودها

في ترتيبها الصحيح في كتاب الغاية لابن مهران الذي اعتمد عليه اعتماداً كبيراً في التصنيف، والله أعلم» [ص367].

[وأنى د. أشرف طلعت بـ 38 موضعاً ذكرها المصنف في غير ترتيبها الصحيح، وقام د. أشرف بتصحيحها في مواضعها بصورة علمية تدل على شموخه في تخصصه، واستحقاقه أن يُلقَّب نفسه بخادم القرآن الشريف].

الملاحظة السادسة: «ورد في الكتاب عدد من العبارات والمسائل المشكّلة، والمذاهب المرجوحة، وقد كانت في حاجة إلى تعليق من فضيلتكم عليها» [ص368].
[وذكر له 21 موضعاً، كانت تحتاج إلى تعليق!].

وقال: «وهناك ملاحظات أخرى لا تخفى على فطنتكم» [ص368].

خامساً: خلاصات واستنتاجات

1- من خلال الملاحظات الجزئية (عددتها 192)، والملاحظات العامة؛ وهي الهادمة لمقولة التحقيق، وجعله جريمة لا تُغتفر، وإهانة لما يُطلق عليه مصطلح تحقيق! ومن خلال الملاحظات التي لا تخفى على الفطنة، من خلال كل ذلك نفهم لماذا لم يُشر د. أشرف إلى تحقيق د. الضامن لا في مقدمته، ولا في هوامشه، كما أنه لم يشر إلى تحقيقه لا ضمن المخطوطات، ولا ضمن فهارس المصادر والمراجع: المخطوطة والمطبوعة! وكأنه لا يعتبر ما قدمه د. حاتم الضامن تحقيقاً!

واضح ممّا سبق أن د. أشرف ينفي عن عمل الضامن هذا صفة التحقيق، وتراه يعتبر عمله نسخاً لكتاب مخطوط قديم، قبل ظهور الطباعة! وكأنه من أولئك النُّسّاخ الذين يتاجرون بنسخ المخطوطات دون، أن يتحرّوا الأمانة فيما ينسخون!

2 - وماذا يعني هذا القول:

«التدخل في النَّصِّ بالزيادة، أو النقص، أو تغيير ما في الأصل، دون إشارة إلى ذلك في الغالب، وهو كثير جدّاً، بصورة تلفت النظر، وقد لاحظت ذلك - أيضاً - في بعض كتب التجويد والقراءات التي صدرت بتحقيقكم»؟

بأي شيء نسمي التدخل في النصّ بالزيادة والنقص وتغيير الأصل، بصورة تلفت النظر. وفي أي نوع من الكتب؟ في كتب التجويد والقراءات! وكيف يكون هذا ود. حاتم الضامن يقول في مقدمة تحقيقه للكتاب:

«ولا بد لنا أن نشير هنا إلى ضرورة العناية بهذه الكتب؛ لأنها جزء أصيل من تراثنا القرآنيّ، هذا التراث الذي كان، وما يزال هدفاً لأعداء الإسلام، الذين يحاولون طمس هويّتنا، وما هذه الهجمة الشرسة، التي تشنّها علينا قوى الكفر اليهوديّة والصليبيّة إلا دليل على صدق ما أقول»؟

لا شك أن د. أشرف طلعت من خلال ما ساق من تنبيهات وملاحظات، يرى أن ما أحدثه د. حاتم الضامن بتحقيقه هذا هو من الأعمال التي تشكل خطراً على التراث، وتكون سبباً في طمس الهوية!

3 - كيف يتم تحقيق كتاب في قراءة الكسائيّ، ومحققه يجهل عن تلك القراءة كل شيء؟ كيف يسمح هذا المحقق لنفسه بتصوير الآيات من المصحف المطبوع على رواية حفص، وهو بصدد تحقيق كتاب في قراءة الكسائيّ؟ أكان هذا المحقق يجهل أن حفصاً يخالف الكسائيّ في مواضع شتى؟!

4 - كيف تعتمد كتابة الآيات كما رُسمت على الكمبيوتر، وأكثرها مخالف للرسم القرآنيّ؟ وهل مصطلحات الضبط في الكمبيوتر هي مصطلحات ضبط المصحف؟ وهل قام واحد منا بتطوير الكمبيوتر ليستجيب لمصطلحات ضبط النص، كما تقرر لدى علماء هذا الشأن؟

5 - لاحظ د. أشرف أن المحقق لم يستطع أن يستدرك على المصنف أو الناسخ شيئاً! ولم يستطع أن يعيد ترتيب شيء، أو يكتب تعليقا ينم عن شيء ممّا يُذكر عادة عن ثقافة المحقق، وعن منهج التحقيق!

6 - في الملاحظات الجزئية: حين يتأثر د. أشرف، ويواجه ما يعتبره أقرب إلى (الكوارث) في مجال التحقيق؛ نجده يكتفي في التعليق بقوله:

«ولقد تأثرتُ جداً بسبب هذا الموضوع، يعفو الله عنا وعنكم». [في الصفحات الآتية: 314 - 315] قالها مرتين في هذه الصفحة].

وأوجز د. طلعت ما يراه محتاجاً إلى المراجع فيما يلي:

أولاً: أرجو التفضل بمراجعة الفقرة، في الصفحات الآتية: 314 - 316 - 319 - 320 - 322 - 323 - 326 - 326 - 329 - 330 - 330 - 331 - 332 - 333 - 341 - 341 - 348 - 351 - 352 - 353 - 353 - 357 - 358 - 363.

ثانياً: ولقد تأثرتُ جداً سيدي بسبب هذا الموضوع، يعفو الله عنا وعنكم، في الصفحات: 314 - 315 - 315 - 318 - 326 - 329 - 329 - 330 - 330 - 331 - 332 - 334 - 335 [قال هنا: ولقد تأثرتُ جداً جداً بسبب هذا الوضع...]. 344 [قال هنا: ولقد تأثرتُ جداً جداً سيدي بسبب هذا الوضع...]. 355 - 356 [ولقد تأثرتُ جداً جداً...]. 359 - 359 [ولقد تأثرتُ جداً جداً...]. 361.

ثالثاً: حبذا لو... رابعاً: المطلوب... وصوابها...

في نهاية ما ذكره د. أشرف طلعت؛ تذكرت ما قاله ابن جني في انتقاده لكتاب: **الجمهرة** لابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن (321هـ)؛ مما أورده في باب في سقطات العلماء ضمن كتابه: **الخصائص**، قال:

«وأما كتاب **الجمهرة** ففيه من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما أعذر واضعه فيه؛ لبعده عن معرفة الأمر. ولما كتبته وقَّعتُ في متونه وحواشيه جميعاً من التنبيه على هذه المواضع ما استحسنت من كثرته. ثم إنه لما طال عليَّ أوْ مأت إلى بعضه، وأضربتُ البتة عن بعضه»⁽¹⁾.

* * * *

(1) **الخصائص**: ابن جني، أبو الفتح عثمان (392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، ط 1: 288/3.

المخطوطات الناقصة أنواعها وطرائق تحقيقها

عباس هاني الجراح

رئيس تحرير مجلة (المحقق) المحكمة - العراق

تمثل المخطوطات الإرث الإسلامي الخالد الذي يؤكد أصالة الأمة ورقيها وعمقها الثقافي - التي يُقدَّرُها الخبراء بنحو أربع ملايين مخطوطة موزعة على مكتبات العالم - وأنَّ بعث هذه الكنوز وإحيائها عن طريق تحقيقها ونشرها رسالةٌ وواجبٌ على أبنائها.

والمخطوطات - بصورة عامة - ليست على درجة واحدة من الكمال والدقة، فهي تتفاوت من الناحية العلمية في قيمتها وجودة نسخها وقربها من عصر المؤلف، وسلامتها من عوادي الزمن، لذا كانت هناك ضوابط عامة لترتيب النسخ من حيث الأهمية والقيمة، وهي⁽¹⁾:

1. نسخة المؤلف، وهي التي كتبها بخط يده.
2. تليها النسخ التي عليها إجازته، كأن تكون مقروءة عليه، أو قرأها المؤلف بنفسه، أو أملاها.
3. ثم نسخ تلاميذه.
4. ثم النسخ التي نقلت عن نسخة المؤلف، أو عُرِضت بها، وقُوبِلت عليها.

(1) ينظر: قواعد تحقيق المخطوطات 10، أصول تحقيق التراث 121، تحقيق التراث العربي منهجاً وتطوراً 16، في مناهج البحث وتحقيق النصوص 213 - 214.

5. ثم النسخ التي كتبها - في عصر المؤلف - علماء مشهورون بالضبط، أو تداولها - في عصره - أكثر من عالم، وعليها سماعتهم.
6. ثم النسخ التي كُتبت في عصر المؤلف، وليس عليها سماعات.
7. ثم النسخ التي كُتبت بعد عصر المؤلف وليس عليها سماعات.
8. النسخة الناقصة.

هذه هي درجاتُ النسخ من الأعلى إلى الأسفل، مع ملاحظة أن كمالَ النسخة ووضوح الخط لهما أثرٌ كبيرٌ في تفضيل نسخة على أخرى أيضاً، كما أنه ليس لقدم النسخة أهمية، إذا كانت ناقصة والمتأخرة صحيحة منسوخة عن أخرى قديمة.

ومعاناة المحقق في جمع الأصول الخطية وتصنيفها واختيار أصحّها تكون نتيجتها الطبيعية بتحقيقها بصورة علمية بتقديم نصٍّ صحيح أقرب ما يكون إلى الصورة التي ارتضاها المؤلف، وإن اختلفت مناهج التحقيق.

وإذا كان الباحثون قد كتبوا في المخطوطات وأنواعها إلا أنهم لم يبحثوا في قضية المخطوطات الناقصة، وكنت منذ أكثر من عقد قد نبّهت إلى هذا الأمر الخطير في مثالٍ واحدٍ، ففي مكتبة المتحف العراقيّ تقبع نسختان من كتاب «فصول التماثيل في تباشير السرور» لعبد الله بن المعتز (ت 296هـ)، الأولى مؤرخة سنة 645هـ، وفيها نقصٌ في وسطها، والثانية ناقصة ومتأخرة منسوخة سنة 1268هـ، وعندهما - مع النسخة المطبوعة بالقاهرة - صدرَ الكتاب بتحقيق مكّي السيد جاسم وابنه محمد، وقد بينتُ أن هذا العمل غير علمي ولا منهجي، لأن المخطوطتين ناقستان نقصاً مخلاً، وأن المحققين نشرًا نصًّا مشوّهاً مختصراً، وقد فاتهما الرجوع إلى إحدى عشرة نسخة خطية موجودة في مكتبات العالم، ستُّ منها في القاهرة⁽¹⁾.

(1) في نقد التحقيق 28.

ولخطورة هذه القضية، وكونها في ازدياد لظهور عددٍ مَمَّنْ لا يعرف التحقيق غماره من دون بذل الجهد في الأمر، رأيتُ أن أتوسَّع في هذا البحث وأخصِّصه للكلام على المخطوطات الناقصة وأنواعها، ودور المُحقِّقين في تحقيقتها ونشرها، وبيان اختلاف مناهجهم في رمِّها ومحاولة (بنائها)، وتجربتي في تحقيق بعضها أو الاستدراك عليها، من غير الحديث عن طرق معالجتها كيميائيًا⁽¹⁾.

وقد قَسَمْتُ البحثَ على مقدِّمة، ومطلبين، وخاتمة.

المطلبُ الأوَّل: أنواع المخطوطات الناقصة

تصلُ في بعض الأحيان مخطوطةٌ ناقصةٌ فريدةٌ لا أخت لها في العالم، أو بضع مخطوطات ناقصة على تنوع موضوعاتها، وقد تكون صغيرة أو كبيرة، نتيجة خُرُومٍ حدثت فيها.

ويكون النقصُ نتيجة قَدَمِ المخطوط، ومن الطبيعي أن بدايته أو نهايته أوَّل ما يصيبهما التَّلَف، على خلاف المقدار الساقط منه، وقد يكون منها العنوان، بسقوط الورقة الأولى أو لخرق العنوان بفعل الأرضة والعثة، أو انطماسه بسبب عوامل الرطوبة أو البلى أو وقوع الحبر عليه، أو التزوير، وهناك الخرمُ في وسطه، وهذا بسبب كون المخطوط في الأصل أوراقًا منفصلةً، فسَقَطَ بعضُها وعند التجليد لم يتمَّ العثور على تلك الأوراق، أو نتيجة الرَّفْعِ المُتَعَمِّد الذي قام به بعض من اطلَّع على المخطوط سواء أراد إزالته عمدًا أو أعجب به !

وتأتي بعض المخطوطات النفيسة وقد تمرَّقت أوراقها أو تهرأت من أوَّلها، فيقوم

(1) تُعالج المخطوطات الناقصة كيميائيًا عن طريقين:

الأول: يدوي.

والآخر: آلي، باستخدام عجينة الورق المخلوطة بالماء، أو الترميم والتقوية بالتدعيم الحراري.

يُنظر: صناعة المخطوط العربي 601/1 - 602.

ناسخ آخر بإعادة كتابتها بخطه ويسد السقط، ثم يقوم بتجليد الأوراق التي نسَخها مع الأصل، ومن الأمثلة التي وقفنا عليها مخطوط لغوي هو: (نزهة الملك في وصف الكلب والمكليين) لمحمد بن علي ابن الخيمي (ت 642هـ)، في دار الكتب الظاهرية بدمشق، رقم 3178، وقد قرأها ابنُ الخيمي نفسه، وأثبت في نهايتها إجازةً لناسخها بخطه⁽¹⁾.

وأقدم بعض المُجلِّدين على إلصاق أوراق المخطوطات بعضها ببعض لِتُصبح ورقةً واحدةً تقوم مقام البطانة، وهذا ما يوضح لنا فقدان بعض المخطوطات أو تفرُّقها شذراً مَذراً، ومنها الكتاب الخاص بالرواة الذي ألفه ناصر بن أحمد البسكري (ت 823هـ) الذي ضاع وتفرقت مُسوداته بعد أن عُمِلت بطائن للكتب!⁽²⁾.

ويمكن للمخطوطات الناقصة - في بعض الأحيان - أن تساعد المحقق في توضيح بعض الألفاظ، فكثيرٌ منها ممَّا عَرَفناها أو قرأنا عنها أسهمت في إضاءة النص، وساعدت في توضيحه وتصحيح بعض ما في المخطوطة الأم - أو غيرها - من العبارات التي ابتليت بالتصحيفات والتحريفات والبياضات والأسقاط المتفشية فيها، وعلى سبيل المثال كتاب (دليل الطالب لنيل المطالب) - وهو في الفقه الحنبلي - لمرعي الكرمي (ت 1033هـ)⁽³⁾، وصلتنا منه مخطوطتان، الأولى تنقص أوراقاً من بعض الأبواب، والأخرى يصل النقص فيها الى عشر ورقات؛ منها ورقة العنوان والمقدمة مع صفحتين في الداخل، وقد استطاع محقق الكتاب أبو قتيبة نظراً محمد الفارابي أن يسدَّ النقص

(1) صدر عن (دار التراث) في النجف الأشرف، 1435هـ/2014م.

(2) يُنظر: أثر العوامل البشرية في ضياع التراث العربي الإسلامي، مجلة (تراثيات)، العدد 9، 2007م، ص 49.

(3) للكرمي - أيضاً - مخطوط (منية المحبين وبغية العاشقين)، وقد ظفرنا بأربع نسخ منه في مصر، لكنّها جميعاً ناقصة!، سواء في خاتمتها أو في وسطها!، وقد انتهينا من تحقيق النص، وصدر عن مركز جمعة الماجد في دبي، 2016م.

برجوعه الى مخطوطتين كاملتين، مع العلم أنَّ في المخطوطتين الناقصتين روايات لها وجهٌ، أثبتتها المحقِّقُ في حواشيه، وصدرَ الكتابُ عن دار طيبة بالرياض سنة 1425هـ.

ويكون النقص على النحو الآتي:

أولاً: ما كان النقص في أولها.

ثانياً: ما كان النقص في داخلها.

ثالثاً: ما كان النقص في آخرها.

رابعاً: ما كان النقص في أولها ووسطها.

خامساً: النسخة التي أصابها الخَرَمُ جميعها.

سادساً: رداءة المخطوطة واضطرابها.

سابعاً: عدم تصوير صفحات من المخطوط، أو ذهاب كلمات منها بسبب جَوَر

التجليد.

وتكمن خطورة هذا النقص عند الإقدام على تحقيقتها من دون معرفة هذا النقص أو الخلل، ومن ثَمَّ يَظُنُّ الباحثون والمحققون أنَّ هذا هو النصُّ الكاملُ الأخيرُ ومرادُ المصنِّفِ وما انتهى إليه من شواهد ونصوص، فينبون الأحكامَ الفائلة والتتائج غير السديدة على ما في أيديهم.

المطلب الثاني: طرائق تحقيِّق المخطوطات الناقصة ونشرها

اختلف المحققون في طرق ردم الخروم على النحو الآتي:

1- الرجوع إلى كتب الفهارس والبرامج والكشافات:

في حالة وجود خرمٍ في أوله سَبَبَ إسقاط عنوان المخطوط واسم صاحبه، فيكون البحث في كتب الفهارس والبرامج والكتب التي أُلِّفَتْ في الموضوع نفسه، وفي دار الكتب المصرية مخطوطٌ برقم 281 تاريخ - تيمور، اكتفى الباحثون بالنقلِ منه، وسَمَّاهُ

مفهرسُ الدار: (تراجم الشعراء) ونسبهُ - وهما - إلى الثعالبي (ت 429هـ)، وبعد البحث في المصادر المختلفة تبينَ لمُحقِّقهِ الأستاذ شاعر العاشور أنَّ العنوان الصحيح هو (المذاكرة في ألقاب الشعراء) لمؤلِّفهِ مجد الدين النشابي (ت 657هـ)، إذ رأى ابن الفوطي (ت 723هـ) يذكرهُ بهذا العنوان في كتابه الشهير «تلخيص مجمع الآداب»، وهو ينقل عنه نصًّا واردًا فيه، وصدر الكتاب بتحقِّقهِ ببغداد 1989م، ثم دمشق 2006م و2010م و2012م، وببيروت 2014م.

ونشر المستشرق الهولندي فان ديرليث كتاب «عجائب الهند» منسوبًا إلى بزرك بن شهریار الرامهرمزي، في ليدن بهولندا خلال السنوات 1883 - 1886م اعتمادًا على مخطوطة ناقصة محفوظة في مكتبة آيا صوفيا بتركيا تحت الرقم 3306، وتوالت طبعاته بعد ذلك اعتمادًا على هذه الطبعة، وآخرها التي نشرها الباحث حسن صالح شهاب سنة 2010م، ثم تهذَّبَ الباحث العراقي يوسف الهادي إلى معرفة صاحبه بعد عثوره على مخطوطة أكثر كمالًا ورد فيها اسمُ مؤلفه الحقيقي وهو أبو عمران موسى بن رباح بن عيسى ابن رباح الأوسي السيرافي، من أعلام القرن الرابع الهجري، وعنوانه الحقيقي هو (الصحيح من أخبار البحار وعجائبها)، وأصدرهُ عن دار إقرأ في دمشق سنة 2005م.

ويُضاف إلى ذلك ضرورة البحث في المصنَّفات التي نُسبت إلى الأعلام المشهورين، إمَّا عمدًا لتشتهر، أو سهوًا، وعدم الركون إلى ما هو مكتوب على صفحة العنوان، خاصَّةً إذا ما عرفنا أنَّ صفحة العنوان هي أضعف ما في المخطوط.

ويوجد مخطوطٌ بعنوان (شرح المعلقات) لابن جني في مكتبة العلامة الشيخ كاشف الغطاء برقم 874، أوقفني عليه الشيخ أمير - رعاه الله -، وكان الشيخُ علي الخاقاني قد ذكر أنه بعنوان (شرح المعلقات السبع)⁽¹⁾.

(1) مجلة (الأفلام)، السنة الأولى، الجزء الرابع، 1964م، ص 104.

وقد كُتِبَتِ الأبيات بالمداد الأحمر، والشرح بالمداد الأسود، وقليل من الأبيات كذلك.

وقد تمَّ طلب المخطوط أكثر من مرَّة، منها مشاريع لرسائل وأطاريح جامعيَّة⁽¹⁾ قلتُ: والحقيقة أنَّ المخطوط يضمُّ شرحًا لستُ قصائد (معلقات) لا سبع، وهذا بيانٌ بشعرائها:

امرؤ القيس ص 1 - 53.

طرفة بن العبد ص 53 - 98.

زهير بن أبي سلمى ص 98 - 124.

ليبد بن ربيعة ص 125 - 171.

عنتر بن شداد ص 174 - 216.

النابعة الذبياني ص 216 - 234.

وقد تبَيَّن لي سقوط الورقة الأولى منه، وعليها اسمه وبداية قصيدة امرؤ القيس، أما عنوان (شرح المعلقات) لابن جني، فمكتوب بالقلم الحبر الحديث، وفي أقصى الصفحة ورد: «قد انتقل إليَّ بالبيع الشرعيّ، وأنا العبد الفقيرُ الجاني إبراهيم بن محمد المولوي الدزفولي».

وفي نهايته بخد مختلف: «هذا آخر شرح المعلقات».

وحين راجعتُ ترجمة ابن جني في مصادره المختلفة لم أجد أحدًا أشار إلى وجود كتاب له بها العنوان، ولم أكفَّ عن السؤال والاستقصاء، إذ ربَّما سكَّتِ المصادر عن ذكره، وقد حدث ذلك لغيره، ولكنني لم أفقُ على خبره.

(1) <http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=274637>

أو:

<http://majles.alukah.net/t104491/>

وقد تكررت فيه عبارة «قال أبو جعفر» خمسًا وعشرين مرّة، ورحتُ أبحثُ عن صاحب هذه الكنية، وبعدَ التقصيّ تبَيَّن لي أنَّ المخطوط ليس لابن جنّي بل هو نسخة أخرى من (شرح القصائد التسع المشهورات) لأبي جعفر أحمد بن محمّد النحاس (ت 338هـ)، الصادر بتحقيق د. أحمد خطّاب العمر ببغداد 1973م، والغريب في الأمر أنَّ د. العمر اعتمدَ على ما ذكره الخاقاني بشأن نسبتها لابن جنّي، في مقدمة تحقيقه شرح النحاس⁽¹⁾، ولو وقف عليها لأعانتَه كثيرًا في تحقيق النصّ، خاصّةً أنها تفوقُ في دِقَّتِها ورواياتِها أربعَ نُسخٍ اعتمدَ عليها.

من ذلك ما جاء في شرح البيت السادس لعنّرة بن شداد في 458/2: «وأجاز أبو عمرو (أن يقال)»، و(أن يقال) سقطت من النسخ: أ، ي، ك، ل، وهي واردة في نسختنا ص 177.

وفي 474/2: «ويجوز فيه الرفع على العطف على المضمّر (الذي في سبقت وحسن العطف على المضمّر) المرفوع». سقطت العبارة داخل القوسين من نسختي: ح، ل.

وفي 101/1:

تَرى بَعَرَ الصَّيرَانِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيعَانَهَا كَأَنَّهُ حَبٌّ فُلْفُلٍ

ويروى «بَعَرَ الإِرَامَ». وقال الأصمعيّ: الأعراب يروون فيها:

وفي المخطوط:

تَرى بَعَرَ الصَّيرَانِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيعَانَهَا كَأَنَّهُ حَبٌّ فُلْفُلٍ

الصَّيرَانِ: بَقَرُ الْوَحْشِ، وَاحِدُهَا: صَوَار، وَقِيلَ: هِيَ الظُّبَاءُ، وَالْجَمْعُ: أَصَوْرَةٌ وَصِيرَان. وَيُروى «بَعَرَ الْآرَامَ». قال الأصمعيّ: الأعراب يروون فيها لجودها:

(1) شرح القصائد التسع 53/1.

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفٌ حَنْظَلِ
الْبَيْنُ الْفِرَاقُ، وَالنَاقِفُ الْكَاسِرُ. يُقَالُ: نَقَفْتُ الرُّمَانَةَ، إِذَا كَسَرْتَهَا، وَالْحَنْظَلُ شَجَرٌ
مِنْ سَمٍّ.

وفي المخطوط وردت تعليقات على الحواشي، منها:

بيت امرئ القيس:

فَظَلَّ الْعِذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا وَشَحْمَ كَهْدَابِ الدَّمَقْسِ الْمَفْتَلِّ

وفي حاشية المخطوط 12: «ظل زيد قائماً: إذا أتى عليه النهار وهو قائم».

وقوله:

إِلَى مِثْلِهَا يَرْنُو الْحَلِيمُ صَبَابَةً إِذَا مَا اسْبَكَّرَتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمِجْوَلٍ

المخطوط 26: «ومعنى البيت يقول إلى مثلها ينبغي أن ينظر العاقل كلفاً بها
وحينئاً إليها إذا طال قدها وامتدت قامتها بين أن تلبس الدرع وبين من تلبس المجول
أي بين اللواتي أدركن الحلم وبين اللواتي لم يدركن الحلم. يريد أنّها طويلة القد مديدة
القامة وهي بعد لم تدرك الحلم وقد ارتفعت عنه سنن (كذا) الجواري الصغائر. وقوله
(بين درع ومجول) تقديره لابسته درع ولا بسته مجول فحذف المضاف وأقام المضاف
إليه مقامه».

2- الإفادة من رأي المؤلف ذكره في الكتاب نفسه:

يستطيع المحقق أن يفيد من رأي ذكره المؤلف في الكتاب الذي يقوم بتحقيقه
ويبني عليه، أو يرجع إلى منهج المؤلف نفسه في كتاب آخر أورد القضية الساقطة نفسها.
من ذلك أن محمود شكري الألوسي ترك فراغاً في مقدمة كتابه: (النحت)،
فاعترض عنه الشيخ محمد بهجة الأثري بما قاله المؤلف نفسه في نهاية فصل فيه، من أنه

ذكر القاعدة في النسبة إلى المركبات الإضافية في أوّل الفصل، فرَجَعَ الأثريُّ إلى المصادر التي كتبت في هذا الموضوع وصدر بتحقيقه⁽¹⁾.

3- رُمُّ النقص بالاستعانة بكتاب آخر للمصنّف:

كتاب (الورقة) لمحمّد بن داود بن الجراح (ت 296هـ)، «سمّاهُ بذلك لأنّه في أخبار الشعراء، ولا يزيد في خبر الشاعر الواحد على ورقة»⁽²⁾، وحاول فيه أن يُترجم لشعراء العصر العبّاسي فقط، ومنهم مَنْ عاصروهم.

ومخطوطة الكتاب اطلّع عليها عزّ الدين التّنوخي وكتب مقالاً عنها عام 1937م⁽³⁾، تحدّث في أوّلِه عن المصنّف، وذكر أنّه علِمَ بوجود النسخة الوحيدة عند الشاعر السيد أحمد الصافي النجفي (ت 1397هـ)، فزاره مع عبد العزيز الميمني، وهي منسوخة «بخط جميل على ورق صقيل وتشتمل على ترجمة خمسة وستين شاعراً»، عن نسخة فريدة في خزانة العلامة المحقق صدر الأفاضل في طهران، وهي الآن في جامعة طهران.

ثمّ وصفها د. عبد الوهاب عزّام في مجلة «الكتاب» القاهرة 1945م⁽⁴⁾، وذكر أنّها نسخة خطيّة حديثة كُتبت سنة 1345هـ، وصدر بتحقيق عزّام وعبد الستار أحمد فراج في القاهرة 1952م، ضمّ الكتاب المطبوع ثمانين وخمسين ترجمة فقط، وليست فيه مقدمة تُبيّن سبب تأليفه له أو خاتمة تختمه، وهذا يعني أنّ نصوصاً - لا يُعلم مقدارها - ساقطة منه.

وعثرتُ على نصوص مهمّة لم ترد في القسم المطبوع، تلَقّطتها - بعد استقصاء

(1) النحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج 39، ج 3، 1988م: 33.

(2) فوات الوفيات 3/ 354.

(3) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج 15، ج 9 و 10 ص 335-339.

(4) العدد الأول، ص 90-92.

كبير - من المصادر التالية له، وأثبتها في نهاية القسم الواصل إلينا⁽¹⁾.

وبقيت في القسم المخطوط ثلاثة خروم استطعنا تداركها، وذلك بسدها من كتاب ابن الجراح الآخر (من اسمه عمرو من الشعراء)، ومنها ترجمة الشاعر عمرو بن مسلم الرياحي السلمي، إذ جاء النص فيه: «فقلت: أنا القائل ذا، ووالله لئن احتملت»، وسقط باقي الكلام، فصار النص:

«فقلت: أنا القائل ذا، ووالله لئن احتملت [رحلي حتى أصير هذه الحرة بيني وبينك ليأتينك معنى ما قال زهير: (2) [البيسط]

لئن حللت بجو في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فذك
ليأتينك مني منطق قدع باق كما دنس القبطية الودك
قال: فقال: «اذن، لا حياك الله»، فأوسع لي إلى جنبه، وأوقر لي رواجلي تمرا
وحدثني ابن أبي خيثمة ومحمد بن الحسن الزرقعي قالوا: حدثنا عبد الله بن شبيب
عن ميسرة ابن عبد الله الكلابي عن أبيه أن أبا المسلم أنشده لنفسه:

ألا يا لقوم للفؤاد المعذب وعين تمادت في البكا والتحب
وقلب كئيب لا يزال يهيضه لمة ربع ذو أمار وملعب
ليالي لا توليك إلا تحببا إلينا، ألا أهلا بذاك التحب
أقمنا بذاك العيش ثم انتحى لنا من الدهر صرف المرة المتقلب

وأنشدني محمد بن الحسن الزرقعي قال: أنشدني أبو سعيد، قال: أنشدني محمد بن

(1) صدر أولا عن دار الشؤون الثقافية في بغداد عام 2013م، وبعد عثوري على المخطوط الأصلي أصدرت طبعة جديدة عن دار صادر، 2014م.

(2) ديوان زهير بن أبي سلمى 183.

الله بن أبي عتيق لأبي المسلم، وطلّق امرأته ومَتَّعَهَا وَحَمَلَهَا إِلَى أَهْلِهَا، فَلَمَّا اسْتَقَلَّتْ رِكَابَهَا قَالَ:

وَلَسْتُ بِنَاسٍ إِذْ غَدَوَا فَتَحَمَّلُوا لَزُومِي عَلَى الْأَحْشَاءِ مِنْ لَا عِجِ الْوَجْدِ
وقولي، وَقَدْ زَالَتْ بِلِيلِ حُمُولِهِمْ بَوَاكِرُ تُحْدَى: لَا يَكُنْ آخِرَ الْعَهْدِ⁽¹⁾

قلت: والمخطوطة اليوم تقبّع في مكتبة كتبخانة مركزي ومركز اسناد دانشگاه طهران، برقم 1351، في كُلِّ صفحة منه ثمانية عشر سطرًا، وقد تقلُّ الأسطر، ولا تزيد. وقد أعدتُ تحقيق الكتاب من جديد، مُصحِّحًا الأوهام والتحريفات ومُبيِّنًا الأسقاط التي رأيتها في المطبوع⁽²⁾، وزدتُ عليه (101) نصًّا من القسم الساقط منه.

4- أن يترسّم المؤلّف منهجًا مسبقًا إليه:

فكتاب «جمهرة نسب قريش وأخبارها» للزبير بن بكار القرشي (ت 256هـ)، منه مخطوطتان ناقستان، هما:

أ- مخطوطة بودليان bodleina، في أكسفورد برقم 384، وتقع في 507 صفحة، وتاريخ النسخ سنة 547هـ في بغداد.

وهي مقسمة على أجزاء؛ كلُّ جزء يقع في عشرين ورقة، عدا الجزءين 21 و22، فعدد أوراقهما 18 ورقة لكلٍّ منهما، فضلًا عن أنَّ الجزء الأخير وقع في عشرِ ورقات ومكتوب بخط دقيق متداخل. والمخطوطة تبدأ من الجزء الثالث عشر: (بنو أسد بن عبد العزى)، وتنتهي في تمام الجزء الثالث والعشرين.

وناسخها هو أبو العباس أحمد بن بختيار الماندائي الواسطي (ت 552هـ)، وقد

(1) ما بين العضايتين ساقط من الأصل، ونقلناه من: مَنْ اسْمُهُ عَمْرُو مِنَ الشُّعْرَاءِ 199 - 200.

(2) أفردنا النقداً المفصلةً في مقال خاص نُشِرَ في مجلّة (عالم المخطوطات والنوادر)، مج 18، العدد الأوّل، 1434هـ/2013م، ص 161 - 186.

نَسَخَهَا عَنْ نَسْخَةٍ كَتَبَهَا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرٍ السَّلَامِي (ت 550هـ)، وقرأها عليه.
ب- نسخة مكتبة كوبرلي بالأستانة برقم 1141، وتقع في ثلاثة أجزاء فقط، وقد وصلنا منها الجزء الثاني فقط، في 266 صفحة، وخطها مقروء.

وحين أقدمتُ على تحقيقه استعنتُ بكتاب عمه مصعب الزبيري: (نسب قریش) في بناء النصوص التي استقيتها من المصادر، وهي 132 نصًا من القسم الساقط، ورتبتها على أساسه، لأنَّ الزُّبير تابعه وسارَ على نهجه، كما أشرتُ إلى الكلمات التي أجحف بها التصوير، وصدر الكتاب بتحقيقي عن دار الكتب العلمية في بيروت 2010م بمجلدين مع الفهارس المفصلة التي صنعتها.

أمَّا كتاب (الخراج وصناعة الكتابة) لقدامة بن جعفر البغدادي (ت 337هـ) المُكوّن من ثماني منازل، فَبَقِيََتْ مِنْهُ مَخْطُوطَةٌ فَرِيدَةٌ فِي مَكْتَبَةِ كُوبريللي⁽¹⁾ بتركيا برقم 1702 أدبيات عام، ومنها صورة في معهد المخطوطات العربية برقم 1076- تاريخ، وأخرى في دار الكتب الوطنية بباريس برقم 5907، وقد سقطتُ منهما المنازلُ الأربعُ الأولى، ولم يملك مُحَقِّقُه د. محمد حسين الزبيدي إلَّا التَحْقِيقَ عليهما، وتمكَّنتُ بعد تنقيحٍ واسعٍ أَنْ أَعَثَرَ عَلَى 31 نصًّا من المنزلة الثالثة (الأدبيّة)، نقلتها المصادرُ من كتاب قدامة هذا صراحةً، وخاصّةً «مواد البيان» لعلي بن خلف الكاتب، ورتبتها على وَفْقِ منهجه الذي أخذ به وترسَّمه في كتابه الآخر (نقد الشعر)⁽²⁾.

5- إثبات المواد المنقولة من المصادر الأخرى عن طريق التسلسل المعجمي (الألفبائي):

في حالة كون المخطوط في اللغة أو التراجم المرتبة على حروف المعجم، تكون معالجة الخرم عن طريق إثبات المواد المنقولة من المصادر الأخرى على وَفْقِ حروف

(1) تاريخ الأدب العربي 243/4.

(2) نشرتُ بعضها في مجلة (الفصل)، العدد 169، 1991م، ص 103 - 107، ثمَّ في كتابي المخطوط «الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر دراسة تحليلية».

المعجم (النظام الألفبائي)، وهو وإن بدا مختلفاً عن منهج بعض المعجمات فإنه أيسر تناولاً.

ومثال هذا: معجم (البارع في اللغة)⁽¹⁾ لأبي عليّ إسماعيل بن القاسم القاليّ (ت 356هـ)، إذ رَجَعَ مُحَقِّقُهُ د. هاشم الطّعَان إلى مخطوطتين مخرومتين، الأولى في مكتبة المتحف البريطانيّ، وهي مُسَوَّدَةٌ أَحَدِ طُلَّابِ الْمُصَنِّفِ، والأُخْرَى في باريس، وحين أَرَادَ تَحْقِيقَهُ عليهما رَجَعَ إلى عَدَدٍ مِنَ الْمَصَادِرِ الْمُتَأَخَّرَةِ عَنِ الْكِتَابِ، وهي: «المصباح المنير» للفيومي و«المقصود والممدود» للقالي نفسه، و«الاقتضاب» للبطلوسيّ، و«تاج العروس» للزبيديّ، و«معجم ما استعجم» للبكريّ، وعثر فيها على نُصُوصٍ مَنقُولَةٍ عنه، فَجَمَعَهَا في آخر الكتاب بعنوان: (لحق بما اقتبسته بعض الكتب من البارع من القسم الضائع منه).

ويُلاحَظ أن المحقّق رَتَّبَ المواد على حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، مُخَالِفًا بِذَلِكَ تَرْتِيبَ الْمُصَنِّفِ على نظام الخليل الفراهيديّ، رُبَّمَا لِأَنَّهُ وَجَدَ أَنَّ النَّظَامَ الْمُعْجَمِيَّ هو الأسهل والأشهر.

وهذا كتاب (مُعْجَمُ الشُّعْرَاء) للمرزباني (ت 384هـ)، تقبع مخطوطته الناقصة في برلين برقم 1776، وتقع في 185 ورقة، وتوجد مصوِّرة عنها في مجمع اللغة العربية بدمشق، وهي بخطُ العلامَةِ الحافظ مُغلَطَاي (ت 762هـ)، وقد ضبطها بالشكل في مواضع كثيرة، وزاد عليها أعلاماً أثبتهم في حواشيها أخلَّ بهم المرزبانيّ، وأفضَلَ بوضعه فوائد وتصحيحات بقلم الرضيّ الشاطبيّ (ت 684هـ) مسبوقة بـ(ط).

وقد صَنَّفَهُ صاحِبُهُ على حروف المعجم، ولم يكن من مَنهَجِهِ استقصاء حياة الشاعر أو إثبات شعره جميعه، بل هَدَفَ إلى التعريف به بإيجاز، وإيراد أنموذج - أو أكثر - من شعره، على وفق أو ما اشتهر به وأجاد.

(1) البارع في اللغة: 711 - 721.

و(المعجم) يضم خمسة آلاف شاعر، في ألف ورقة، ولكن القسم المتبقي من نسخته الخطية الوحيدة يبدأ بمن اسمه (عمرو)، إلى نهايته في باب (من غلبت كنيته على اسمه)، أما بقية الحروف من أوله - مع المقدمة - إلى نهاية حرف الظاء، فقد سقطت من الأصل، ولم يتم العثور على الباقي من المخطوط؛ هذا عدا الخروم الواضحة داخل القسم المتبقي، وسقوط حروف كاملة: الغين والنون والواو.

ولأن الكتاب مُصنّف على حروف المعجم، فقد كان عليّ مراجعة المصادر التي نقلت منه صراحةً، وقد استطعت - بحمد الله - أن أعثر على 386 نصّاً لشعراء الكتاب، مُرتّبين على ذلك. وقد صدر الكتاب بتحقيقي - مع التتمة - عن دار الكتب العلمية في بيروت 2010م بمجلدين⁽¹⁾.

6- الاعتماد على نظام الحوليات في المخطوطات التاريخية:

يكون تحقيق المخطوطات التاريخية الناقصة عن طريق المنهج التاريخي الخاص بالخلفاء أو نظام الحوليات، أو المصادر التي تناولت تلك الحقبة، فكثير منها ينقل عن سبقة.

«كتاب بغداد» لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور البغدادي الكاتب (ت 280هـ)، يقع في الأصل في ثلاثة عشر جزءاً، وقد وصلنا الجزء السادس منه فقط والخاص بالمأمون، وتوجد نسخة فريدة في المكتبة البريطانية بلندن برقم ADD23318 في 132 ورقة، وقام د. إحسان ذنون الثامريّ بتحقيقه، وصدر في بيروت 2009م، وجمّع ما استطاع من نصوصه الفريدة من الأجزاء الضائعة منه، فكانت 107 نصوص، استقاها من مصادر مهمة أهمّها: «الأغاني» و«تاريخ بغداد» و«ذيل تاريخ

(1) ثم عثرتُ على (75) نصّاً جديداً، أفردتهم في مقالٍ خاص.

بغداد» و«شرح نهج البلاغة» و«بدائع البدائ» و.... وغيرها، ورتبها «على تتالي الخلفاء، لتؤدي مهمتها في ربط الأحداث وتقديم السياق المتكامل»⁽¹⁾.

7- الاستعانة بالمختصر لإكمال النقص في الأصل:

فمخطوطة «أحسن المحاسن» للثعالبي (ت 429هـ) توجد منها نسخة فريدة في المكتبة الوطنية بباريس برقم 3306، في 193 ورقة، وقد سقط منها الباب الثاني والعشرون وهو الأخير، وحين تهيأ لها أن ترى النور قام مُحَقِّقُهَا ياسر أحمد فياض الفهداوي بإثبات⁽²⁾ مُختصر للكتاب اسمه «أحسن ما سمعت»، مطبوع في القاهرة، مكان الباب الساقط، وبذلك استطاع - إلى حد ما - أن يُعيد اللحمة إلى النص، ومعرفة محتواه، ونال بعمله الدكتوراه من جامعة الأنبار سنة 2001م.

8- الزيادة على مخطوطة من اختيار أحدهم:

تصلُّ مختارات قام بها بعض الأدباء منقولة عن نسخة الأصل، ثم يكتشف المحقق أو غيره - أنها ناقصة - بعثوره على نُصوصٍ أخرى من الأصل، لم ترد في (المختار)، فيصنع بذلك تنمَّةً للعمل.

من ذلك: (شرح المشكل من شعر المتنبي) لابن القطَّاع الصَّفَلِّي (ت 515هـ) وقد حَقَّقَهُ د. محسن غياض برجوعه إلى مخطوطة في أربع ورقات، هي الثانية ضَمَّنَ مَجْمُوعِ خَطِّي في دار الكتب المصرية برقم 27 ش نحو، وهي مختار من الكتاب قام به شرف الدين أحمد بن عثمان السنجاري (ت 685هـ) ممَّا اهتمَّ به من الأبيات المشكَّلة والإعراب وتركَّ بقية الأبيات التي يغلب على شرحها الطابع الأدبي والخلاف في الرواية، وفيها خمسة وثلاثون بيتًا، ثم أضاف إليها (الملحق) وضمَّ 67 نصًّا لابن

(1) كتاب بغداد 243 - 319.

(2) أحسن المحاسن 481 - 483.

القطّاع، نقله مِنْ كتاب «التبيان في شرح الديوان» المنسوب وهماً للعكبري، ونَشَرَهُ في بغداد 1977م و2000م.

أما كتاب «حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه» لابن الجزري (ت 739هـ) فقد اختار منه شمس الدين الذهبي (ت 748هـ) سنوات معيّنة بعنوان: «المختار من تاريخ ابن الجزري»، وشمل السنوات 593هـ إلى 698هـ، وقد وصلتُ نسخةً فريدةً بِحَظِّ الدَّهْيِيِّ نَفْسِهِ في مكتبة كوبرلي برقم 1147، ومنها صورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي، وقد وجدتُ في هذا المختار فوائد مهمة، أهمها أنَّ الأصل⁽¹⁾ وَصَلَتْ مِنْهُ مَخْطُوطَةٌ فيها حوادث ووفيات السنوات 689هـ - 699هـ، وما قبلها لم يصل إلينا، فيكون المختار عوناً في معرفة محتويات الأصل، وقد حَدَّثَتْ فيها خُرُومٌ، استطاع المُحَقِّقُ رَمَّهَا⁽²⁾، مع ملاحظة أنَّ المُحَقِّقَ وَضَعَ الزيادة المنقولة في الهامش لا المتن.

9- نَقْلُ كِتَابٍ مِنْ مَوْسُوعَةِ (مَعْلَمَةِ):

عمد أصحاب الموسوعات الضخمة (المعلمات) كابن فضل الله العمري (ت 749هـ) في: (مسالك الأبصار) والصفدي (ت 764هـ) في: (الوافي بالوفيات) وابن مبارك شاه (ت 862هـ) في (السفينة)... وغيرهم، إلى نَقْلِ عَدَدٍ مِنَ الكُتُبِ والرسائل - صَغُرَتْ أَمْ كَبُرَتْ - إلى مصنِّفاتهم، وقد اتَّجَهَ عَدَدٌ مِنَ المُحَقِّقِينَ إلى هذه الموسوعات لنقل هذا الكتاب أو ذاك منها، وإخراجه وَتَحْقِيقَهُ، على أنه واردٌ بِنَصِّهِ، خاصَّةً إذا فُقِدَتْ الأَصُولُ الخَطِيَّةُ لتلك الكُتُبِ المُضْمَنَةِ.

(1) صدر بَتَحْقِيقِ د. عمر عبد السَّلام تدمري، المكتبة العصريَّة، صيدا - بيروت، 1426هـ/2006م، وهو عمل مليء بالأخطاء والهتات، نبَّهنا على كُلِّ هذا عند تَحْقِيقِنا كِتَابَ «ذيل مرآة الزمان» لليونيني (ت 726هـ)، فكتاب ابن الجزري أحد مصادر اليونيني، وقد اعتمدنا على ثماني مخطوطات من القاهرة ودمشق ولندن وتركية، ودفعناه للنشر في بيروت، ونشرته دار الكتب العلمية، 2013م في سبعة أجزاء.

(2) يُنظر: ما ورد في الورقة 33 من المخطوط، وتقابلها ص 144 من المطبوع، والأوراق 47 - 51، وفيها خبر نقله من كتاب «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي.

والواقع أنَّ الأقدمين كانوا ينقلون النصوص أحياناً، وتكون لهم الحرية في التَّصَرُّف بها بالحذف والاختصار والإضافة، وقد تمَّ الحصول على الأصول الخطية فيما بعد لعدَّة من المصنِّفات كشفت هذه الحقيقة⁽¹⁾، لذلك يلزم المحقِّق أن لا يطمئن تماماً إلى أنَّ الكتاب - الوارد ضمن موسوعة ما - هو الأصل من غير زيادة أو نقصان⁽²⁾.

وهذا كتاب (مواد البيان) لعلِّي بن خلف الكاتب (ت بعد 437هـ)، سقط من مخطوطته البابان الأخيران، وبما أنَّ القلقشندي في كتابه (صبح الأعشى) قد نقل من الكتاب نفسه، فإنَّ نصوصاً من هذين البابين نقلهما مُحَقِّقه د. حاتم صالح الضامن إلى نهايته، بدلاً من الساقط من المخطوط، وقد نشره في مجلة (المورد) سنة 1988م - 1989م، ثمَّ منفرداً في دار البشائر، بدمشق سنة 1424هـ/ 2003م.

ويُضاف إلى هذا أنَّ كتابَ (الموطَّأ) لمالك بن أنس (ت 179هـ)، بحث مُحَقِّقه محمد مصطفى الأعظمي عن نُسخه المختلفة في المغرب، فوجدَ منها نسخة كتبها شريح بن محمد الرعيني لابنه في بداية القرن السادس، إلَّا أنَّ الأرضة لعبت فيها وأكلت منها، حتى انه لا تكاد تخلو صفحة من الاعتداء عليها، وأخرى في مكتبة جستررتي في دبلن، وهي عبارة عن الثلث الثاني من الكتاب فقط! ، كما رجع إلى صورة مخطوطة من مركز الملك فيصل بالرياض وأصلها من باريس - ناقصة، تبدأ من كتاب النكاح وتنتهي بنهاية الكتاب، وأخرى في المركز نفسه الملك ناقصة أيضاً، وتشتمل على كتاب العقول والقسامة ثم كتاب الجامع.

وكان منهجه في التحقيق أن أخذ بأول كتاب في المخطوط ثم بحث عن رقمه في الأصل، ومن ثم بدأ بترقيم كتب المخطوطة الناقصة ابتداءً بذلك الرقم، فمثلاً:

(1) يُنظر: تَحْقِيقُ النصوص ونشرها 30 - 31.

(2) يُنظر: تَحْقِيقُ النصوص الأدبية واللغوية ونقدها 214.

مخطوطة (ب) تبدأ من كتاب النكاح ورقمه في الأصل 31، فأعطى الرقم / 31 لكتاب النكاح في نسخة (ب)، ثم أعطى الرقم التسلسلي للكتب التالية وهلم جرا.

وقد صدرَ عن مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان - أبو ظبي، في ثماني مجلدات، 1425هـ / 2004م.

الدواوين:

في مجال الدواوين قام خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ) بصنع مختارات لعدد من الشعراء، ضمن كتابه الموسوعي (التذكرة الصلاحية)، وقد وصلنا بعض أجزاءه، منها: المختار من شعر مجير الدين محمد بن يعقوب بن علي بن تميم (ت 684هـ) مرتباً على القوافي، وقد حقق هلال ناجي هذا المختار وأشرك معه د. ناظم رشيد الذي أضاف إلى المخطوطة 121 قطعة وتُتفة، وصدر في بيروت 1999م بعنوان (ديوان مجير الدين ابن تميم).

كما اختار الصفدي بعض شعر ابن دانيال الموصلبي، وأثبت مُحَقِّقهُ محمد نايف الدليمي في نهايته مُستدرَكًا لِمَا لَمْ يرد فيه، ضمَّ 64 قطعة، جَمَعَهُ من بعض المصادر، وصدر في الموصل 1979م.

واختار ابنُ ميمون قصائد لكثيرٍ من الشعراء في كتابه المُهمَّ «منتهى الطلب» من دواوينهم أو المجاميع التي رجع إليها، وكان من ضمنهم: (شعر الراعي النميري)، وقد رجع إلى مخطوطة الكتاب د. نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، وجعلنا نصَّ المخطوطة القسمَ الأوَّل، ثم كان القسمان التاليان اللذان صنعهما المحقِّقُ الثاني، وصدر ببغداد 1980م.

ونكتفي بهذه الأمثلة لنؤكد أنَّ هذا التذييل يبقَى ناقصاً على الدوام، ف(ديوان مجير الدين ابن تميم) كُنَّا قد نقدناه في نظرات مطوَّلة، شملت سوء القراءة والضبط، مع

زيادات كبيرة في التخريجات الجديدة، وصنعنا مستدركا مهماً⁽¹⁾ ضم 118 بيتاً ممّا أُخِلَّ به العمل، أي ما يعادل ما جمعه د. ناظم.

أما شعر ابن دانيال فقد عثرتُ على إحدى وثلاثين قطعةً في (1146) بيتاً، ودويتين أُخِلَّ بها الأصل المخطوط ومستدرك الدليمي، صنعتُ منها مستدركا، مع نظرات نقدية مطوّلة⁽²⁾.

وحقق د. حسين نصّار (ديوان ابن الرومي) برجوعه إلى عدد من المخطوطات، أهمّها النسخة المحفوظة في دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة برقم 139 أدب، وهي أجود النسخ المعروفة من ديوانه، وصدرَ في ستة أجزاء، ولكنّ هذه المخطوطات لم تسلم من النقص، إذ استطعنا أن نستدرك - أولاً - (188) بيتاً في 84 قطعة، في مقال بمجلة مجمع دمشق⁽³⁾، ثم زدناه إلى (343) بيتاً في 138 نصّاً ما بين نطفة وقطعة، في كتاب خاص صدر عن دار تموز في دمشق 2014 م.

و(ديوان بشار بن بُرد) ضاعت أقسامٌ كبيرة من مخطوطته الوحيدة التي سُحنت بالأوهام والتصحيقات، وانتهت في أثناء حرف الرّاء، وقد حقّقهُ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في ثلاثة أجزاء، وعثر على أشعار للشاعر من مصادر عديدة صنّع منها جزءاً رابعاً، ورجع الباحثون إلى (المختار من شعر بشار) للخلدیین الذي شرحه أبو الطاهر التجيبي لاستدراك ما فاتهم من شعره الضائع، وقد صنّف د. شاکر الفحّام كتاباً عن الديوان أودع فيه نظرات نقدية طويلة في تبيان سوء المخطوطة واضطراب القراءة، وصدر في دمشق، 1983 م.

(1) يُنظر مقالنا الموسّع في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 78، ج 2، 2003 م: 423 - 422، وفي كتابينا: في نقد التحقيق 305 - 335، و: فوات الدواوين 148 - 165.

(2) نُشر في مجلة (المورد)، مج 41، العدد الثاني، 1435 هـ/2014 م، ص 171-208.

(3) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 85، ج 2، 2010 م.

واستدرك د. نوري حمودي القيسيّ قطعتين في سبعة أبيات على (ديوان أبزون العُماني) ⁽¹⁾، ثمَّ استدرك د. عبد الرّازق حويزي بعض القطع، مع ملاحظاتٍ على الجَمْع ⁽²⁾.

من أساليب المعالجة:

من المناسب أن أُشير إلى أن من المحققين مَنْ يعتمدُ على المخطوطة الأولى المهمة أو شبه الكاملة، ثم يردِّفها بالثانية التي تنقص عنها، فقد اعتمد كامل سلمان الجبوري في تحقيقه «ديوان محمد جواد عواد البغدادي» (ت نحو 1170هـ) على نسختين مختلفتين، الأولى في مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف برقم 230، والأخرى بمكتبة المتحف العراقيّ برقم 10588/2، فأثبت أولاً النصَّ عن مخطوطة مكتبة الإمام الحكيم، لكونها تكاد تكون نسخة تامةً للديوان، وفيها خاتمة، ثم المخطوطة الثانية، وبعد الانتهاء من ذلك أوردَ مُلحقين:

الأول: الزيادات الملحقة بالنسخة الأولى.

الآخر: زيادات النسخة الثانية.

وحين كنتُ أحقق (ديوان سيف الدين المُشدِّ، ت 656هـ) عام 1998م وقفتُ على أربع مخطوطات مختلفة من حيث القدم والمحتوى، ورأيتُ بعد دراسة فاحصة أن أجعل نسخة الإسكوريال (مجموع ثان 242- رقم 3) أصلاً في التَّحْقِيق، لكونها ضُمَّتْ أكبرَ قَدْرٍ من الشعر، ورُتِّبَتْ بحسب الموضوعات، وفي نِهَايَتِهَا جَاءَتِ الدوبيتات ⁽³⁾،

(1) مجلة المجمع العلمي العراقي، مج 41، ج 1، 1990م، ص 130-131.

واستدرك هلال ناجي على نفسه قصيدةً طويلةً وقطعة واحدة، ومعها جُهد د. القيسيّ في قطعيته السابقتين، في كتاب: المستدرك على صنّاع الدَّوَابِين (طبعة بغداد) 1/356-360، لكنَّ ورد المستدرك كلّهُ باسم هلال ناجي في الطبعة الثانية من الكتاب نفسه (طبعة بيروت) 2/393-397!.

(2) مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع 68، 2010م، ص 102-105، ضمن مقالهِ (نقد لأربع نشرات تراثية).

(3) الدوبيتات: جمع (دوبيت) بمعنى بيتين، وهو مصطلح فارسيّ، يتكوّن من أربعة أشطر تنتهي بقافية واحدة ووزن واحد، وله عدة أوزان، أشهرها: فعلن متفاعلن فعولن فعلن، ينظر: ديوان الدوبيت 18، 58.

وقد احتوى على 468 قطعة و 27 دوييتاً، وبعد أن أثبتُّها أوردتُ القسمَ الثاني وهو: (ما أخلَّتْ به نسخةُ الإسكوريال وحوثُة المخطوطات الأخرى)، وربَّتُهُ على القوافي، وحوَى 237 قطعة وخمسة دويينات.

ثمَّ ظفرتُ بعد سنواتٍ بثلاثٍ مخطوطاتٍ أُخرى، وهي:

1- مخطوط محمد رضا الشيببي، وقد وصل إليه عن طريق السيّد نصر الله الحائريّ (ت 1158هـ)، أثناء سفره إلى الشّام، وهو مرتّب على القوافي.

2- مخطوط مكتبة شسترتبي، وهي مختارات من ديوان سيف الدين المشد، كانت بعضُ أوراقها متداخلةً ضمن (ديوان سعد الدين ابن عربي)، وتقبّع موجودة في مكتبة شسترتبي في دبلن بالرقم 3866، إذ قام أحدهم بتجليد ما عثرَ عليه من أشعار المُشدِّ وإدخالها سهواً في ديوان ابن عربي.

3- مخطوط الشيخ جواد الشيببي، هذا المخطوط قائمٌ على نسخِ مخطوط السيّد الحائريّ - السابق - بدليلِ تصريحِ الناسخِ في آخره بما وردَ في نهايته.

4- ويمكنُ أن أعدَّ مخطوط كتاب (السفينة) لمُصنِّفه ابن مبارك شاه المصريّ (ت 862هـ) نسخة ثامنة من الديوان، إذ اختارَ للشاعر (648) بيتاً مرتّبةً على القوافي، وأجزمُ أنَّه نقلها من مخطوطةٍ ديوانه التي كان يمتلكها، كما فعلَ مع غيره صراحةً، وفيه نتفة جديدة انفرد بها المخطوط، ولم ترد في أية نسخة من نسخ ديوان المُشدِّ.

وهذه المخطوطات استطاعتُ أن تسدَّ النقصَ والخرَ الذي حدَثَ في نسخة الإسكوريال، سواء في الكلمات والعبارات، أو في الأبيات والقصائد.

هذه هي أنواع الخروم التي اعتورتِ المخطوطات وطرق معالجتها من خلال ما قام به المحققون، وأوردتُ تجربتي في الموضوع، ويلاحظُ أن إخراجِ المخطوطات عن طريقِ النّقلِ مِنَ المَظَانِّ ليس كافياً كونه نوعاً من (الترقيع) الذي لن يكون دقيقاً، ولكنه

الطريق الوحيد لإخراج المخطوطات للقراء بدلاً من حجبها كاملة، أما إذا ظهرت مخطوطات أكمل فهو المراد، وعندئذ يمكن للمحقق أن يقوم بتحقيق الكتاب عليها.

ولا بد أن يكون المحقق عارفاً بقضية قيام المصنّف بإخراج كتابه أكثر من مرة بالزيادة والتنقيح والتعديل والتبديل⁽¹⁾، لذا ينبغي إنعام البحث والنظر عند الإقدام على تحقيق المخطوطة، فعمل المحقق يعتمد على (إخراجة) ناقصة يُخرج عليها النص، من غير أن يعرف أن للكتاب (إخراجة) جديدة كاملة، وتُسمى (الدستور)، وهي النسخة النهائية التي اعتمدها المصنّف، وكتبها بخطّه، بعد مسوداتٍ مختلفة ومتتالية، فتلك المسودات تُسخّ ناقصة مليئة بالإلحاقات والشطب والمحو والاضطراب، لا يصحّ الاعتماد عليها، بل إهمالها، واتخاذ (الدستور) أصلاً وحيداً يُعَوّل عليه في التحقيق.

تحقيق ونشر المخطوطات الناقصة:

بعض المخطوطات الناقصة لا سبيل إلى معرفة تتمّتها، خاصة إذا لم يتمّ العثور على بقيّتها، بعد البحث والتنقيح الشديدين، وهنا يكون تحقيق ما وُجد منها ونشره ضرورياً لا طلاع القراء عليها بدلاً من أن تبقى مخطوطة، لأنّ فيها معلوماتٍ لحقبتٍ مختلفة أو تراجم مهمة تنفرد بها ولم تُسلط عليها الأضواء.

ونشر د. هادي حسن حمودي تحقيقه كتاب (حماسة أبي تمام بتفسير ابن فارس) عن عالم الكتب في بيروت، 1995م، عن نسخة مكتبة لاله لي باستانبول برقم 1716، وهي ناقصة، إذ لم تضم سوى باب الحماسة فقط، وسقط منها اسم المؤلف، وبدراسة النص وحصولنا على صورة من المخطوط ثبت لنا أنّه ليس لابن فارس على الإطلاق⁽²⁾.

(1) يُنظر: منهج البحث وتحقيق النصوص 137، علم التحقيق للمخطوطات العربية 196 - 197.

(2) في نقد التحقيق 244 - 248.

وفي دار الكتب المصرية توجد مخطوطة فريدة برقم 198 أدب تيمور هي: (جلوة المذاكرة في خلوة المحاضرة) لخليل بن أبيك الصفدي (ت 764هـ)، تنقص نحو أربع صفحات في أماكن متفرقة، فضلاً عن الاضطراب في ترتيب أوراقها، الأمر الذي جعل المحققين يزهدون في إخراجها، ولطرافة نص المخطوط ولأنه لم يُنشر سابقاً فقد قمنا بتحقيقه، وأعدنا ترتيب الأوراق، فاستقامت، وصدر عن مركز البابطين، 2013م.

وظفر أحمد شوقي بنين ومحمد سعيد حنشي بقطعة من مخطوطة فريدة ناقصة من كتاب (الدّر الثمين في أسماء المصنّفين) لعلي بن أنجب المعروف بابن الساعي (ت 674هـ)، محفوظة في الخزانة الملكية بمراكش لكنها ناقصة، إذ سقطت الورقة الأولى من المقدمة، انتهت بترجمة عبد الله بن أحمد الكعبي البلخي، ووقعت في 112 صفحة، ولأهميتها قاما بتحقيقها، وجلوها خير جلوة، وصدر الكتاب عن دار الغرب الإسلامي، تونس، 1430هـ / 2009م.

وهذا كتاب (صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط) للحافظ تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح (ت 643هـ)، حصل محققه موفق بن عبد الله بن عبد القادر على نسخة وحيدة منه من مكتبة آيا صوفيا التركية برقم 475، في ثلاث وثلاثين ورقة، ولكن ما وصل إلينا هو قطعة صغيرة من الكتاب، ولم يُشر المحقق إلى هذا، وهو يُصدره عن دار الغرب الإسلامي في بيروت، 1404هـ / 1984م.

وفي الطب يوجد كتاب (النافع في كيفية تعليم صناعة الطب) لعلي بن رضوان المصري، وقد ذكر ابن أبي أصيبعة أن الكتاب في ثلاث مقالات، ولكن المخطوط الفريد للكتاب كان في مقالتين فقط، بل إن المقالة الثانية منحولة على المؤلف، وقد حقق النص وعلّق عليه، بإذلاً خبرته الطبيّة د. كمال السامرائي، وصدر عن جامعة بغداد، 1986م.

واعتمد د. محمود الحاج قاسم محمّد على خمس نسخ عند تحقيقه (تدبير الحُبالي والأطفال والصبيان) لأحمد بن محمّد بن يحيى البلديّ (ت بعد 368هـ)، كانت النسخة الثالثة في مكتبة غوتا Gotha الألمانية ناقصة منذ البداية حتّى منتصف الباب الثامن عشر وبضع صفحات من النهاية، وصدر الكتاب في بغداد، 1980م.

وصنّف أحمد بن يوسف التيفاشي (ت 751هـ) كتابه «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار»، وتناول عددًا من المعادن، وقد طبعه أول مرة رينري بيشيا **Raineri Biscia** سنة 1818م مع ترجمة إلى اللغة الإيطالية، بمطبعة مدينة فلورنسا، وهي طبعة ناقصة عن النسخ الخطية الموجودة، إذ أوردَ كارل بروكلمان ما يزيد على عشرين مخطوطة من مختلف المكتبات في العالم، ثمّ حقّقه في نشرة علميّة محمد يوسف حسن محمود ومحمود بسيوني خفاجي، وصدرَ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب 1977م.

وعمدَ عددٌ من المُحقّقين إلى عدم إخراج الكتب متعددة الأجزاء بصورةٍ متتاليةً، بل بما توافرَ من نُسخٍ مُعتبرة، ومثل هذا يُقال عن المخطوطات متعدّدة الأجزاء التي لم تصلنا، وابن السّاعي نفسه لم يكن أحسن حالًا في كتابٍ آخر له هو (الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السّير)، إذ لم يصل منه سوى الجزء التّاسع الذي حقّقه المرحوم مصطفى جواد في بغداد سنة 1934م، وأعاد تحقيقه د. بشار عواد معروف في بيروت.

وكتاب (تاريخ إربل) لابن المستوفي (ت 637هـ)، وصلَ الجزء الثاني فقط من مخطوطته⁽¹⁾، وحقّقه سامي خماس الصقّار في بغداد 1980م، وكتاب «النظام» لابن المستوفي أيضًا، وتقع مخطوطته الوحيدة في قسمين، والثالث مفقود، وقد أصدر منه د. خلف رشيد نعمان اثني عشر جزءًا، هي ما بقي منه.

(1) عثر د. بشار عواد معروف على أحد الأجزاء المخطوطة الناقصة. تُنظر: مجلة معهد المخطوطات، مج

56، ج 1، 2012م، ص 7-43، وطبعه في بيروت..

كما عثرنا على نصوص من القسم الأوّل المفقود وردت في عدد من المظان المختلفة.

وكتاب (أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء) للملك المنصور محمد ابن عمر الأيوبي (ت 617هـ) يقع في عشرة مجلدات، لكن نسخته الوحيدة في ليدن برقم 639 لا تضم سوى مجلد واحد كبير، وبه يُختتم الكتاب، وفيه شعراء القرنين الخامس والسادس الهجريين، أي أن معظمه - وفيه شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين والعباسيين - ساقط، وقد حقق هذا الجزء - الباقي - د. ناظم رشيد، ونُشر في بغداد 2001م.

والكتاب الموسوعي «عيون التواريخ» لابن شاعر الكتبي (ت 764هـ) ظهر منه جزءٌ بتحقيق نور الدين حاطوم في بيروت 1996م، ضمَّ السنوات من 219 - 250هـ، وصدرت أربعة أجزاء ببغداد منه بتحقيق د. فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، بدءاً من سنة 1977م، وضمَّ شعراء العصر العباسي المتأخر والمملوكي حتى سنة 696هـ، من غير ترتيب في أجزائه، وكذلك الحال مع معجم «العباب الزاخر واللباب الفاخر» لرضي الدين الصغاني (ت 650هـ)، إذ حقَّق الشيخ محمد حسن آل ياسين ما وجدته بخط المؤلف وليس على تسلسل حروف المعجم، وكانت خمسة أجزاء شملت أحرف: الهمزة والسين والطاء والغين والفاء، طُبعت ببغداد في سنوات متفرقة.

الخاتمة

المخطوطة الناقصة هي تلك التي اعتورها النقص في أولها فيذهب بعنوانها واسم مصنفها، أو يكون النقص في داخلها، أو في آخرها، أو في أولها ووسطها، أو تلك أصابها الخرم جميعها.

وقد ظهرت كتب لم تصلنا مخطوطاتها كاملة، حقَّقها محققون كبار - ومن الشداة أيضاً -، في جزء واحد، أو أجزاء متفرقة، في مختلف فنون المعارف، وفي أماكن مختلفة وسنوات متعدّدة، وعلى مناهج التحقيق المختلفة.

ولابدَّ للمحقق من أن يهرعَ إلى طريقيين:

الأول: الدراسة الخارجية، الرجوع الى الأدلة الببلوغرافية المطبوعة.

الثاني: الدراسة الداخليَّة للنصّ.

والمخطوطات الناقصة يجب أن لا تهمل على الإطلاق، وبمقدور المُحقِّقين من أهل التجربة والمراس أن يضطلعوا بمهمّة إخراجها على وفق المنهج العلميّ في التحقيق، وعلى المحقِّق أن يستعينَ بإخوته وهم يرشدونه إلى مخطوطاتٍ أُخر قد لا يعرفها، تقبّع في مكتباتٍ غير مفهرسة أو لا تصلُّ لها اليد، أو يأخذ بملاحظاتهم النقدية في حالة إعادة تحقيق ما نشره من قبل، ذلك أن (نقد التحقيق) مُتَمِّم لعملية التحقيق نفسها، ولا بدَّ من التعاون لإخراج كنوز تراثنا بالصورة العلمية، وقد أثبتنا أمثلة كثيرة على طرائق تحقيق النشرات السليمة منها، وتلك التي جانب محقِّقها الصواب في إخراجها.

والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

1. أحاسن المحاسن: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت 429هـ)، دراسة وتحقيق ياسر أحمد فيّاض الفهداوي، أطروحة دكتوراه، كليّة التربيّة، جامعة الأنبار، 2001م.
2. أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء: الملك المنصور محمد بن عمر الأيوبي (ت 617هـ)، تحقيق د. ناظم رشيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002م.

3. أصول تحقيق التراث: عبد الهادي الفضلي، ط 3، مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، 1416هـ/ 1996م.
4. البارع في اللغة: أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي (ت 356هـ)، تحقيق د. هاشم الطعان، بيروت، 1975م.
5. تاريخ إربل: ابن المستوفي الإربلي (ت 637هـ)، تحقيق سامي بن السيد خمّاس الصقّار، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980م.
6. تاريخ حوادث الزّمان وأنبائه ووفيات الأكابر من أبنائه؛ المعروف بتاريخ ابن الجَزْري: محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي (ت 738هـ)، تحقيق د. عمر عبد السّلام تدمري، المكتبة العصريّة، صيدا - بيروت، 1426هـ/ 2006م.
7. تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره: د. عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1993م.
8. تحقيق النصوص الأدبية واللغوية ونقدها (دراسة تحليلية مقارنة مع المناهج العربية): د. عباس هاني الجراخ، ط: مؤسسة دار الصادق الثقافية، عمّان، 2011م. ط 2: دار دُرّة الغواص، القاهرة، 2019م.
9. تحقيق النُّصوص ونشرها: عبد السلام محمّد هارون، ط 7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418هـ/ 1998م.
10. تدبير الحُبالي والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم: أحمد بن محمّد بن يحيى البلديّ (ت بعد 368هـ)، تحقيق د. محمود الحاج قاسم محمّد، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980م.
11. تكملة خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق): العماد الأصهبانيّ الكاتب، حقّقه وشرحه الشيخ محمد بهجت الأثريّ، المجمع العلمي العراقيّ، بغداد، 1981م.

12. جمهرة نسب قريش وأخبارها: الزبير بن بكار الزبيري (ت 256هـ)، حَقَّقَهُ وَذَيَّلَهُ وصنَعَ تَتَمَّتُهُ وَأَثَبَتْ فَهَارَسُهُ د. عباس هاني الجراخ، دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت، 2010م.
13. الخراج وصناعة الكتابة: قدامة بن جعفر البغدادي (ت 337هـ)، تَحْقِيقُ د. محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981م.
14. الدُّرُ الثَّمِين فِي أَسْمَاءِ الْمُصَنِّفِينَ: عَلِيٌّ بْنُ أَنْجَبِ الْمَعْرُوفِ بَابِنِ السَّاعِي (ت 674هـ)، حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ أَحْمَدُ شَوْقِي بَنِينٍ وَمُحَمَّدُ سَعِيدُ حَنْشِي، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1430هـ / 2009م.
15. ديوان الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون: صنعه وقَدَّمَ لَهُ د. كامل مصطفى الشبيبي، دار الثقافة، بيروت، 1392هـ / 1972م.
16. ديوان سيف الدين المشد؛ عَلِيٌّ بْنُ عَمْرِ بْنِ قَزَلٍ (ت 656هـ)، دراسة وَتَحْقِيقُ وَتَذْيِيلُ عَبَّاسِ هَانِي الْجَرَاخِ، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، 2000م.
17. ديوان محمد جواد عَوَّادِ البَغْدَادِيِّ: صنعة كامل سلمان الجبوري، دار المواهب، بيروت، 1999م.
18. شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى، دار الكتب المصريَّة، القَاهِرَة، 1363هـ / 1944م.
19. شرح القصائد التسع المشهورات: أَبُو جَعْفَرِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ النَّحَّاسِ (ت 338هـ)، تحقيق د. أَحْمَدُ خَطَّابُ الْعُمَر، دار الحرية للطباعة، مطبعة الحكومة، بغداد، 1393هـ / 1973م.
20. شعر الراعي النميري: دراسة وَتَحْقِيقُ د. نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1980م.
21. صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد: مجموعة من الباحثين، مركز جمعة الماجد، دبي، 1422هـ / 2001م.

22. علم التَحْقِيق للمخطوطات العربية بحث تأسيسي للتأصيل: د. فخر الدين قباوة، دار الملتقى، حلب، 1426هـ / 2005م.
23. فصول التماثيل في تباشير السرور: عبد الله بن المعتز (ت 296هـ)، تَحْقِيق مَكِّي السيد جاسم ومحمد مَكِّي السيد جاسم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.
24. فوات الدّواوين: د. عباس هاني الجَرّاح، دار الفرات الإعلامية، بابل، 2008م.
25. فوات الوفيات والذيل عليها: محمّد بن شاکر الکتبی (ت 764هـ)، تَحْقِيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974م.
26. في مناهج البحث وتحقيق النصوص: د. محمد زكريا عناني ود. سعيدة محمد رمضان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1999م.
27. في نقد التَحْقِيق: عباس هاني الجَرّاح، ط 1: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002م، ط 2: دار الينابيع، دمشق، 2006م.
28. قواعد تحقيق المخطوطات: د. صلاح الدين المنجد، ط 5، بيروت، 1976م.
29. (كتاب) بغداد: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور البغدادي الكاتب (ت 280هـ)، نَشْرُهُ عَنْ نُسخَةٍ فَرِيدَةٍ وَقَدَّمَ لَهُ وَجَمَعَ بَعْضَ نصوصه الصَّائِغة د. إحسان ذُنُون الثامري، دار صادر، بيروت، 1430هـ / 2009م.
30. المختار من تاريخ ابن الجَزَرِيّ؛ المُسمّى تاريخ حوادث الزّمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان مِنْ أبنائه: محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزريّ القرشي (ت 738هـ)، اختيار شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدّهَبِيّ (ت 748هـ)، دراسة وتَحْقِيق خضير عباس محمد خليفة المنشداوي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1408هـ / 1988م.
31. المختار من شعر ابن دانيال الحكيم: خليل بن أيبك الصَّفَدِيّ (ت 764هـ)، حَقَّقَهُ وعلّق عليه محمد نايف الدليمي، مطبعة جامعة الموصل، 1979م.

32. المذاكرة في ألقاب الشعراء: أسعد بن إبراهيم الشَّابِّي (ت 657هـ)، تحقيق شاعر العاشور، ط 1: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م. ط 2: دار الينابيع، دمشق، 2006م، ط 3: رند للطباعة والنشر، دمشق 2010م. ط 4: تموز للطباعة والنشر، دمشق 2012م.

33. المستدرك على صنَّاع الدَّواوين: د. نوري حمودي القيسي وهلال ناجي، بيروت، عالم الكتب، 1998م.

34. معجم الشعراء: المرزباني (ت 384هـ)، تحقيق وتَمَّة د. عباس هاني الجراخ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2010م.

35. منهج البحث وتحقيق النصوص: د. يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م.

36. نُزْهة الملك في وصف الكلب والمكلبين: محمد بن علي بن الخيمي (ت 642هـ)، مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق، رقم 3178.

37. الوافي بالوفيات: خليل بن أيك الصفدي (ت 764هـ)، باعثناء د. رمضان عبد التَّوَّاب، فرانز شتاينر بفيسبادن، مطابع الجمعية العلمية الملكيّة، عمَّان، 1399هـ/ 1979م.

38. الورقة في أخبار الشعراء: لمحمد بن داود بن الجراح (ت 296هـ)، تحقيق وتَمَّة د. عباس هاني الجراخ، دار صادر، بيروت، 2014م.

المقالات:

39. الآثار المخطوطة في النجف: علي الخاقاني، مجلة (الأقلام)، السنة الأولى، الجزء الرابع، 1964م.

40. أثر العوامل البشرية في ضياع التراث العربي الإسلامي: د. عابد بن سليمان المشوخي، مجلة «تراثيات»، العدد التاسع، 1428هـ/ 2007م.

41. الأضداد: عبد الله بن محمد التّوّزيّ (ت 233هـ)، تحقّيق د. محمد حسين آل ياسين، مجلّة «المورد»، مج 8، العدد 3، 1979م.
42. ديوان مجير الدين ابن تميم... نظرات ومستدرك: عباس هاني الجراخ، مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج 78، الجزء 2، 2003م.
43. شرح القصائد السبع: أبو الحسن بن كيسان (ت 299هـ)، تحقّيق د. محمد حسين آل ياسين، مجلّة «المورد»، مج 27، العدد 4، 1999م.
44. العثور على مجلّد من «تاريخ إربل» لابن المستوفي: د. بشار عوّاد معروف، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 56، ج 1، 2012م.
45. المستدرك على ديوان ابن الروميّ: د. عباس هاني الجراخ، مجلة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، مج 85، ج 2، 2010م.
46. موادّ البيان: عليّ بن خلف الكاتب (ت بعد 437هـ)، تحقّيق د. حاتم صالح الضامن، مجلّة «المورد»، مج 18، 1989.
47. النحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده: محمود شكري الآلوسي، حقّقه وشرحه محمد بهجة الأثري، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج 39، الجزء 3، 1988م.
48. نصوص مفقودة من كتاب «الخراج وصناعة الكتابة» لقدامة بن جعفر: عباس هاني الجراخ، مجلة الفيصل، العدد 169، كانون الثاني - شباط، 1991م.
49. نقد لأربع نشرات تراثيّة: د. عبد الرازق حويزيّ، مجلة آفاق الثقافة والتّراث، العدد 68، محرّم 1431هـ/ يناير (كانون الثاني) 2010م.
50. (الورقة) لابن الجراح (ت 296هـ) بين المطبوع والمخطوط... نظرات نقدية: د. عبّاس هاني الجراخ، مجلة (عالم المخطوطات والنوادر)، مج 18، ع 1، 2013م.

صفحات من تاريخ المخطوطات المصحفية الملكية المملوكية

مصحف الملك المظفر الظاهر بيبرس الجاشنكير نموذجاً:

دراسة كوديكولوجية

كريم إفراق أحمد

باحث بالمركز الوطني للبحوث العلمية

مدير المؤسسة الفرنسية للدراسات الأكاديمية - باريس

رغم أن فترة حكم المماليك، لعوامل شتى، تعد من المراحل التاريخية الغامضة إلا أن سلاطينها خلفوا من آيات المجد وآثار العظمة ما لا ينكره إلا جاحد أو مكابر. حقبة شهدت خلالها أرض مصر والشام نهضة عمرانية وحضارية كبرى وحركة ثقافية وعلمية عظيمة، ترجمت لها المدارس العامة والمكتبات الزاخرة وبيوتات العلم الوافرة، وغيره كثير. وكفى به فخراً أن هذه الدولة التي فرضت هيبتها على أعدائها كثر، قهر سلاطينها جبابرة المغول وصناديد الصليبيين كسروا شوكتهم، ظلت تحمل راية الإسلام عالية خفاقة بتلكم الديار العامة قرابة ثلاثة قرون لم تنقطع. في تلك الأيام الغابرة، لمع بين نجوم الدنيا، نجم ركن الدين بيبرس الجاشنكير (ت 709هـ)⁽¹⁾ حيث

(1) السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الجاشنكير، من مماليك الملك المنصور قلاوون البرجية. تأمر في أيام أستاذه المنصور قلاوون، وبقي على ذلك إلى أن صار من أكابر الأمراء في دولة الملك الأشرف خليل بن قلاوون. ثم لما تسلطن الملك الناصر محمد بن قلاوون، بعد مقتل أخيه الأشرف خليل، صار بيبرس الجاشنكير استاداراً، سنة 698 هـ. فأقام على ذلك سنين إلى أن ضجر الملك الناصر وخلع نفسه من الملك، عندها وقع الاتفاق بين الأمراء على سلطنة بيبرس الجاشنكير. إلا أن الأمور لم تستقم لبيبرس الجاشنكير الذي لم يكن محبوباً عند المصريين بسبب سوء الأحوال الاقتصادية والسياسية وفي عهده انخفض منسوب النيل وارتفعت الأسعار وفشا الوباء ولاحت في الأفق تهديدات مغولية وصليبية. مما أدى إلى عودة الملك الناصر إلى الحكم، فقبض على =

تدرج الرجل في الحَلَقَة وترقى في سلك الجندية، إلى أن غدا من كبار الأمراء في دولة الملك الأشرف خليل بن قلاوون (ت 693 هـ). درجة سنية نال بعدها آخر، يوم تربع الأمير محمد بن قلاوون الملقب بالناصر (741 هـ) على عرش مصر وذلك بعد مقتل أخيه الأشرف خليل، حيث نصبه، بعد سنوات معدودات، أستاذارا (أستاذ الدار)⁽¹⁾.

أمام سعة الرزق وعلو اليد، رغم ما نزل بالعامية يومها من ألوان الشدائد عدم فيها الواصل، رأى ركن الدين بيبرس، وهو يومئذ أمير لم يجلس بعد على سرير الملك، من الواجب شكرا للنعمة، ان يذر للخلف ما يشهد به السلف بعلو الهمة ونبل السجية. فما كان الا ان سأل صاحب الخط الرائق، وحيد زمانه: محمد بن الوحيد (ت 711 هـ)⁽²⁾ أن يحرر، برسمه، مصحفا شريفا يكون له في الدنيا ذكرا وفي الآخرة دخرا. ختمة سباعية شريفة نال ذاك الخطاط الألمعي شرف تحريرها بالقاهرة المحروسة، وفقا لرواية الدوري عن أبي عمرو، وفق لإخراجها للنور ما بين سنتي 704 و705 هـ، سنوات ثلاث قبل ان يتسلطن المملوك.

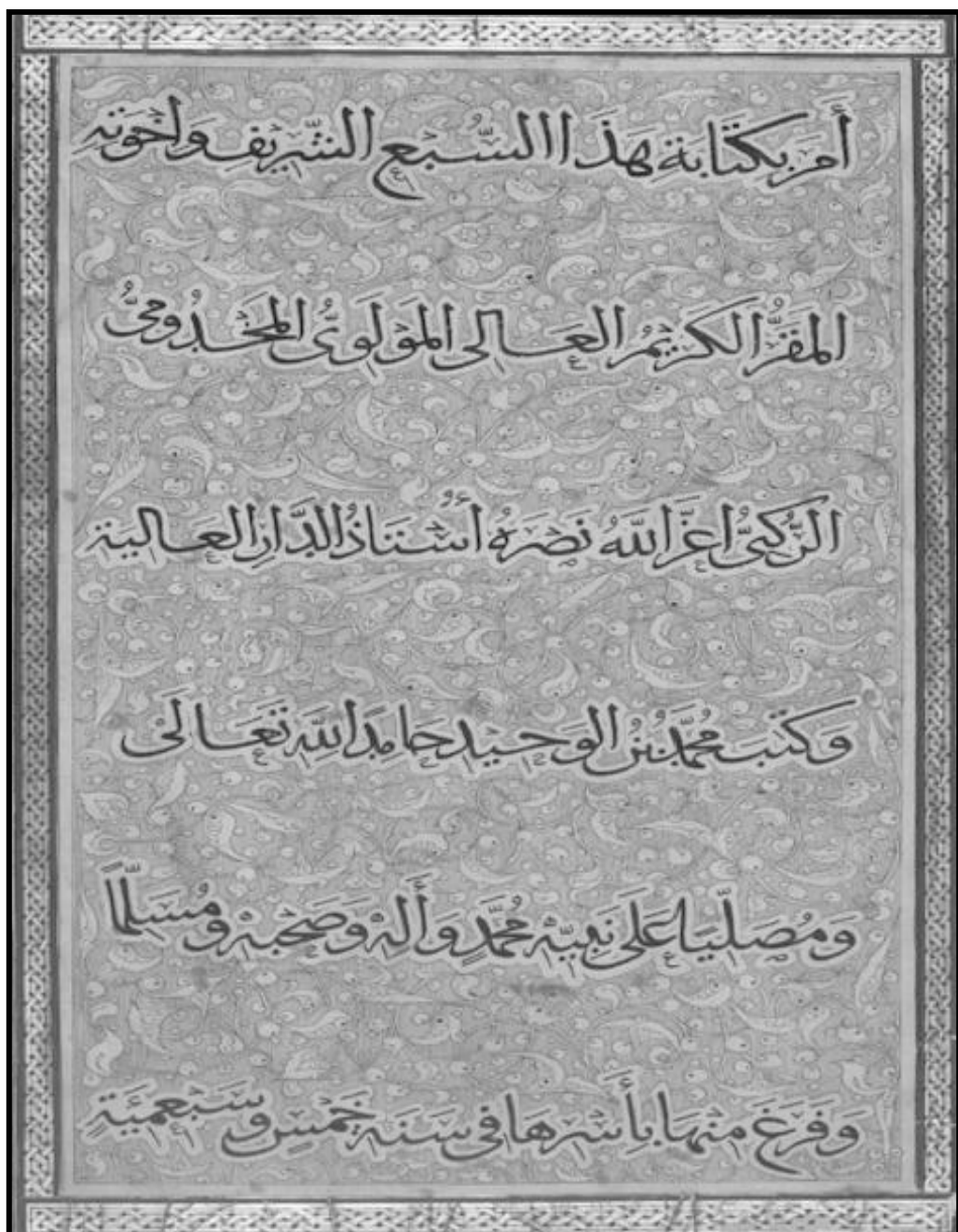
= بيبرس وحمل إليه مقيدا بالحديد. فعدد له ذنوبه وأقر بها بيبرس وطلب العفو، لكن الناصر أمر بخنقه، فخنق سنة 709 هـ ودفن خلف القلعة. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي الأتابكي، تح. محمد شمس الدين، ج 8، ص 138. السلوك لمعرفة دولة الملوك، المقرزي، ج 2، ص 311.

(1) الأستاذار والأستاذية، لفظ فارسي معناه وكيل الخرج أو المؤنة، ومعناه الاصطلاحي في دولة المماليك وظيفة من وظائف أرباب السيوف وموضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها (أستاذ الدار) من المطابخ والشراب والحاشية والغلمان وإليه أمر الجاشنكيرية، ولها تصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات وما يجري مجرى ذلك للمماليك وغيرهم. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي، ج 4 ص 20.

(2) وُلد شرف الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف بن الوحيد الزرعي المعروف بابن الوحيد الكاتب بدمشق، سنة 647 هـ، وتلقى علومه فيها. فألّم بعلوم الحديث والعربية، ومال إلى الأدب، واستهواه الخط والكاتب، فارتحل لإتقانه وأخذ عن أعلامه، فدخل بعلبك والحجاز والعراق، واجتمع بياقوت المستعصمي، إلى حين ان صار من أشهر خطاطي عصره. خدم ابن الوحيد عند جماعة من الأعيان، ودخل ديوان الإنشاء في الشام ومصر، واشتهر بنسخ المصاحف وزخرفتها وتذهيبها، فكان يهبها بأثمان عالية. توفي رحمه الله سنة 711 هـ. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي الأتابكي، ج 8، ص 138.



صفحة الختام، بسبع الختمة الشريفة الأول ثم السابع،
تبوح باسم الخطاط، رسم صاحبه وتاريخ الختام



صفحة الختام، بسبع الختمة الشريفة الأول ثم السابع،
تبوح باسم الخطاط، رسم صاحبه وتاريخ الختام

ولعله من عجيب المفارقات أن زامن استهلال تحرير مصحف الأمير بيبرس نزول رسل السلطان المريني يوسف بن يعقوب (ت 706 هـ) بالقاهرة، محملين بهدية ملكية سنية؛ مصحف جليل غشي بصفائح الذهب ونظم الجوهر والياقوت، خطه السلطان يمينه. ربعة جليلة، جمع الوراقين لمعانة تذهيبها وتنميقها، والقراء لضبطها وتهذيبها، قاصدين بها بيت الله الحرام بنية وقفها وقفا مؤبدا⁽¹⁾. أفيا تراه وقع من ذلك شيء في نفسه، دفع به الى بذل ألف وستمئة دينار ذهباً، محاكاة لربعة سلطان المغرب؟

نعم، لقد أثبتت الآثار ان الملك المظفر الظاهر بيبرس، يومها بعد أميراً، أنفق على مصحفه الشريف خيراً كثيراً ولم يبخل. كما أشارت أن الوشاة حرصت الأمير، قالت: إن ابن الوحيد الكاتب أدخل في الربعة ستمائة دينار ذهباً، بينما ادخر لنفسه ألفاً كاملة. إلا أن الظاهر بيبرس لم يلق للمرجفين بالاً، بل زاد الخطاط جملة أخرى. وأنى له أن لا يفعل والرجل طارت باسمه الركبان، اشتهر أنه كان يشتري المصحف نسخاً، دون تجليد أو تذهيب، بألف. والحمد لله أنه فعل، حيث أن هذا المصحف الشريف هو أثر الخطاط الوحيد الذي وصلنا⁽²⁾.

لا مرأ أن النظرة المقدسة التي كنها أهل الإسلام لكلام رب العالمين دفعت بعدد منهم، ألوف مؤلفة، الى تذهيب المصاحف وزخرفتها، رعاية اتفقت وميولهم لتعظيم القرآن الكريم وإكباره، إلى أن صار هذا الفن من أسمى فنون النساخة، أجلها. بيد ان غالبية المصاحف المملوكية، السلطانية منها خاصة، تعتمد أربابها ان توحى زهداً وكسوراً، إيماناً منهم بأن من موجبات المصحف الشريف أن لا يعكس بذخاً وعلواً،

(1) السلوك في معرفة دول الملوك، المقرئ، ج2، ص704.

(2) الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ج3، ص353 و54. فوات الوفيات، محمد بن شاعر الكتبي، ج3، ص390. بيروت.

يضع بها نفسه في منافسة والنص الرباني المجيد⁽¹⁾. على عكس ذلك تماما، أحدث الأمير بيبرس أمرا لم يكن متعارفا، وسلك سبيلا لم يطرقه سابق. والذي يغلب على الظن، أن طوية الرجل، ولا نزكي على الله أحدا، كانت صادقة حيث إنه كتب لربعته السنية هذه الخلود بل وكاملة، رغم صروف الدهر. فتدبدب من يد إلى يد وتحولت من دار إلى دار إلى أن حصلت لها المكتبة البريطانية بلندن، في منتصف القرن التاسع عشر⁽²⁾. ولعله من المحتمل جدا أن يكون المستشرق الفرنسي إميل بريس دافين Émile Prisse d'Avennes (ت 1879م) (قد رأى هذه الربعة البيبرسية حينما كانت بعد بالقاهرة، أي قبل أن تدخل المملكة المتحدة وتستقر بالمكتبة البريطانية ضمن مجموعة المصاحف النادرة. حيث إنه ذكر في كتابه الذائع الصيت أن مصحف السلطان الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري (ت 923 هـ)، نقل الى باريس سنة 1858م، بعد أن اشتراه تاجر يوناني من حارس تربة السلطان المملوكي، حين أمر بإصلاح قبتها المتآكلة⁽³⁾.

وبما أن السنة جرت بين أهل الدثور طمعا في الأجور، إن توقف الأموال على اختلاف مصادرها ومقاصدها، صدقة جارية تتقدمها المصاحف الشريفة، وهب الأمير بيبرس لجامع الحكم مصحفه الشريف، يقينا منه أن كلا من هما أهل لصاحبه. نقول وقفه بجامع الحكم إياس (ت 929 هـ) وهو المتأخر زمنا⁽⁴⁾، والذي أشار بان صاحب الربعة أمر بوضعها بخانقاه المشهورة⁽⁵⁾.

(1) ينظر، مثالا لا حصرا، مصحف السلطان برقوق (arabe 5845)، ونجده السلطان فرج (arabe 5848).

(2) دخلت الربعة السلطانية في ملك المكتبة البريطانية بلندن، يومه الجمعة 12 حزيران 1858م، بعد أن قامت بابتاعها من الشركة البريطانية المعروفة T & W Boone، المتخصصة في بيع وشراء الكتب النادرة.

(3) Émile Prisse d'Avennes, L'art arabe d'après les monuments du Kaire: depuis le VIIe siècle jusqu'à la fin du XVIIIe, p. 259.

(4) بدائع الزهور في وقائع الدهور، ابن إياس، ج 1، ص 124.

(5) خانقاه بيبرس الجاشنكير أو الخانقاه البيبرسية أنشئها السلطان بيبرس الجاشنكير ابتداء من=

الذي لا ريب فيه، أن السلطان بيبرس خرج، سنة 704هـ، إلى مكة في صحبة رسل سلطان المغرب بنية أداء فريضة الحج، وذلك بعد أن انتهى من ترميم ما تشعت وبنیان ما تهدم من جامع الحكم الذي اعتراه سنة 702هـ، من دكة الزلزلة يومها ما اعتراه. حتى إذا عاد من حجته سنة 705هـ سالما غانما، وجد ختمته المسبعة اكتمل شأنها، فأمر بوقفها بالجامع المذكور بجانب خزانة كتب حبس بها نحو خمسمائة سفر في شتى فنون العلم، يقرأ منها في كل يوم جمعة، قبيل الخطبة. خبر يشهد على صحته ما ذكره النويري (ت 733 هـ) في أربه، والصفدي (ت 764 هـ) في وفياته، وابن حجر (ت 852 هـ) في درره⁽¹⁾. كما يعززه ما نقله أصحاب التواريخ بأن الأمير بيبرس امر بتشيد خانقاه سنة 706هـ، فلم تستكمل إلا سنة 709هـ، مؤكدين بأن السلطان محمد بن قلاوون أمر بإعدامه خنقا السنة نفسها، فلم تطأها قدماءه. ثم هب، نزولا عند قول المقرزي (ت 845 هـ) إنه عمرها، فإنه لا يفوتنا أن السلطان محمد بن قلاوون قضى بأخذ كل ما فيها وإغلاق أبوابها كي أبدا لا ينتفع بها أحد.

= سنة 706 هـ، وقت أن كان أميراً. وعقب الفراغ منها عام 709 هـ، قبض عليه الناصر محمد بن قلاوون، ثم أمر بإغلاقها بعد أن أمر بخنقه. وقد جاء في شريط الكتابة المنقوش في الرخام الذي يعلو حنية المدخل ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بإنشاء هذه الخانقاه السعيد، وقفا مؤيدا على جماعة الصوفية من فيض الله تعالى ركن الدين بيبرس المنصوري عبد الله الفقير إليه الراجي رحمته يوم القدوم عليه ضاعف الله ثوابه وزكى أعماله ويسر له أسباب ما نشط إليه من المعروف بأماله بمنه وكرمه وأفضاله وصلى الله على سيدنا محمد. وقد ذكر المقرزي أن الظاهر بيبرس رتب بها أربع مائة مُريد وبالرباط الذي شيده الى جانبها مائة جندي، يصلون ليلهم بنهارهم، هؤلاء بالذكر والصلاة وأولئك بالمصابرة والمرابطة. ومن أجل أن تصير منارا يهتدى به، رتب بالقبة درسا للحديث الشريف، وبالشباك الكبير قراء يتناوبون فيه ليل نهار. وحتى لا تتوقف أرزاقها فيتعطل مسارها، وقف عليها عددا من الضياع بدمشق وحماة والجيزة والصعيد من أرض مصر إلى جانب غيرها بالقاهرة. فجاءت دار الصوفية أجل خانقاه بالقاهرة المحروسة بنيانا وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة وأرغدها نعمة. الخطط والآثار، المقرزي، ج2، ث 416 و17.

(1) نهاية الأرب في فنون الادب، النويري، ج32، ص 58. الوافي بالوفيات، الصفدي، ج3، ص 125. الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ج3، ص 453.

نسخ الخطاط محمد بن الوحيد ختمته في 2188 صفحة تحديدا، في ورق بغدادي كامل، مقاسه 48 سم طولا و32 عرضا، بخط بديع نهل من ينبوع الثلث الجلي، بماء ذهب كله. ربعة تجسدت في سبعة أجزاء كبار مجلدة تجليدا فاحرا محكما ومذهبا، جنبا الى جنب وزخرفة منمقة تأخذ العين وتبهج خاطر. فغدى مصحف السلطان سلطانا للمصاحف، جوهرة يتيمة وتحفة أثرية فريدة خلدها أيادي مبدعين حاذقين، نسخت بماء ذهب كله⁽¹⁾.



يفتح كل جزء من الختمة المباركة على صفحتين متقابلتين، وذاك تبعا لتقنية المرأة، ديباجتين غاية في الجمال والجلالا، تتباهى كلاهما بزخرفة مذهبة نمقها أبو بكر محمد بن المبادر، المعروف بصندل، والذي علا نجمه في فن التذهيب، حيث لم يتردد بالاشهار بنفسه في مواضع شتى، تنبها على جلال شأنه وعلو قدره⁽²⁾.

(1) للوقوف على هذه الربعة السباعية الجليلة كاملة، ينظر هذا الرابط:

[#https://www.bl.uk/collection-items/sultan-baybars-quran](https://www.bl.uk/collection-items/sultan-baybars-quran)

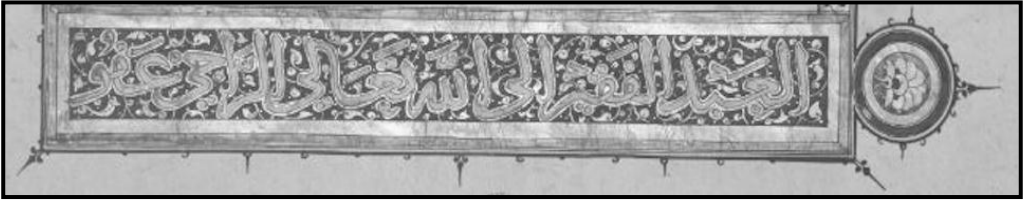
(2) من اعمال أبو بكر محمد بن المبادر، المعروف بصندل، الفنية في التزيين، المصحف المملوكي الذي نسخه الخطاط المصري أحمد بن كمال بن يحي الأنصاري المتطب، سنة 732هـ، في 30 جزء، والموجود حاليا بمكتبة جستر بيتي بدبلن.



ولبعد الشقة وعظيم الجهد، حيث إن المذهب غير المزمك، فقد أشهر هذا الأخير بنفسه في مستهل السبع الرابع والسابع، فسطر اسمه كاملا: أيدغدي بن عبد الله البدري، مشعرا بماء الذهب، في قلب خرطوشين في أعلى وأسفل الصفحة، أرضيتهما زرقاء، مؤطران بجدولين، الأول أحمر والثاني مذهب، مشيرا في الوقت ذاته الى تاريخ الختام: سنة خمس وسبعمئة⁽¹⁾.



زمك هذا السبع الشريف واخوته



العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفو

(1) من أعمال أيدغدي بن عبد الله البدري الفنية في التذهيب، المصحف المملوكي الذي نسخه الخطاط المصري شادي ابن محمد بن شادي بن داود، سنة 713هـ، لحزاة السلطان الناصر، والموجود حاليا بمتحف الفنون الإسلامية بإستانبول.

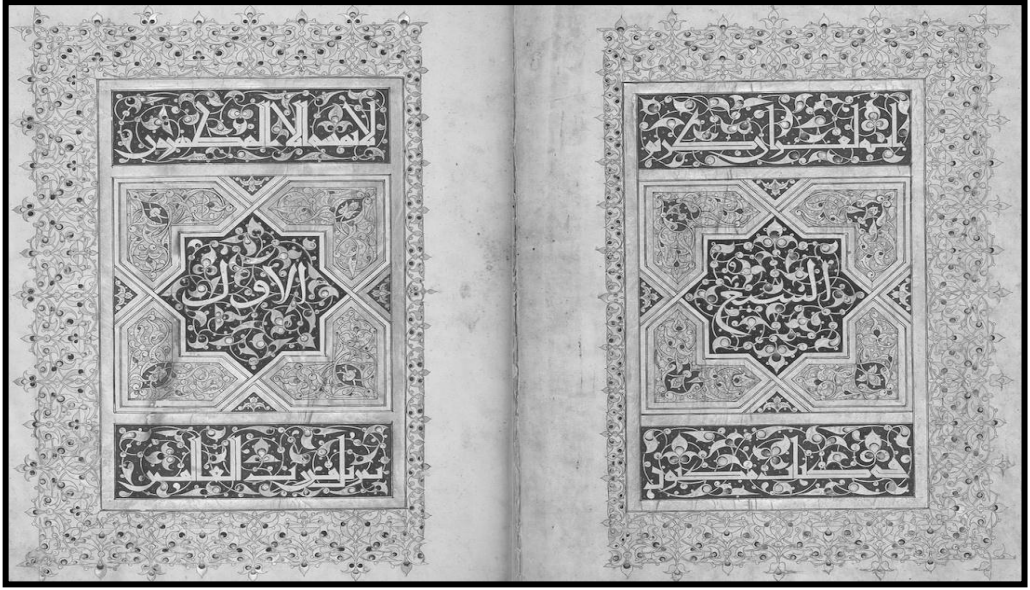


الله ورحمته أيدغدي بن عبد الله

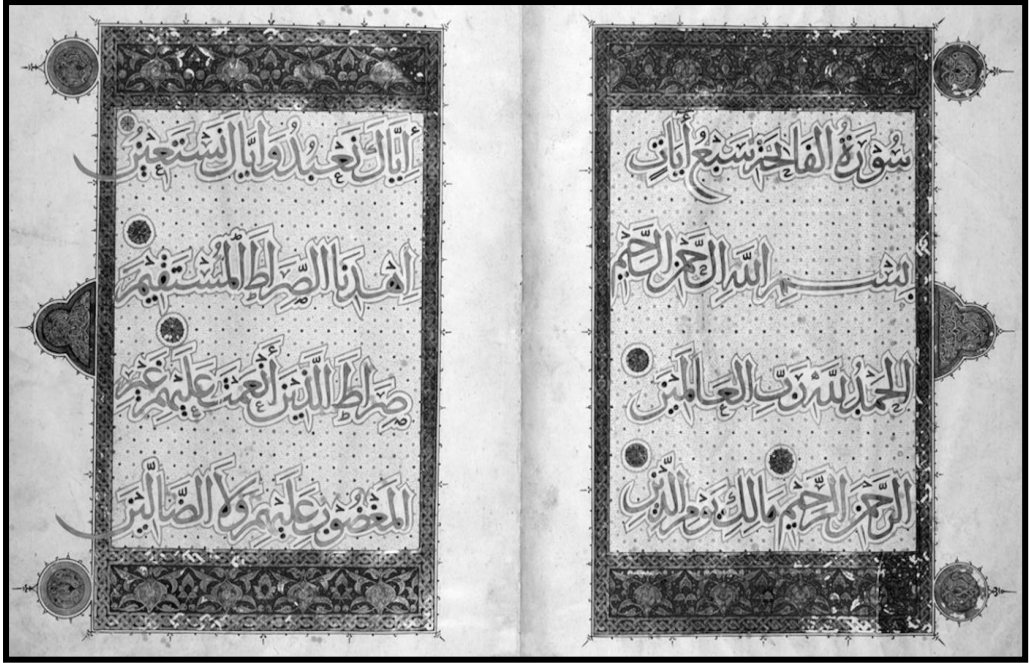


البدرى عفا الله عنه في سنة خمس وسبعمئة

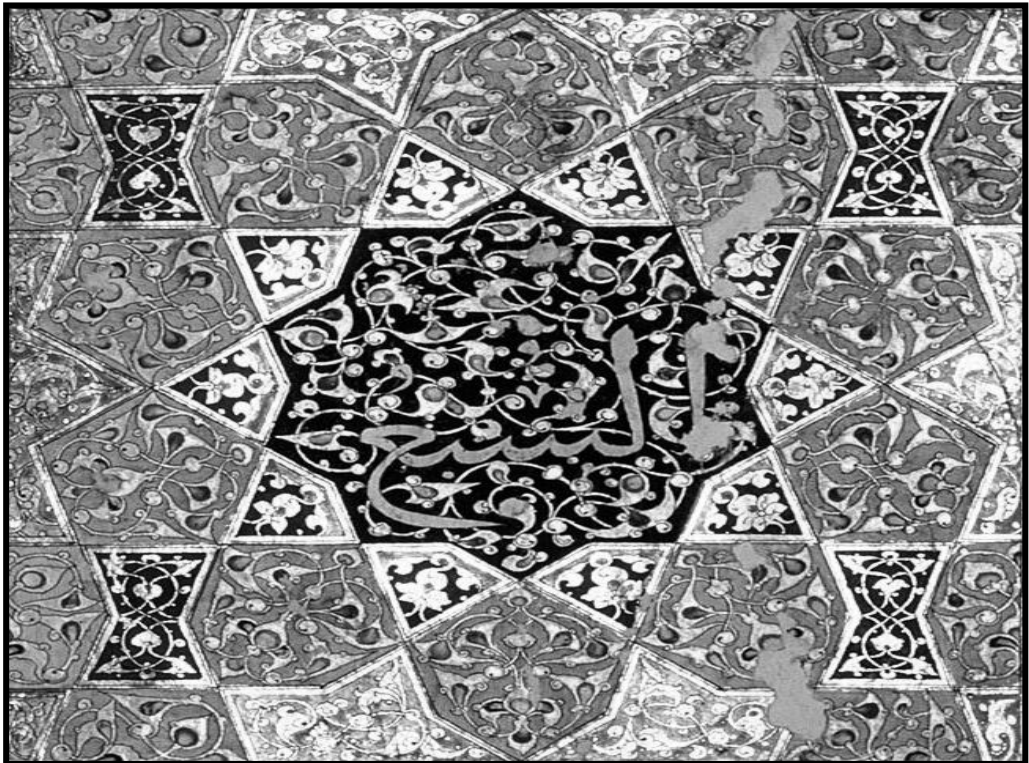
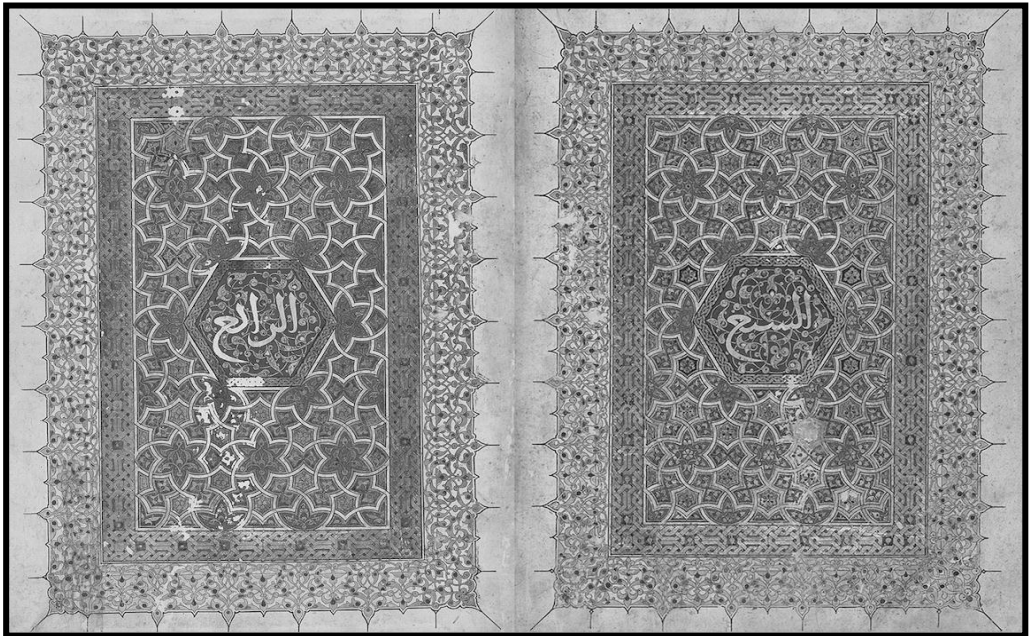
وتبعاً لتقنية المرأة المتصاهرة مع تقنية البساط، جاءت الزخارف الاستهلالية مخضبة بألوان فارحة متباينة مزجت بين هندسية متداخلة متناسقة ونباتية دقيقة متشجرة، لا يشبه بعضها بعضاً. فجاء السبع الأول، زخرفة صفحتيه المتواجهتين، إطارات ثلاث متواشجة متنافسة، طوق بعضها بعضاً. الأول ذو زخرفة نباتية ذهبية مورقة اتصل أولها بآخرها، اكتنف أطارا ثانياً اثبت في أعلاه وأسفله خرطوشاً أرضيته زرقاء لازوردية، عزز بزخرفة نباتية متشعبة، سطر خلاله، بمداد أبيض ناصع، بالخط الكوفي قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَرُءٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: 77-80]. أما الإطار الثالث والأخير، فقد احتضن زخرفة وحداتها هندسية، حدودها بيضاء عريضة، قلبها نجمة ثمانية أرضيتها زرقاء لازوردية أيضاً، زينت بزخرفة نباتية برعمية أفعوانية، سطر خلالها بخط النسخ، بمداد أبيض ناصع، كلمة تنبه القارئ بأنه السبع الأول.



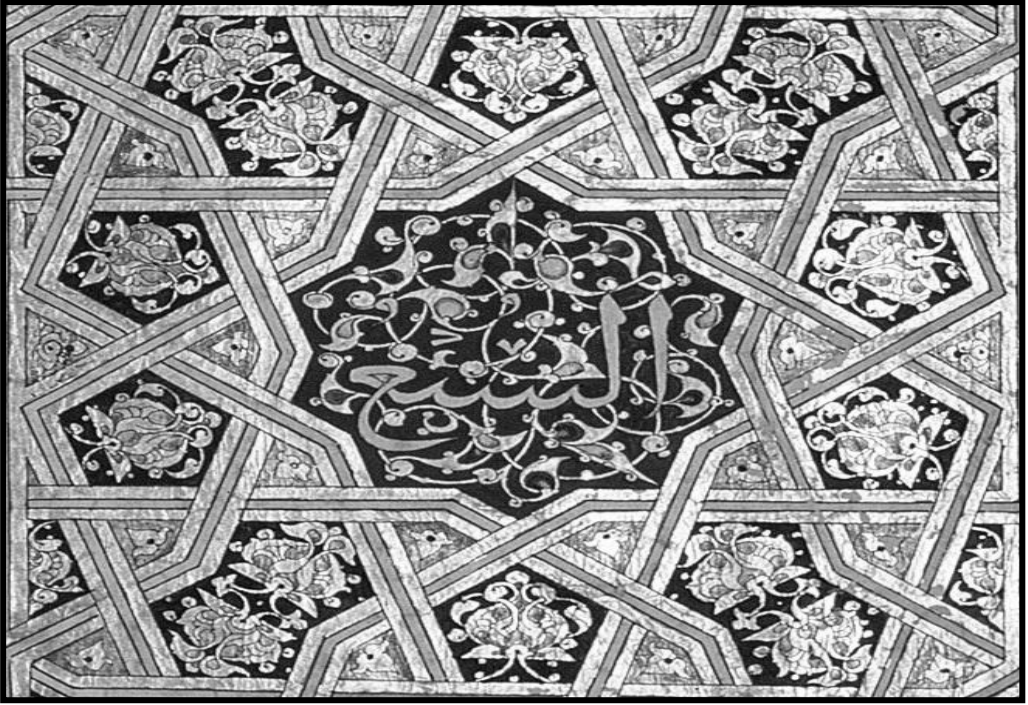
حتى إذا توارت الصفحتين الأولاتين، تجلت سورة الفاتحة على صفحتين متقابلتين تبعا لتقنية المرأة المعروفة، ضمن إطار زخرفته حبال متعانقة، ضم إليها، في أعلاها وأسفلها، خرطوش زين بزخرفة نباتية بهية أينعت خلالها وريدات ياقوتية، وضع إلى جانبيه حلقتين اثنتين الأولى عند رأسه والثانية عند قدمه، معززتين بثالثة وضعت بينهما، جاءت على شكل قبة متراكبة.



وكي يشرق إبريز سورة الفاتحة التي سطرت آياتها السبع بليقة الذهب الخالص، رسم اسمها بمداد أحمر ياقوتي زاد نوره الضياء نورا. بعده، ارتأى عبد الله البدرى أن يجعل كل آية من آيات الفاتحة السبع، في قلب زركشة بديعة تبعا لتقنية السحب التي اختلقها المدرسة الصينية. وختاما، كلل ما بين السحب بنجوم مسدسة متصاهرة، رصعت عيونها نقطاً حمراء تارة، زرقاء أخرى، أضفت على النضارة عمقا وجمالا وجلالا. وعلى هذا المنوال جرى تنميق باقي الربعة، غرة كل سبع من أسباعها تستوقفنا نضارة صفحتها الاستهلايتين المتقابلتين، تليهما صفحتين أخرتين مزركشتين، الكل بزخارف هندسية رشيقة ونباتية دقيقة، لا حظ للشبه بين أولها وآخرها، طعمت جميعها بالذهب الخالص ورونقت بحزمة من الألوان القشبية، وزعت بين أزرق داكن ومنفتح، وأحمر أرجواني وشفقي.

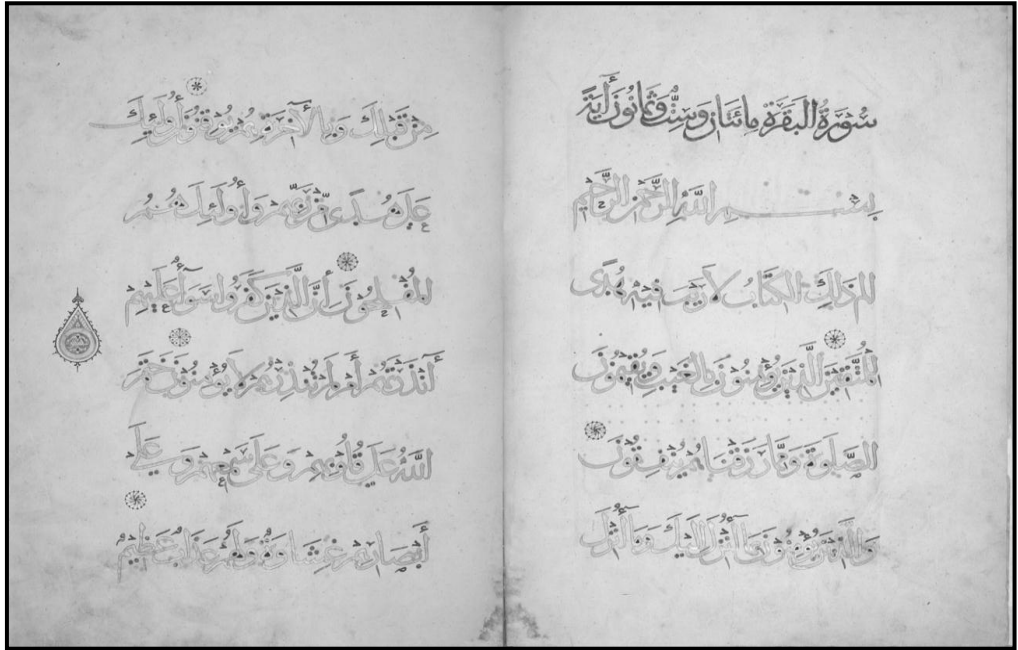


صورة توضيحية لزخرفة السبع الثالث والسابع



صورة توضيحية لزخرفة السبع الثالث والسابع

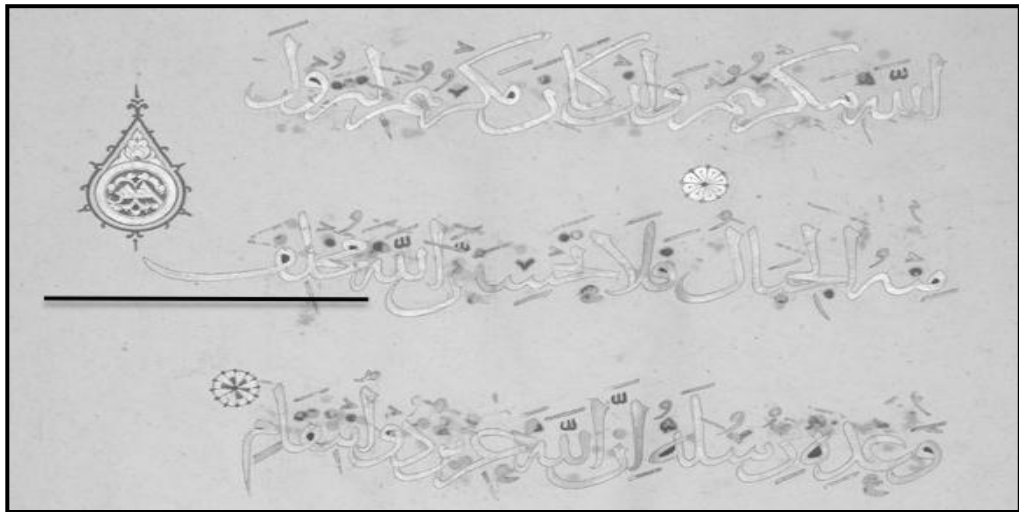
والى جانب هذه الصرة من الزخارف القشبية، وظف صندل المذهب، نماذج اخر تخللت آيات سور الختمة الشريفة، جاءت منارا ترشد القارئ إلى تجزئة المصحف. فجسد الأعشار في شكل حلقة، أما الأنصاف والأرباع والسجديات فعلى شكل جوزة. وبما أن مصاحف العصر المملوكي فصلت بين الآيات بدون ترقيم، مستمرة علامة هامشية خاصة، فقد أشير إليها بوردة كروية مذهبة ذات ستة بتلات تارة وبنجمة إثنا عشرية أخرى. أما المتن المبارك، فقد حبره خطاطنا الألمعي محمد بن الوحيد، من فاتحته الى معوذتيه، أربع أسطر في الصفحتين الاستهلالتين وست في الباقي، بماء ذهب كله. أمر نراه غريبا أيضا، كون غالبية المصاحف المملوكية اعتاد خطاطوها وضع سطورها فردية، إشارة إلى توحيد الخالق وتنزيهه، بخلاف هذا المصحف الشريف.



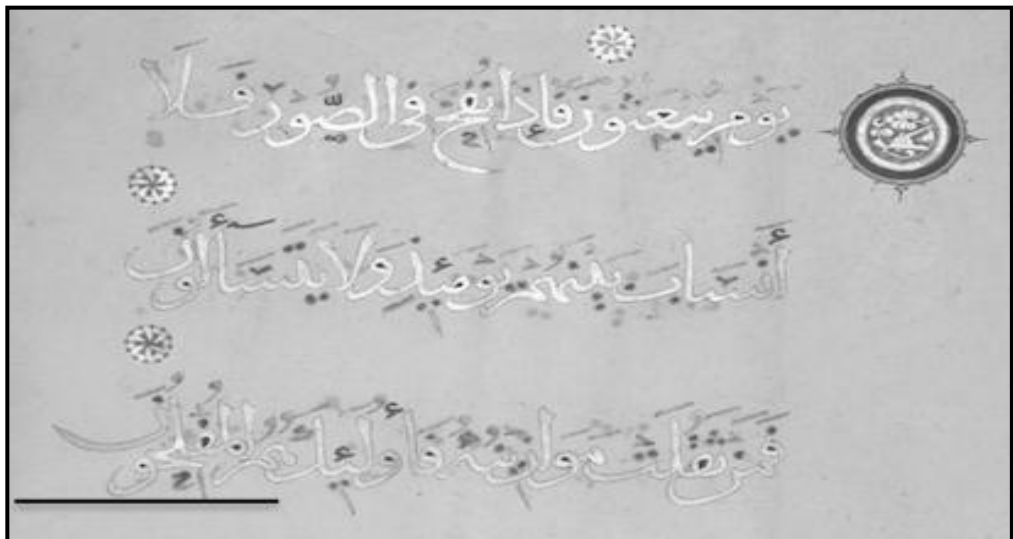
وإلى جانب عدد من التركيبات الفنية الأنيقة والرشيقة، عمد الخطاط ابن الوحيد، من حين إلى آخر، إلى إرسال الحرف الأخير من السطر، وبقا كان مطواعة للإرسال أو المد، مضافاً على الصفحة قافية بصرية أخاذة، جرياً على ما دأب عليه أساتذة هذا الفن من أمثال ياقوت الموصلي (ت 618 هـ)⁽¹⁾ في مخطوطته اليتيمة: نهج البلاغة⁽²⁾. أما عناوين سورته، فقد رسمت بمداد أحمر شعر بثان اسود دقيق، استثمر لضبط ونقط آياته، خلافاً للهمزات والشدات والسكنات، فقد نبه إليها بمداد مائه أزرق.

(1) أبو الدر ياقوت بن عبد الله الموصلي الكاتب، الملقب أمين الدين، المعروف بالملكي، نسبة إلى السلطان أبي الفتح ملكشاه بن سلجوق بن محمد بن ملكشاه الأكبر. كتب الكثير وانتشر خطه في الآفاق، بعد أن أخذ الخط عن الشيخة المحدثّة الكاتبة شهدة بنت أحمد الإبري الدينوري. ولم يكن في آخر زمانه من يقاربه في حسن الخط ولا يؤدي طريقة ابن البواب في النسخ مثله، مع فضل غزير ونباهة تامة، وكان مغرئاً بنقل «الصحاح» للجوهري، النسخة تباع بمائة دينار. وافته المنية بالموصل سنة ٦١٨ هـ، وقد أسن وتغير خطه من الكبر، رحمه الله تعالى. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان.

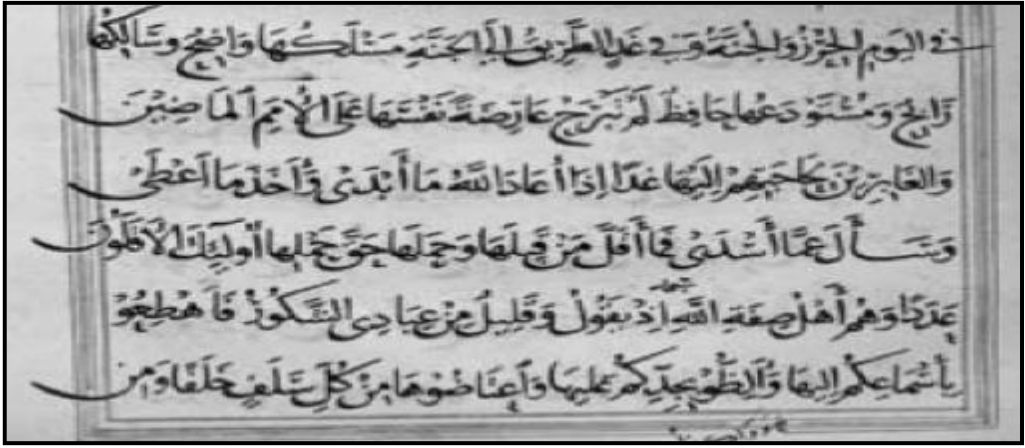
(2) مخطوطة خاصة بيعت بالمزاد بلندن.



السبع الرابع، ص 7



السبع الخامس، ص 8



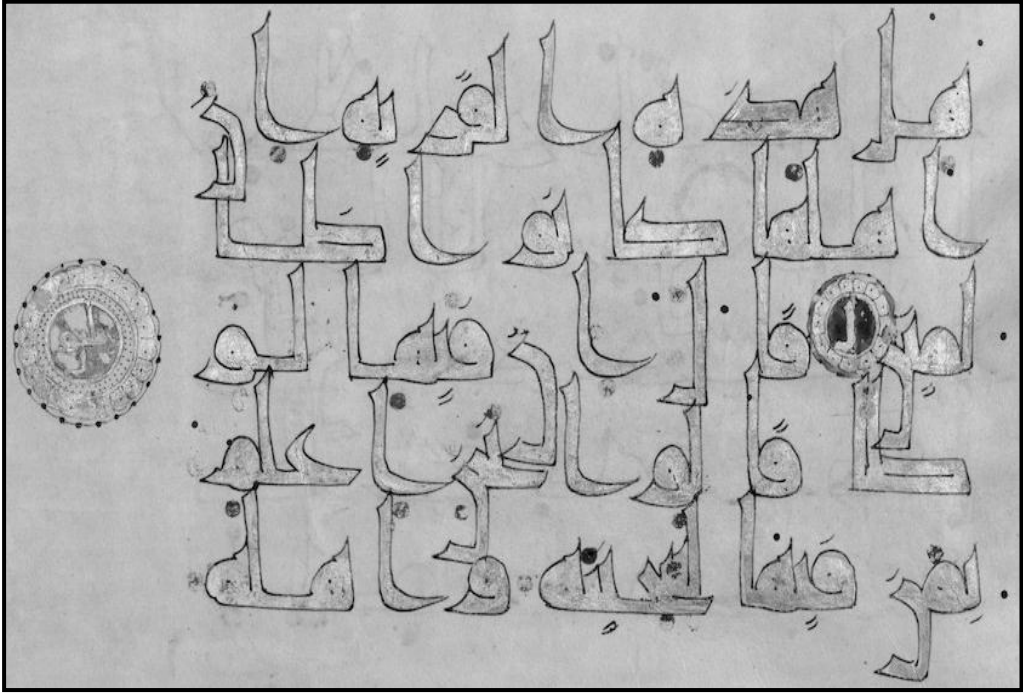
صورة من مخطوطة نهج البلاغة لياقوت الموصلية (ت 618هـ)، بيعت بالمزاد بلندن

غير أنه يحق لنا ان نتساءل عن سبب زهد ابن الوحيد في خط المُحقق الذي به، لا بغيره، جرت عادة الخطاطين المصحفين نسخ غالبية المصاحف المملوكية زمنه، واصطفى خط الثلث الجلي الذي غالباً ما يترابط ويتقاطع في أشكال متدفقة معقدة، لرسم آيات الختم الشريفة. أنزولا عند رغبة الأمير؟ ام لأن خط الثلث أليق لليقة الذهب؟ ام تمت علل اخر؟ لقد كان استخدام هذا النوع من الخطوط لنساخته ختمه كاملة أمراً نادراً في ذاك العصر، مما يدل ويؤكد على مدي أهمية ومكانة هذه النسخة الإستثنائية للمصحف الشريف.

ولكي لا نعود القهقري، صفر الأيدي خائبين، سنحاول الإجابة على سؤال يطرح نفسه لا يفتأ يروادنا: هل حرر الخطاط النص القرآني بماء الذهب أولاً ثم شعره ثانياً أم العكس؟

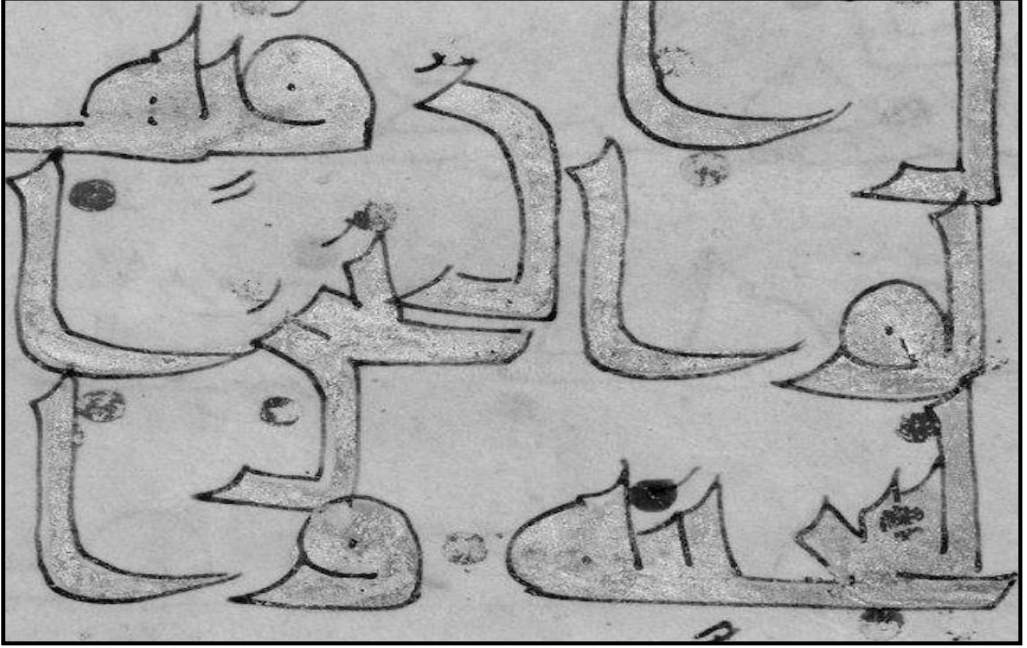
الذي يميل إليه الرأي أن الخطاط نسخ آيات الختم الشريفة، جزءاً بعد جزء، بليقة الذهب أولاً، بقلم نجعل ماهيته، قبل ان تشعر جوانحها تباعاً بمداد أسود دقيق يكاد لا يبصره الحاذق المتمرس. والظاهر أن ابن الوحيد اطمأن لهذا المنهج كونه

الأليق لإخراج النص القرآني الشريف بليقة الذهب في أبهى حلة وانضر صورة، متحاشيا البرامج العتيقة التي خضعت لها المصاحف المبكرة والتي كانت تبرز خللا بينا يحط من قيمة العمل الفني⁽¹⁾.



صفحة من مصحف شريف يعود إلى القرن الثاني الهجري، AKM480،
بمتحف الأغا خان بتورنتو

(1) حول ليقة الذهب وكيفية تحصيلها ومعالجتها، يرجع إلى: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، ج2، ص 467، دار الكتب المصرية، 1992. تحف الخواص في طرف الخواص، القللو سي الاندلسي، ص30، مكتبة الإسكندرية، 2008. المخترع في فنون من الصنع، الملك المظفر عمر بن علي بن رسول، ص 89، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، 1979. صناعة تفسير الكتب وحل الذهب، السفياي، ص 18 الى 22، ريكار، باريس، 1925.

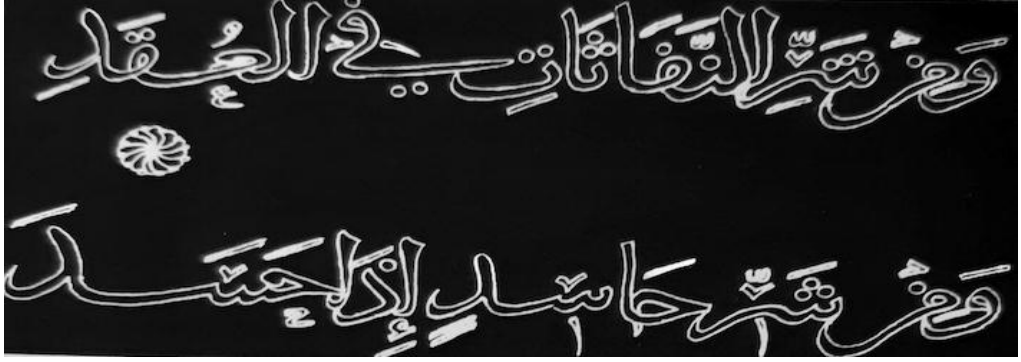


نموذج توضيحي للصفحة نفسها، يتجلى من خلاله التشعير بممداد أسود، مغايرا لعملية التذهيب التي حصلت تباعا.

ولكي نكفر الغطاء عن هذه التقنية الفنية الدقيقة التي تستوجب جهدا وتركيزا ومصابرة لا تستطيعها البطلة، فإننا سنستعين بهذه النماذج التي ستبدي لنا جليا عملية التذهيب والتشعير، كل على حدى، بلا أدنى منازع.



نموذج توضيحي لآية من سورة القدر، يتجلى من خلالها التشعير بلون اسود داكن، مغايرا للون الباهت والذي يمثل ليقة الذهب.



نموذج توضيحي لآيات من سورة الفلق، يتجلى من خلالها التشعير بلون أبيض ناصع، مغايرا للون الاسود الداكن والذي يمثل ليقة الذهب.

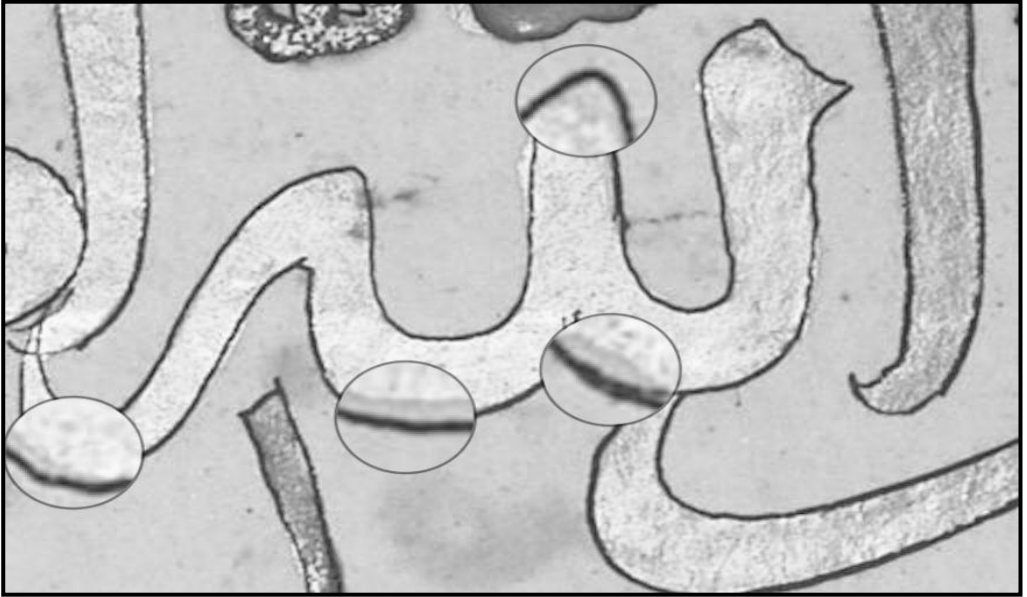


نموذج توضيحي لحرفي الالف والكاف، يتجلى من خلالهما التشعير بلون ازرق داكن، مغايرا للون الأزرق الباهت والذي يمثل ليقة الذهب.

بيد أننا استطعنا، وذاك بفضل التصوير العالي الدقة والذي يمكن من تكبير العينات إلى أقصى حد، أن نرفع الغطاء أخيرا على المنهجية التي ارتضاها محمد بن الوحيد لنسخ ربعته السباعية الشريفة.

اعتمادا على هذه البيانات، اتضح لنا أن الخطاط قام بعملية النسخ أولا، بخط الثلث الجلي مستعينا بقلم دقيق، قبل أن ترادفها عملية التذهيب التي تركت بصماتها بينة

من خلال النقص الذي يعتري أمثالها. نقص لم يفلت منه مصحف الملك المظفر الظاهر بيبرس الجاشنكير، رغم القرون التي تفصل بينه وبين المصاحف المذهبة المبكرة. مصحف يبقى رغم هذه المنقصة، من أبهى وأرقى المصاحف المخطوطة وواحدة من التحف الفنية والأثرية الاستثنائية التي لم تعبت بها، بفضل من الله ومنه، أيادي الدهر وصروفه. من أجله، قررت المكتبة البريطانية بلندن نشر نسخة طبق الأصل للربعة السباعية لمصحف الظاهر بيبرس الجاشنكير. ربعة سيتم طباعتها على ورق مماثل تم تصنيعه خصيصاً لهذا الغرض، تذهيبها وتجليدها بأرقى الجلود محاكاةً للنسخة الأصلية.



نموذج توضيحي لإسم الجلالة من سورة الهمزة، بالسبع السابع، ص 161، يتجلى من خلالهما التعبير بلون أسود داكن، ثم عملية التذهيب التي لم يستطع صاحبها ملأ كل الفراغات.

قائمة المراجع

1. مصحف الملك المظفر الظاهر بيبرس الجاشنكير
للاطلاع على المصحف كاملاً أو تنزيله من موقع المكتبة البريطانية بلندن:
; Add MS 22407; Add MS 22408; Add MS 22409; Add MS 22406
MS 22410;
; Add MS 22412. Add MS 22411
 2. بدائع الزهور في وقائع الدهور، ابن إياس، ج 1، ص 124، مطالع الشعب، القاهرة، 1960.
 3. تحف الخواص في طرف الخواص، القلوسى الأندلسي، مكتبة الإسكندرية، 2008.
 4. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقرئزي، دار صادر، بيروت، د.ت.
 5. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، تح. سالم الكرنكوي، دار الجيل، بيروت، 1993.
 6. السلوك لمعرفة دولة الملوك، المقرئزي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
 7. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، دار الكتب المصرية، 1992.
 8. صناعة تفسير الكتب وحل الذهب، السفياي، ريكار، باريس، 1925.
 9. المخترع في فنون من الصنع، الملك المظفر عمر بن علي بن رسول، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، 1989.
 10. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي الأتابكي، تح. محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
 11. نهاية الأرب في فنون الادب، النويري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.
 12. الوافي بالوفيات، الصفدي، تح. أحمد الارناؤوط، تركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، 200.
 13. فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، دار صادر، بيروت، 1974.
- Émile Prisse d'Avennes, *L'art arabe d'après les monuments du Kaire: depuis le VII^e siècle jusqu'à la fin du XVIII^e*, J. Savoy & C. Éditeurs, Paris, 1877.

ملاحق تقييدات الأحسائين على المخطوطات

محمد علي الحرز

باحث في تراث الأحساء

يعد المخطوط في الثقافة العربية من أهم أوعية المعلومات، ومصادر المعرفة التاريخية، فهو إضافة لكونه منبع لدراسة وقراءة فكرية لمرحلة تاريخية معينة، وما تضمنه من معارف وعلوم، تأتي التقييدات على المخطوط لتكون من أهم المصادر لمعرفة وتصحيح الكثير من المعلومات الغير مقيدة في بطون الكتب، فقد يصحح معلومة هامة، وقد يؤكد حقيقة معينة كانت تشوبها الكثير من الاضطرابات والغموض، وقد يضيف العديد من المعلومات الهامة حول شخصية معينة، كما قد يصحح معلومات أخرى حولها، ناهيك عن كونه وعاء حيوي لعدد كبير من المعلومات التي قد تدون على أطراف هذا المخطوط أو ذاك خلال تنقلاته بين ملاكه هنا وهناك، وهذا ما سنحاول التعرض له من خلال التركيز على أهم الأبعاد والأصعدة التي تضمنتها المخطوطات من الجوانب العلمية والتاريخية دون الخوض في الحديث عن نفس المخطوط وأهميته من حيث المحتوى والمضامين.

وذلك عبر تركيز على الهوامش، والصفحات الأولى والأخيرة وأغلفة الكتب، وما كتب فيها من تذييلات علمية وتاريخية تعد غاية في الأهمية، وهذا ما يؤكد الباحث (روزنتال فرانتز) بقوله: «إن المخطوطات إلى جانب كونها تتضمن متن المصنّف كانت تحتوي على معلومات وفوائد إضافية ذات قيمة عظيمة للعالم، فقد توجد أحياناً كثيرة على حواشي المخطوطات نظرات ذات قيمة في النقد، كان العالم يدقق النظر في هذه الملاحظات التي يجدها في مقدمة الكتاب، وفي توابع المصنفين في آخر الكتاب، وفي

الإجازة وما شابهها من تعليقات في المخطوطات مبثوثة هنا وهناك، بحثاً عن أي ضوء يعينه على تحقيق ما غمض، ومن المواضيع التي يجد فيها العالم المنقب معلومات وفوائد قيمة الغلافات الداخلية للمخطوطات، وفي جلد الكتاب الداخلية، وعلى ظاهر الكتاب أحياناً على وجه الجزء».

وستعرض خلال حديثنا عن أنواع التقييدات للأهمية العلمية التي تشكلها مثل هذه المعلومات المتناثرة هنا وهناك في ثنايا المخطوطات، وما أضافته لنا من معارف ومعلومات تقربنا كثيراً من النظرة الحقيقية للواقع الملموس في حينه.

وقد حفلت المخطوطة الأحسائية بمفهومها الواسع الذي نعني به كل مخطوطة تضمنت تقييدات أحسائية بغض النظر إن كان مصنفها أحسائي أو غيره، بالعديد من المضامين العلمية والتاريخية في هوامشها وذيولها، والتي تعد وقودنا لهذه الدراسة المختصرة، حول تقييدات الأحسائيين على المخطوطات.

وهي تعد عصارة ونتيجة بحثنا حول النسخ، والتملكات الأحسائية للمخطوطات، والكاشف الحقيقي عن قوة الحراك العلمي الأحسائي عبر العصور المنصرمة، في جوانب وشذرات كانت مهمشة وغير ملتفت إليها في التاريخ الأحسائي، أردنا من خلالها تسليط الضوء على جوانب قد تفتح أفق لبعض الباحثين في التعمق فيها أكثر وإفراد دراسة تفصيلية مستقلة لمختلف هذه الجوانب نظراً لأهميتها وقيمتها العلمية على الصعيد التاريخي والعلمي لمنطقة الأحساء.

التقييد:

ونعني بها تلك الكتابات العلمية التي تكون على أغلفة الكتب المخطوطة أو في ثنايا صفحاتها، أو خاتمتها سواء ارتبطت بتاريخ النسخ أو وقفية أو إجازة أو تملك أو غيرها، يمكن أن تضيف على المادة العلمية والمستفادة من المخطوط نفسه، ويمكن تعريفه بشكل أكثر دقة بما يلي: «ويقصد به كل نص كتب على صفحة العنوان في

المخطوطات أو في الصفحات الأولى منه أو على هوامشه أو خاتمته مما ليس له علاقة بنص المؤلف، بل هو إضافة من شخص أو أشخاص آخرين، كالمالك أو الناسخ أو الواقف، وهي متنوعة، منها: «الرواية، السماع، القراءة، الإجازة، المناولة، النسخ، المقابلة، والتصحيح، المطالعة والنظر، التملك، الشراء، الوقف، وتقييدات أخرى، كولادة أشخاص أو وفاتهم أو أبيات شعرية أو أمثال»⁽¹⁾.

وبهذا يتضح إن التقييدات تأخذ أشكالاً وأنماطاً متعددة، تختلف أهميتها بحسب مضمونها والمادة العلمية التي تحملها، ويمكن توضيح ذلك عبر تبيين أنماط التقييدات الأحسابية وما أبرزته من فوائد علمية كانت عوناً ومساعداً للباحثين، وقيمة علمية زادت من قيمة المخطوط نفسه:

أنماط التقييدات الأحسابية:

النسخ:

في لسان العرب يأتي معنى: نسخ الشيء ينسخه نسخاً وانتسخه واستنسخ: اكتبه عن معارضه.

وفي التهذيب: النسخ اكتابك كتاباً عن كتاب حرفاً بحرف، والأصل نسخة، والمكتوب عن نسخة لأنه قام مقامه، والكاتب ناسخ ومنتسخ.

والاستنساخ: كتب كتاب من كتاب؛ وفي التنزيل:

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾ أي نستنسخ ما تكتب الحفظة فيثبت عند الله؛ وفي التهذيب: أي نأمر بنسخه وإثباته⁽³⁾.

(1) اليحيا، د. نادية بنت عبد العزيز، تقييدات النجديين على المخطوطات أنماطها ودلالاتها التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية: الرياض، الطبعة الأولى: 1429هـ - 2008م: 35.

(2) سورة الجاثية، الآية: 29.

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي: بيروت، الطبعة الأولى: 1408هـ/ 1988م: 121/14.

وبمعنى آخر كلمة النسخ أو قيد النسخ تطلق على: «القيود الموجودة في نهاية المخطوط، والتي تُبين المكان والزمان اللذين كتب فيهما المخطوط، وكذلك الشخص الذي كتبه قيد الكتابة أو النسخ أو الفراغ. ويوجد هذا القيد أحياناً في أواخر الأجزاء التي يتضمنها الكتاب»⁽¹⁾.

هناك كمية كبيرة من تقييدات النسخ على المخطوطات الأحسائية، وهي أكبر من أن نحصيها ونوردها هنا لإيجاز البحث، وإنما سنكتفي بعرض مجموعة من النماذج تبين طرق ختامهم للمخطوطات، من قبل النساخ، ونحيل للتفصيل إلى بحث النساخ ومقدمته، ومن هذه النماذج:

ما كتبه الشيخ إبراهيم بن ناصر الهجري الأحسائي على كتاب (جامع المقاصد في شرح القواعد) تصنيف الشيخ علي بن الحسين المحقق الكركي (890 - 940هـ)، فرغ من نسخه ليلة الأربعاء 15 ذي القعدة 999هـ⁽²⁾، قال في آخرها: «تم الجزء الأول من العقود والحمد لله في يوم الأربعاء اليوم الخامس عشر من شهر ذي القعدة سنة تسع وتسعين وتسعمائة على يد أقل العباد وأحوجهم إلى رحمة ربه وعفوه وغفرانه إبراهيم بن ناصر بن موسى بن محمد الحاجي الهجري غفر الله له ولوالديه ولوالدي والديه ولكافة المؤمنين والمؤمنات».

ثم ختم بأبيات شعرية:

وقبله في الكتب أفنيت ما حوت	يمينك من مالٍ فقلت دعيني
لعلي أرى فيها كتاباً يدلني	لأخذ كتابي في غدٍ بيمينني

(1) مجلة التاريخ العربي / العدد 22 ربيع 1433هـ / 2002م، وصف المخطوطات وإعداد بطاقتها، د. رمضان ششن: 392.

(2) هبهاني، السيد محمد الطباطبائي، فهرس مختصر للمخطوطات في مجلس الشورى الإسلامي، كتابخانه موزة ومجلس الشورى: طهران، الطبعة الأولى: 1386هـ. ش: 223.

كما حدد السيد رضي الدين أحمد بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد إبراهيم الحسيني الأحسائي النديدي المولد، المكان الذي نسخ الكتاب وبعض أساتذته فقال: «أنه كتبه لنفسه - متعه الله - بحضرة شيخه الأجل، الشيخ علي بن محيي الدين الجامعي العاملي في بلدة تون، وفرغ من الكتابة في ربيع الثاني سنة 1035»⁽¹⁾.

وقد يفصل الناسخ في خاتمته فيبين أصله، ثم مولده، ثم مسكنه وكل واحدٍ منهم يختلف عن الآخر، وهذه مسألة تهم الباحث في معرفة تطورات وتنقلات حياة الناسخ، فيقول الشيخ العلامة حاجي بن منصور الأحسائي، في تقييده بنسخ بعض المصنفات: «حاجي بن منصور الأصفهاني مسكنًا، والبصري مولدًا، والأحسائي أصلًا، وكان الفراغ من كتابته في الثلث الآخر من الشهر الثالث من السنة التاسعة والخمسين بعد الألف يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول، وكان عمره يومئذ ثلاثًا وستين سنة»⁽²⁾.

بينما حرص البعض على بيان أصوله ومسكنه ليعطي رؤية واضحة عن حياته من خلال خاتمة بعض الكتب ومنهم الشيخ جعفر بن محمد بن إبراهيم الأحسائي حيث قال: «قد تم الكتاب بعون الملك الوهاب على يد أقل عباد الله عملاً وأكثرهم زللاً جعفر بن محمد بن إبراهيم الجبيلي الحساوي أصلاً وشيراز مسكنًا ومولدًا كتبت بنفسي لنفسي وفقني الله للفهم بما فيه أنه جواد كريم ظهر يوم الأحد غرة شهر جمادى الأول أحد شهور سنة الثاني والعشرين ومائه بعد الألف من الهجرة النبوية المصطفوية على مهاجرها وآله ألف ألف التحية والسلام»⁽³⁾.

(1) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، حققه وأخرجه وعلق عليه: السيد حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات: بيروت، الطبعة الخامسة: 1418 هـ - 1998 م: 357/10.

(2) الحلبي، أحمد علي مجيد، فهرس مكتبة العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم، مؤسسة تراث الشيعة: قم، الطبعة الأولى: 1431 هـ: 140.

(3) أنوار، السيد عبد الله، فهرس مخطوطات المكتبة الوطنية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، المكتبة الوطنية: طهران، الطبعة الأولى: 1365 هـ. ش.: 5-15976.

كما تحدث عن معاناته واجتهاده في نسخ كتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان، فقال الشيخ محمد حسن العفالق بعد أن فرغ من نسخه سنة 1162هـ، وقد كتب عن التعب والجهد الذي بذله فيه فقال⁽¹⁾:

أجل لحظ طرفك في نسخه حوت كل لفظ ومعنى حسن
بذلت اجتهاداً بتصحيحها وحاربت فيها لذيق الوسن

وقد ختم الشيخ أحمد بن عبد الرحمن العبد اللطيف كتاب في النحو قام بكتابته ذكر فيه مكان النسخ فقال: «قال كاتبه الراجي ظل الفضل الوريث أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللطيف، ختم الله له بالحسن وبوأه المقام الأسنى، وافق الفراغ من تنميم نسخه من أثناء باب النعت إلى هنا صبح يوم الأربعاء عشرة ذي القعدة الحرام سنة 1188، بمكة المشرفة، وعلى السنة الثانية من سني المجاورة بها لا جعل الله ذلك آخر العهد»⁽²⁾.

ما كتبه أبو بكر بن محمد بن أحمد بن النجار حيث قال في خاتمة ديوان شعر قام بنسخه: «قد تم الديوان المبارك بعون الله الكريم صبيحة يوم الاثنين نهار ثالث عشر من شهر جمادى الأولى سنة 1193 من هجرة النبي محمد ﷺ على يد الفقير الحقير المعترف بالذنوب والتقصير أبو بكر بن محمد بن أحمد بن النجار كان الله له حيث كان، وغفر الله له ولوالديه»⁽³⁾.

ونجد آخر وهو السيد عبد الحسين الحاجي الأحسائي المدني يبين معاناته في

(1) الذرمان، عبد الله بن عيسى، مظاهر ازدهار الحركة العلمية في الأحساء خلال ثلاثة قرون (1000 - 1300هـ)، (د. ن) الطبعة الأولى: 1422هـ: 68.

(2) مظاهر ازدهار الحركة العلمية في الأحساء خلا لثلاثة قرون (1000 - 1300هـ)، مصدر سابق: 69.

(3) آل رمضان، جواد بن حسين، أعلام الأحساء في العلم والأدب من الماضيين في سبعة قرون، ابتداء من عام 800هـ، (د.ن)، الطبعة الأولى: 1422هـ/ 2001م: 163.

النسخ، ويبين عدد من المعلومات المهمة عن النسخة المعتمدة وحياته فيقول: «تَمَّت وبالخير عَمَّت بخط الفقير قليل البضاعة كثير التقصير العبد الخاطيء الجاني عبد الحسين بن علي بن إبراهيم بن عبد الحسين بن عبد النبي الحسيني اللّحسائي المدني، نزيل قرية مُهر... وأسير بلدة من فارس، في يوم الخامس عشر من شهر شَوَّال كثير الخير والإقبال سنة 1206هـ، ونلتمس من القارئ والمستمعين أعني بهم الإخوان إن صدر في الخط سهو أو غلط في الكتابة، فإني في طريق مكة، ونسخته كثير الغلط مع والدتي في بلدة تُسمَّى التويثير قرية من قرايا اللّحسا، وكنا على رحيل والخرجية⁽¹⁾ قليل، وحصل لنا بعض التألم من هذا السبب، فإن صدر في الخط زلل أو خطأ نلتمس منكم المسامحة والإحسان، نرجو من الله الغفران أن يغفر لنا ولجميع إخواننا المؤمنين والمؤمنات ويجعلنا وإياكم من العائدين إلى بيت الله الحرام.. السنة السادسة بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية»⁽²⁾.

ومنها ما قيده الشيخ أحمد بن حسين آل حرز بعد نسخ كتاب (ألفية ابن مالك): «وقع الفراغ من تسويد هذه الأوراق يوم السابع والعشرين من الشهر المحرم شهر عاشور سنة 1208هـ، الثامنة بعد المائتين والألف من الهجرة على يد الأقل المفتقر إلى رحمة ربه الأُمجد أحمد بن حسين بن أحمد بن محمد بن حرز البحراني أصلاً الأحسائي مولداً، غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات»⁽³⁾.

كما قام الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي بتقييد خاتمة تؤرخ نسخه لكتاب (الفهرست) للشيخ الطوسي فقال: «الحمد لله. وقع الفراغ من نسخ إتمامه ليلة الثلاثاء الحادية عشره من شهر رجب المرجب سنة 1211، في بلد نبي من بلاد القديم من

(1) المال الذي كان لديه.

(2) مجلة الواحة، العدد (37)، السنة الحادية عشرة، الربع الثاني: 2005م، مقال: من نسخي الكتب في الأحساء، للكاتب: أحمد عبد الهادي المحمد صالح: 65.

(3) أعلام الأحساء، مصدر سابق: 57 - 58.

البحرين بقلم العبد المسكين احمد بن زين الدين بن إبراهيم بن صفر بن إبراهيم ابن داغر عفي الله عنهم»⁽¹⁾.

التملكات:

تعتبر قيود التملك من الأبعاد المهمة في التقييدات على المخطوطات والتي تنبع من عدة اعتبارات إن هذه القيود مهمة لمعرفة تاريخ النسخة، وانتقال الكتاب، وتاريخ المكتبات، وهواة الكتب، وتثبيت المجموعات القديمة المهمة. وتحتوي هذه القيود أحياناً على الأسعار وأسماء العملات وقيمتها. يسجل قيد التملك لسبب الشراء والإرث والإهداء أو لعمل النسخ. وإذا وجدنا عبارة «برسم خزانة فلان»، على ظهر نسخة وعبارة «استكتبه فلان» أو «كتبه فلان لنفسه» في قيد الفراغ، اعتبرت هذه العبارات قيد تملك للنسخة⁽²⁾.

وهناك عدة عبارات تدلل على التملك درج أصحاب التملكات على ذكرها في طيات المخطوط، وفي ما يلي نماذج لهذه العبارات: من كتب العبد، من كتب الفقير، تملكه العبد الفقير، ملكه...، انتقل إلى ملك الفقير، ثم دخل في ملك، اشتراه الفقير، اشترت هذا الكتاب، من ممتلكات الفقير، في نوبة الفقير، في نوبة العبد، صار في ملك، صار في نوبة، جاء في نوبة الفقير بالإرث أو بالشراء، أهده فلان، وما شابه من هذه العبارات التي تفيدنا لمعرفة دلالة التملك للمخطوط.

وفي تقييدات التملكات الأحسائية للمخطوطات استخدمت عبارات مشابهة لما ذكرناه آنفاً للغرض نفسه، نستعرض بعض هذه النماذج مع تصنيفها بحسب مسوغات التملك:

(1) فهرس مخطوطات مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، مصدر سابق: 182/10.

(2) وصف المخطوطات وإعداد بطاقتها، مصدر سابق: 395.

1- طلب الكتاب من الناسخ:

ومثالها ما نسخه الشيخ صدقة بن ناصر بن سلطان بن راشد بن راجح بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن رومي بن أبي منصور الجبيلي الأحسائي لكتاب (لب الألباب في شرح ملحمة الأعراب) للنحوي البارع أبي محمد قاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري، بطلب من الشيخ يحيى بن محمد المشهور بآبن المطوع الأحسائي الجبيلي، وكان الانتهاء من نسخها في آخر شعبان سنة 1016هـ⁽¹⁾.

كما نسخ السيد حسن بن السيد أحمد بن السيد هاشم الموسوي الحسيني في 20 شعبان سنة 1230هـ (أرجوزة في الزكاة) للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت 1104هـ)، وقد كتبه لأجل الشيخ الفقيه أحمد بن الشيخ محمد بن محسن المحسني الأحسائي (ت 1247هـ)⁽²⁾.

ويأتي مثل هذا الطلب إذا كان خط الناسخ جميل ويتميز بالجودة والإتقان، فإن العلماء والمهتمون بالكتب واقتنائها على التعامل معه والحصول على منسوخاته، وأحياناً قد يطلب الأستاذ من تلميذه كتابة بعض الرسائل العلمية له إذا كان هذا الطالب يمتلك خط جميل وعمله متقن.

2- التملك بالشراء:

وهي التملكات التي تشير للشراء، وقد تأتي على ذكر الثمن، مستخدمين العبارات التي أشرنا إليها سابقاً في قيد التملك وأنواعه، ومنها:

(1) عرفانيان، غلام علي، فهرست كتاب خانه آستان قدس رضوي، مطبعة سفديم: مشهد، الطبعة الأولى: 1409هـ: 12: 337.

(2) فهرس مخطوطات مركز إحياء التراث الإسلامي، السيد جعفر الحسيني الأشكوري، السيد صادق الحسيني الأشكوري، نشر مركز إحياء التراث الإسلامي: قم الطبعة الأولى: 1383هـ. ش - 1426هـ: 4/ 366 - 368.

(انتخاب الجيد من تنبيهات السيد) للشيخ بن محمد بن علي الدمستاني البحراني (ت 1191 هجرية)، نسخ الشيخ عبد الله بن محمد بن أبي دندن الأحسائي، فرغ من نسخه لنفسه في 15 جمادى الأول سنة 1174 هـ، تنقل بالشراء بين عدد من أعلام الأحساء، أولها تملك الناسخ له في 15 جمادى الأولى لعام 1074 هـ⁽¹⁾، ثم تملك الشيخ عزيز بن الشيخ حسين بن محمد أبو عريش⁽²⁾ في تاريخ 29 ربيع الأول سنة 1109 هـ، والشيخ حسين بن علي بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زين الدين الأحسائي⁽³⁾ بتاريخ 1246 هـ، ونص القيود:

- بعد أن سجل للناسخ قيد تملك الشيخ عبد الله الدندن كتبه العلامة الشيخ أحمد ابن الشيخ حسن الدمستاني: وقد سجل قيداً في بداية النسخة ونصه: «هذا الكتاب المستطاب المسمى بالانتخاب الذي هو من تأليف الوالد الأستاذ شيخنا الشيخ حسن بن المرحوم الشيخ محمد بن الشيخ علي بن خلف بن إبراهيم بن ضيف الله بن حسن بن صدقة البحراني الدمستاني؛ في ملك الأخ الأواه الشيخ عبد الله بن أبي دندن الأحسائي وفقه الله لبلوغ درجة الاستنباط، وكتب أخوه في الله أحمد سائلاً منه الدعاء لي ولأبائي بالعفو والمغفرة في تاريخ غرة جمادى الثانية من سنة 1174 هـ».

ثم تملك للشيخ حسين بن علي بن حمد بن حسن الشواف آل بن فارس الهفوفي الأحسائي (حيا خلال 1198 هجرية).

وقيد تملكه على النسخة: «دخل هذا الكتاب المستطاب المسمى بالانتخاب في

(1) درايبي، مصطفى، فهرس (دنا)، مكتبة موزة ومركز اسناد مركز شوري إسلامي: مشهد، الطبعة الأولى: 1389 هـ. ش: 178/2.

(2) الدرايبي، إعداد مصطفى، الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فخا)، نشر سازمان اسناد وكتابخانه ملي جمهوري إسلامي: قم، الطبعة الأولى: 1390 هـ. ش: 955/4.

(3) لعل في الموضوع لبس لأن الشيخ أحمد الأحسائي توفي سنة 1241 هـ، ومن غير المعقول تملك أحد من أحفاده في نفس التاريخ للفارق الزمني البعيد، ولعل المعني هو الشيخ عبد الله بن الشيخ أحمد.

حيازة الأخ الأغر السالم من المين الشيخ حسين بن علي بن حمد بالبيع الشرعي، وكتبه الأقل محمد بن حسن بن سليمان عفى الله عنهم أجمعين راجياً منه أن يشاركنا في دعاه والحمد لله، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين».

وعليه ختم الشيخ الشواف وهو مربع ونقشه: (حسين ابن علي)

وممن تملك النسخة الشيخ حسين بن محمد آل بو عريش المبرزي الأحسائي (القرن الثالث عشر)، كانت له عناية بتملك الكتب، بل لا يبعد امتلاكه خزانة علمية، أما قيد تملكه على هذه النسخة (انتخاب الجيد من تنبيهات السيد)، فقد سجل بيد الشيخ محمد بن حسن آل بن سليمان الصائغ الأحسائي، ونص التملك:

«بسم الله هذا الكتاب المستطاب المسمى بالانتخاب في ملك الشيخ العزيز الشيخ حسين ابن محمد أبو عريش، متعه الله به طويلاً. وكتبه الفقير محمد بن حسن راجياً منه أن يشاركه في أدعيته، وذلك يوم تاسع وعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسعين ومائة وألف. وصلى الله على محمد وآله وسلم».

كما تملك النسخة الشيخ عبد الله بن الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، وقد سجل قيد تملكه بكلمات نصها: «باسم الله والحمد لله، دخل في حيازتي وأنا الأقل عبد الله بن أحمد بن زين الدين في سنة 1244»، ورقمها بختمه المربع: (عبد الله بن أحمد)⁽¹⁾.

نسخة من كتاب (شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك) تأليف ابن مالك، محمد بن محمد (ت 686 هـ)، ونسخ عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ حسين العدساني، وكان الفراغ من نسخه 9 محرم 1158 هـ، وسجل قيد تملكه عليه ونصه: «بلغ مقابلة وقراءة ومزاولة إلى آخره إلا ما شذ من بعض المواضع التي لم أحضر قراءتها

(1) مكتبة كلية الألهيات بجامعة طهران، رقم المخطوط: 129، وقد حصلنا على نسخة من المخطوط، وقد حصلنا على صفحات من المخطوط عن طريق الباحث الدكتور محمد كاظم رحمتي.

لمانع من الحضور. كتبه مالكة الأقل عبد الله بن عبد الرحمن بن حسين العدساني غفر لهم الله بمناه، بعده تناقلت النسخة بين عدد من أعلام آل العدساني.

ثم تملك المخطوط الشيخ إبراهيم الدالوي الأحسائي وسجل قيده عليها الشيخ عبد الله بن غدير الأحسائي فكتب: «بسم الله. ثم انتقل إلى حيازة الشاب التقي الشيخ إبراهيم بن محمد بن حسن الدالوي وفقه الله لفهم معانيه، وذلك في السنة 1210هـ، وكتب عبد الله بن محمد بن غدير. عفى الله عنهم بمناه وكرمه»⁽¹⁾.

ومن هذه التملكات بالشراء تملك كتاب (تحفة المحتاج لشرح المنهاج) للشيخ شهاب الدين أحمد بن حمدان الأذرعي الشافعي، والشرح لأبن حجر الهيتمي، نسخ الشيخ عبد العزيز بن خليفة بن نعيم الشافعي، وكان النسخ في نهار يوم السبت 13 ذي القعدة عام 1186هـ. وعليه تملكات عديدة منها:

الأول: محمد بن سالم بن أحمد بن عبد الله ابن وصال، وهذا نصه: «مما من الله به على عبده الفقير محمد بن سالم بن أحمد بن عبد الله ابن وصال الأحسائي الشافعي الأشعري القادري - عفى الله عنه، بمناه وكرمه - أمين سنة 1126هـ».

الثاني: عبد الرحمن ابن الشيخ محمد ابن الشيخ حمد بن بني النجار ونص الملكية: «من تملكات الفقير إلى الله الباري، عبد الرحمن ابن الشيخ محمد ابن الشيخ حمد بن بني النجار الأنصاري البدري العادلي الجيلاني الشافعي الأحسائي، بثمان قدره قرشين حجر نقداً سنة سبع عشر ومائة وألف بترميم من بلدان حضر موت»⁽²⁾.

(1) مكتبة جامعة طهران، رقم المخطوط: 131-ج-الإلهيات، تفضل علينا ببعض صفحات المخطوط الباحث والمحقق الدكتور محمد كاظم رحمتي.

(2) العنقري، حمد بن عبد الله، مكتبات الدولة السعودية الأولى المخطوطة، دار الملك عبد العزيز: الرياض، الطبعة الأولى: 1430هـ - 2009م: 443 - 444.

3- التملك بالولاية:

ومن هذا النوع من التملك، تملك الملا ناصر بن حسين النمر على كتاب (تعليقة على الرسالة الفقهية للشيخ علي بن حسين الخاقاني للسيد ناصر بن السيد هاشم بن السيد أحمد السلطان الأحسائي (ت 1358هـ)، وهي بخطه عبد الله بن عبد الله آل حسين الأحسائي، وهي بلا تاريخ، وقد أوقفها النساخ هكذا: «أقرُّ - أنا يا عبد الله بن عبد الله آل حسين - بأني أوقفت وحبست هذا الكتاب للاستنفاع، وجعلت الولاية إلى الملا ناصر بن حسين بن أحمد آل حسين⁽¹⁾، ولعن الله البائع والشاري والمجتنى، فمن بدله من بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين»⁽²⁾، مما جعل النسخة تكون في ولاية الملا ناصر، وفي ذريته من بعده.

4- التملك بالنسخ:

وهو أن ينسخها الكاتب لنفسه من أجل تملكها، وهذا كثير ومتعارف بين أرباب النسخ وكتابة الكتب، وذلك من أجل الإضافة لمكتبه الشخصية وخزائنه العلمية للاستفادة والقراءة عند الحاجة، وقد يكون من أجل الدرس والتعلم، منها:

ما كتبه الشيخ محمد بن علي النجار الأحسائي لكتاب: (الصحيفة السجادية) للإمام زين العابدين، علي بن الحسين، وقد كتب في الصفحة الأولى بقلم: (الفاضل الأحسائي)، انتهى من كتابتها سنة 1006هـ، قال في نهايتها: «وافق الفراغ من كتابتها عشية يوم الأربعاء، الخامس عشر من رمضان المبارك سنة السادسة بعد الألف بقلم

(1) كان اسم (آل حسين) هو الاسم المتعارف عليه آنذاك لفرع النمر من أسرة آل مبارك. راجع مجلة الواحة، مقال الملا ناصر النمر، بقلم الأستاذ أحمد بن الملا محمد بن الملا ناصر النمر، العدد (50) هامش ص: 123.

(2) مجلة الواحة، العدد (50)، مصدر سابق مقال الملا ناصر النمر، بقلم أحمد بن الملا محمد بن الملا ناصر النمر: 123.

الحقير كاتبه مالكة لنفسه، معتمداً أمر ربه محمد بن علي بن محمد بن علي بن إبراهيم بن داود الأحسائي - غفر الله له ولو والديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات -⁽¹⁾، على النسخة إنهاء من الشيخ صالح بن عبد الكريم البحراني.

نسخة من كتاب (جامع المقال فيما يتعلق بأحوال الحديث والرجال) فخرالدين ابن محمد علي النجفي، فرغ من نسخه الشيخ جعفر بن محمد بن إبراهيم الجبيلي الأحسائي الشيرازي، يوم الأحد غرة شهر جمادى الأولى سنة 1122هـ، وقد ختم تسويد النسخة وكتابتها بقوله: «قد تم الكتاب بعون الملك الوهاب على يد أقل عباد الله عملاً وأكثرهم زللاً جعفر بن محمد بن إبراهيم الجبيلي الحساوي أصلاً وشيراز مسكناً ومولداً كتبت بنفسي لنفسي وفقني الله للفهم بما فيه أنه جواد كريم ظهر يوم الأحد غرة شهر جمادى الأول أحد شهور سنة الثانی والعشرين ومائه بعد الألف من الهجرة النبوية المصطفوية على مهاجرها وآله ألف التحية والسلام»⁽²⁾.

5- التملك بالإرث:

وهو من التملكات المتعارفة في بيوت العلماء والأسر العلمية حيث نجد المخطوط تنقل بين أفراد الأسرة جيلاً بعد جيل وإن لم يتم التصريح أنه بالإرث ولكن نستشف ذلك غالباً بوجود أكثر من تملك على المخطوط من بيت واحد نذكر منها على سبيل المثال:

تملك كتاب «ذكرى الشيعة» تصنيف الشهيد الأول، الشيخ محمد مكي العاملي (734 - 786هـ)، في نهاية النسخة فائدة في الأوزان: للشيخ محمد بن علي بن إبراهيم آل عيثار الأحسائي، وتاريخ خطه سنة 1210هـ، وعلى النسخة عدة تملكات منها:

(1) مكتبة الناصرية ولكنهم بالهند، زدنا بالصفحة الأخيرة من المخطوطة من الهند الباحث السيد علي باقر الموسى الأحسائي في 20 جمادى الثاني سنة 1436هـ.

(2) المخطوطات في المكتبة الوطنية بالجمهورية الإسلامية الإيرانية: رقم المخطوط: 15976-5.

في أول النسخة ضمن التملكات تملك حسين بن محمد بن علي بن عيثان، وتاريخ التملك يعود لسنة 1218هـ، وكتب أنه تملكها بالإرث⁽¹⁾، مما يعني أنها كانت لوالده الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم آل عيثان الأحسائي سنة 1210هـ، ثم انتقلت للشيخ حسين الابن 1218هـ بالإرث.

ومنها تملك كتاب (شرح إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان) للعلامة الحلي (ت 726هـ): تأليف المولى أحمد بن محمد المقدس الأردبيلي (ت 993هـ)، على النسخة عدة تملكات منها تملك السيد محمد بن شرف بن العلامة السيد إبراهيم بن يحيى الصنديد الحسيني في حدود سنة 1172هـ، ثم انتقل التملك إلى مبارك بن علي بن عبد الله بن ناصر حميدان الجارودي الأحسائي الخطي سنة 1190هـ، ثم أبنه عبد الله في ذي القعدة سنة 1234هـ⁽²⁾.

ومنها تملك كتاب (رسالة في الحكمة) للشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ حسين آل عيثان الأحسائي (ت 1331هـ)، التاريخ والناسخ غير مذكور، كتب في صفحتها الأولى: «قد دخل هذا في ملك حسن وعلي ابني المرحوم الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن عيثان بالإرث الشرعي»⁽³⁾.

ومنها التملك على كتاب (التحرير الطاووسي لكتاب الاختيار من كتاب أبي عمرو الكشي)، تأليف الشيخ حسن بن زين الدين العاملي (959 - 1011هـ)، والنسخ من نسخ الشيخ علي بن الشيخ عبد المحسن اللويمي الأحسائي السيرجاني في 7 ربيع الأول سنة 1229هـ، بعده تملكها أبنائه فكان من القيود عليها ختم تملك للشيخ

(1) مجلة تراثنا، السنة التاسعة عشر، محرم - جمادى الثانية: 1424هـ، العددان (73، 74): فهرس مخطوطات مكتبة أمير المؤمنين العامة: السيد عبد العزيز الطباطبائي: 246.

(2) مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الرابع، ربيع الثاني 1378هـ، مقال: المخطوطات العربية في العالم: المخطوطات العربية في العراق، الكاتب: د. حسين علي محفوظ: 206.

(3) المكتبة الخطية للأستاذ الباحث أحمد بن عبد الهادي المحمد صالح.

عبد الحسين بن محمد بن الشيخ علي اللويهي، ونقش ختمه: (عبد الحسين بن محمد بن علي)، مما يعني أنها انتقلت بعد الأب إلى الابن الشيخ محمد علي، ثم للحفيد الشيخ عبد الحسين، عبر الأثر وتناقل المخطوطات جيلاً بعد جيل⁽¹⁾.

ومنها شرح أصول الكافي من تصنيف محمد بن إبراهيم، صدر الدين الشيرازي (979 - 1050 هـ)، نسخ علي أكبر، فرغ من نسخها يوم الجمعة، المتتصف من شهر ربيع الثاني سنة 1096 هـ، عليها تملك أحمد بن زين الدين الأحسائي في 16 رجب 1234 هـ، كما عليها تملك علي بن الشيخ أحمد بن زين الدين⁽²⁾.

ومن تملكات آل زين الدين (قواعد المرام في علم الكلام) للشيخ ميثم بن علي ابن ميثم البحراني (636 - 689 هـ)، نسخة قام بنسخها علي بن محمد باقر نائير الحويزي الطرقي، 14 ذي القعدة 1085 هـ، وهي نسخة مصححة، وفيها حواشي، عليها تملك أحمد بن زين الدين الأحسائي في 1196 هـ، وتملك علي بن أحمد بن زين الدين، كما يوجد تملك ختمه: (الواثق بالله عبد الله) وهو ختم بيضاوي⁽³⁾.

6- التملك بالأهداء:

تلعب الهدية دور في تقريب النفوس، وغرس المحبة والمودة بين القلوب، وقد تكون الهدية من الكبير للصغير، أو من العالم للمتعلم بغرض غرس فيه حب العلم والتعلم، أو من أجل الدرس والدراسة، وهذا يعكس حرص الأعلام على حث أبنائهم وأقاربهم على الدرس وتلقي العلوم، لذا نسبة كبيرة من كتب الأهداءات هي كتب تعليمية كان الهدف منها الاستفادة منها دراسياً، من تلك الكتب

(1) وقد حصلنا على التعريف بالمخطوط وبعض صفحاته من الدكتور محمد كاظم رحمتي.

(2) الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 472/20.

(3) الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 513/25.

(مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام) للشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي (911 - 965هـ)⁽¹⁾، نسخ الشيخ عبد النبي بن عيسى بن إبراهيم بن عبد الله آل عيثان القاري الأحسائي، فرغ من نسخه ظهر يوم الأحد 13 رمضان سنة 1062هـ، وقد نسخه لأجل أخيه الأصغر الشيخ حسين بن عيسى بن إبراهيم آل عيثان من أجل الدرس بقرينة قوله: «متع الله بحفظه والعمل به».

وعلى النسخة خط الشيخ محمد بن الشيخ حسين بن عيسى بن إبراهيم آل عيثان في 15 ذو القعدة 1075هـ، والنسخة فيها تملك وتعليق للشيخ حسين بن عيسى آل عيثان⁽²⁾.

ومن الكتب التي ملكت لغرض الاستفادة التعليمية كتاب (شرح شواهد المغني) تصنيف أبو محمد بدر الدين العيني الحنفي (ت 855هـ)، فقد تملكه الشيخ سليمان بن الشيخ محمد بن الشيخ حسن بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد المحسني الأحسائي، وقد تملكه، بعد تملك جده الشيخ حسن للكتاب، يقول الطهراني: «ورأيت مجموعة من الكتب كان أهداها الشيخ يوسف عم والد المترجم له - الشيخ سليمان بن الشيخ محمد - لابن أخيه الشيخ محمد في سنة 1268هـ»⁽³⁾.

التقريظ:

في المعنى اللغوي يقال: قَرَّظَ فلاناً: مَدَحَهُ وأَثْنَى عليه، وعندما يقال: قَرَّظَ الكتاب: وَصَفَ محاسنه ومزاياه. وهو نفس المعنى الاصطلاحي للكلمة، عند قولهم كتب تقريظاً: أي مدحه ووصف مزاياه، وهي غالباً تكتب للحي، لتشجيع الناس وحثهم بالإقبال على الكتاب، فهي بمثابة شهادة وإقرار بجودة ما فيه عند المقرظ.

(1) فهرس دنا، مصدر سابق: 531/9.

(2) فهرس المخطوطات في مكتبة المدرسة الرضوية، بقم، مصدر سابق: 34/1.

(3) الطهراني، الآقا بزرك، طبقات أعلام الشيعة في القرن الحادي عشر، مؤسسة فقه الشيعة: بيروت، الطبعة الأولى: 1411هـ - 990م: 610/11.

والتقريظ إما يكون نثراً بكلمات الثناء والمدح، وإما أن يكون شعراً بأبيات تحمل كلمات الحب والود والثناء، وقد يكون مزجاً بينهما.

وهي أحد الفنون التي كتبها الأحسائيون على الكتب شعراً ونثراً، نستعرض بعض الكتب التي قرّظها أعلام أحسائيون، كنماذج عن فن التقريظ لدى الاحسائيين، وهي كما يلي:

لعل أقدم تقريظ أحسائي عرفناه يعود إلى القرن التاسع الهجري، وهو ما كتبه الشيخ محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي (بعد سنة 906هـ) على كتاب (مشجرة الأنساب نقلاً عن بحر الأنساب) لمؤلف مجهول، يقول الشيخ آغا بزرك الطهراني: «أنه رأى مخطوطة نفيسة جداً، التحرير: شهر شعبان 607هـ، وفي أول النسخة تقريظ مبسوط حُك منه السطر الأخير الذي في توقيع المفرّط وتاريخه، وفي ذيل هذا التقريظ: قرّظه الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي بما فيه إطراء الكتاب والحُكم بصحته، وجواز الأخذ منه والجزم باعتباره الحاصل له من مطالعة الكتاب من أوله إلى آخره، وكتب جميع ذلك بخطه في المشهد الرضوي في 9 ربيع الأول 895هـ⁽¹⁾.

كما كتب تقريظاً الشيخ علي بن أحمد الأحسائي، ولعله هو نفس الشيخ علي بن أحمد بن صالح السبعي العيني القاري الأحسائي البحراني من أعلام القرن الحادي عشر، فقد كتب تقريظ على الورقة الأولى من كتاب (كشف الالتباس عن موجز أبي العباس) للشيخ مفلح بن حسن بن راشد الصيمري (القرن التاسع)، النسخة التي بخط

(1) غفراني، عبدالله، فهرس مصنفات الشيخ محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي، كشف بليوغرافي لمصنفات ابن أبي جمهور المخطوطة والمطبوعة وإجازاته في الرواية وطرقه في الحديث، جمعية ابن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث، دار المحجة البيضاء: بيروت، الطبعة الأولى: 1434هـ - 2013م: 264.

الشيخ إبراهيم بن محمد بن مسلم بن محمد بن الحسن البحراني في 27 جمادى الآخر 1059هـ⁽¹⁾.

ومن هذه التقارير ما كتبه السيد شمس الدين محمد بن أحمد الأحساوي على نسخة من كتاب (كشف الالتباس عن موجز أبي العباس)، للشيخ مفلح بن حسن الصيمري (ت 900هـ)، من أبيات شعرية في مدح الكتاب وأهميته⁽²⁾.

ومن التقارير ما كتبه الشيخ علي بن حسين بن حرز الأحسائي من أعلام القرن الثاني عشر على مجموع خطي يضم ثلاث مخطوطات فقهية من تأليف الشيخ عبد النبي بن محمد مفيد الشيرازي (ت 1191هـ) وهي⁽³⁾:

1- أحكام نكاح من فقد زوجها في السفر والحضر، شرع فيه مصنفه في أول صفر سنة 1165هـ، وفرغ منه آخر شهر صفر سنة 1165هـ.

2- جواز العزل عن المرأة الحرة الدائمة، وقد فرغ منه مصنفه أيضاً سنة 1165هـ.

3- الرسالة الحينية المفيدة للناظرين في حكم الصوم المنذور المقيّد بالسفر للمسافرين، وهو كذلك فرغ منها سنة 1165هـ.

يوجد على نسخة تقرير وحواشي من الشيخ علي بن حسين بن [ال]حرز الأحسائي، مذيّلة بكلمة: «منه أيده الله»⁽⁴⁾، وذلك سنة 1165هـ.

(1) الأشكوري، السيد أحمد الحسيني، التراث العربي المخطوط في مكتبات إيران العامة، الناشر دليل ما: قم المقدسة، الطبعة الأولى: 1431هـ - 2010م: 279/10.

(2) الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 254/26، 255.

(3) مجلة نسخة بزوهي، مجلة فصلية، سنة 1385هـ، ش، العدد (3)، مقال: فهرست مجموع خطي كتابخانه علامة طباطبائي دنشگاه شيراز، الكاتب: محمد برکت: 75.

(4) مجلة نسخة بزوهي، مصدر سابق: 75.

كتاب (شوارع الهداية في شرح الكفاية) للشيخ محمد ابراهيم بن محمد حسن الكرباسي الأصفهاني (ت 1262هـ)، في أول صفحة تقريظ من الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، والشيخ جعفر النجفي وأبيات في تقريظ الكتاب من الشيخ محمد تقي أحمدي بياتي النجفي المشهور بـ (ملا كتاب)⁽¹⁾.

كما هنا عدة تقاريظ على كتاب (الفواكة الشهية في حل المنظومة المسماة بالقلائد البرهانية)، لمحمد بن علي بن سلوم، ابن سلوم (ت 1246هـ)، فقد قرظه من أعلام الأحساء شعراً وهم الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز الأحسائي، والثاني الشيخ محمد العدساني، والثالث عبد العزيز بن صالح ابن موسى المالكي، والرابع صالح بن سيف العتيق⁽²⁾ النجدي الأحسائي.

كما كتب الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي تقريظ على كتاب: (التكملة في شرح التبصرة) للشيخ محمد جعفر بن محمد علي بن الوحيد البهبهاني (1178 - 1259 هـ)⁽³⁾، ونصه: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رافع درجات العلماء ومفضل مدادهم على دماء الشهداء وصلى الله على محمد وآله الأئمة وورثة الأنبياء.

أما بعد فقد عرض على الأخ الوفي، والخل الصفي حسن السيرة، وصافي السريرة

(1) الحسيني، السيد أحمد، فهرس مخطوطات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، إشراف السيد محمود المرعشي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي: قم، الطبعة الأولى: (د.ت): 15/ 138.

(2) آل عبد اللطيف، إعداد سعد محمد، أيمن بن عبد الرحمن، نوارد المخطوطات السعودية نماذج لمجموعة من نوارد المخطوطات المحفوظة بدارة الملك عبد العزيز، دارة الملك عبد العزيز: الرياض، الطبعة الأولى: 1432هـ: 382.

(3) الشيخ محمد جعفر بن محمد علي بن الوحيد البهبهاني (1178هـ - 1259 هـ). من الأعلام الفقهاء وهو حفيد المجدد الأصولي الوحيد البهبهاني، وله العديد من المؤلفات في الفقه والعلوم الحوزوية المختلفة، وقد احترق الكثير منها في الحريق الذي حصل في مكتبة حفيده إمام الجمعة أبو علي في كرمانشاه في شوال سنة 1352 هـ.

كتاباً وضعه شرحاً للتبصرة فأجلت فيه جائلتي، وأمعت فيه فكرتي فوجدته مشتملاً على عبارات محرره ومعان محبرة ومفاهيم مقررة واستنباطات مقدرة فلعمري لقد كان لمن استعمله إرشاداً وتبصرة ولمن استعان بقواعده منتهى تحرير التذكرة ونهاية مدارك معتبرة ولعمري أنه كافٍ في الاستبصار ووافٍ للفقهاء في الاعتبار أعان الله به الطالبين السالكين في منهج المسترشدين وجعله زاداً خالصاً مبلغاً في الاستعداد ليوم الدين.

وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي، والحمد لله رب العالمين
وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين

الختم: أحمد زين الدين»

ومن التقاريط الأحسائية ما كتبه الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي في أول كتاب (تكملة نقد الرجال) للشيخ عبد النبي بن علي بن أحمد الكاظمي (ت1256هـ)⁽¹⁾.

كما يوجد تقرير للشيخ الأحسائي على كتاب تلميذه محمد حسين اليزدي الملقب بـ(مؤمن) المسمى عجائب الأسرار وهو في ذكر عزاء سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفقني لتتبع أنوار اليقين بعين الخاشعين فوجدت الحق المبين ومقاليد الجنان للسالكين فادخلوها بسلام آمين ولعمري لقد بذلت جهدك في نصرتهم حتى كنت مع الشهداء الذين بذلوا مهجهم دون سيدهم جعلنا الله وإياكم معهم في الدنيا والآخرة وممن يقيم مآتهم وعزائمهم وينشر ذكرهم وثنائهم فسعيك عندهم مشكور وأسمك لديهم بنسبك وحسبك مذكور فلا تخلي محبك من خالص الدعاء عند إقامة

(1) فهرس المخطوطات في مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مصدر سابق: رقم المخطوط: 3158.

العزاء فإنه مستجاب عند رب الأرباب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكتبه العبد المسكين أحمد بن زين الدين».

كما من تقاريط الشيخ الأحسائي ما كتبه على كتاب (استيفاء المهمات) من تصنيف الشيخ علي بن محمد الرشتي، وعلى النسخة تقريظ من الشيخ جعفر (الشيخ جعفر كاشف الغطاء) وختمه: «رق الصادق جعفر»، فوثقه الشيخ أحمد بن زين الدين على التقريظ، وختمه: (أحمد بن زين الدين)⁽¹⁾.

كما كتب الشيخ أحمد بن زين الدين تقريظ على (الرسالة الحسينية) لحسن بن محمد علي الذي فرغ منه مؤلفه في 22 جمادى الثاني 1238هـ، فكتب له الشيخ أحمد تقريظاً مؤيداً، كما كتب له السيد كاظم الرشتي تقريظاً آخر⁽²⁾.

ومن التقاريط، تقريظ الشيخ عبد الله بن الشيخ علي الأصبعي الأحسائي، على كتاب (شهاب ثاقب ويا قارعة القوارع في إبطال أدلة الركن الرابع) لمحمد بن أبي طالب النائيني وهو يقع في 265 صفحة، وهو كتاب باللغة الفارسية كتب سنة 1277هـ، فقال الأصبعي الأحسائي فيه: «قلت هذه الأبيات تقريظاً على هذه الرسالة المسماة بـ(الشهاب اللامع في إبطال أدلة الركن الرابع) تصنيف جناب من أبان طرق الرشاد بثاقب فهمه وأوضح سبله ببيان علمه بحر العلوم معقولها ومنقولها، وحبر الشريعة فروعها وأصولها شمس الأعظم وبدرها ورأس المكارم وصدرها ذي القريحة الوقادة، والبصيرة النقادة، مولانا العالي على هام المجرة والسُّها وأطال برتبة ليس ورائها منتهى المرقوم اسمه العالي أعلاه لطب به مولاه ورزقه ما يتمناه في آخرته وأولاه وأنا الأقل الجاني عبد الله بن الشيخ علي الأصبعي الأحسائي عفى عنهما بمنه وكرمه وهي هذه:

(1) الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 372/3.

(2) الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 1025/8.

أجلت الطرف في ردّ بليغ فاعجبني وليس له مثل
هو النهج القويم بلا مرأى وقول (الخان)⁽¹⁾ مردود عليل
ولا عجب إذ ما ظل يعزى لمولى نهجه ظل ظليل⁽²⁾

تصحیحات وبلاغات:

حرص معظم النساخ الأحسائيين على النسخ المدونة أن يضعون في جوانب النسخة تصحيحات وبلاغات، وما يرونه متعلقاً بالمسألة المطروحة سواء فقهية أو عقدية أو روائية، وفي هذا النوع من التقييدات يحرص الناسخ على الحفاظ على المتن سليماً من التحريف، ويضيف تعليقاته في الهوامش الجانبية قرب كل مسألة بما يسعه الحال، علماً أنه ليس بالضرورة إن كل الحواشي والتصحيحات والتعليقات نقدية، فقد تكون توضيحية وتأييد للرأي المبرم في الرسالة، نذكر إشارة إلى بعضها من النماذج الأحسائية التي تخللها بعض التعليقات والتهميشات:

منها البلاغات التي سجلها وقيدها الشيخ سالم بن منصور بن راشد بن ناصر بن حسين الأحسائي⁽³⁾، على كتاب (إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان) للعلامة الحلبي، الحسن بن يوسف الحلبي (648 - 726 هـ)، انتهى من نسخه ليلة الثلاثاء 28 رجب لعام 981 هـ⁽⁴⁾، والنسخة عليها حواشي وتصحيحات من الناسخ كتبت في يوم الجمعة غرة شعبان سنة 981 هـ⁽⁵⁾.

(1) المقصود محمد كريم خان صاحب القول بالركن الرابع في مدرسة الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي.

(2) مشكوة، مجلة فصلية، تصدر عن أستانة قدس رضوي، العدد (750)، عدد بهار (1375 هـ.ش) مقال كتاب ونقد: تمة مقالة شروح شرائع الإسلام، بقلم: سيد أحمد تويسركاني: 224.

(3) فهرس دنا، مصدر سابق: 661 / 1.

(4) فهرس دنا، مصدر سابق: 661 / 1.

(5) الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 40/3.

ومنها ما كتبه الشيخ حسين بن محمد بن هلال بن ثابت بن راشد بن إبراهيم الهجري البحراني، على نسخة (حكمة العارفين في دفع شبهة المخالفين) للشيخ محمد طاهر بن محمد حسين القمي (ت 1098هـ)، وقد كان الفراغ من نسخه في 29 جمادى الثاني لعام 1097هـ، وفيها تصحيحات وبلاغات من الناسخ⁽¹⁾.

الوقف:

الوقف في اللغة هو: الحبس، ومن الناحية الفقهية: حبس العين، وتسهيل المنفعة للمصالح العامة أو الخاصة. وهو من الأمور المستحبة التي يقصد بها التقرب إلى الله تعالى، وهذا أمر أكدت عليه الروايات والنصوص الدينية الواردة عن الرسول الأعظم وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام منها:

في الحديث عن النبي صلي الله عليه وآله: «حَبَسَ الْأَصْلَ وَسَبَّلَ الثَّمَرَةَ»⁽²⁾. وصحيحة ربعي بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام: «تَصَدَّقْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِدَارٍ لَهُ فِي الْمَدِينَةِ فِي بَنِي زُرَيْقٍ فَكُتِبَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا مَا تَصَدَّقَ بِهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ حَيٌّ سَوَى تَصَدَّقَ بِدَارِهِ الَّتِي فِي بَنِي زُرَيْقٍ صَدَقَةٌ لِاتِّبَاعٍ وَلَا تَوْهَبَ حَتَّى يَرِثَهَا اللَّهُ الَّذِي يَرِثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَسْكُنَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ خَالَاتِهِ مَا عَشَنَ وَعَاشَ عَقِبَهُنَّ، فَاذَا انْقَرَضُوا فَهِيَ لِذِي الْحَاجَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»⁽³⁾.

وهذا الحد من الوقف من الأمور المتفق عليها من الناحية الفقهية بين جميع العلماء، بغض النظر عن اتجاهاتهم الفكرية، ومدارسهم الفقهية.

(1) فهرس دنا، مصدر سابق: 724/4.

(2) الطبرسي، الحاج الميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث: قم، الطبعة الثالثة: 1411هـ - 1991م: 47/14.

(3) العاملي، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ، تفصيل وسائل الشيعة إلى مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث: بيروت، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث: قم، الطبعة الرابعة: 1438هـ: 304/13، باب 6 من أحكام الوقوف والصدقات، حديث 4.

وكان المعتاد في الموقوفات أن تكون منازل أو الأراضي الزراعية، أو محلات تجارية، أو مراكز دينية كالمساجد وغيرها.

ثم استحدث بعداً آخر للوقف وهو وقف الكتب، الذي بدأ بوقف المصاحف في المساجد على الدرس والقراءة، ثم تطور فشمل الكتب الفقهية والروائية والعقائدية التي تخدم الغرض الديني نفسه، حتى أصبحت توقف المكتبات والخزائن الخاصة على المكتبات العامة كمكتبات الحرمين الشريفين، وموقوفات العتبة الرضوية والعلوية والحسينية والعباسية وغيرها.

ومنها ما هو وقف على طلاب العلم أو الذرية، كل ذلك من أجل استمرار الإفادة منها على مدى الأيام والأزمان، وفي تراثنا الأحسائي رغم ضياع معظم التراث المكتوب وتشتته بين المكتبات العامة والخاصة، فما بين أيدينا من شواهد ودلائل يثبت وجود عناية وحرص على وقف الكتب وتقييد الوقفية عليها، ومن هذه الشواهد:

موقوفات الشيخ محمد بن علي بن الحسين الشعبي الهجري من الأعلام الكبار في القرن الحادي عشر، الذي قام بإيقاف مكتبته على طلبة العلوم الدينية منها وقد عرفنا منها، التفسير جامع الجوامع: الفضل بن حسن الطبرسي (468 - 548هـ)، والكتاب يبدأ من سورة يس إلى سورة الناس، وهي بخط محمد حسين بن أحمد شريف الأنصاري الإمامي فرغ منه في عصر يوم الثلاثاء 5 شعبان عام 1075هـ، ونص وقفيته: «بسم الله. هذا الكتاب من جملة الكتب التي وقفها الشيخ محمد بن علي الشعبي على علماء الشيعة ومتعلميهم من أهل (الشعبة)⁽¹⁾، ثم من بعدهم فعلى علماء الشيعة من أهل الأحساء، ثم من بعدهم فعلى علماء الشيعة من غيرهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وإليه المصير»⁽²⁾.

(1) ورد في الكتاب «الشيعة»، واحتمل أنه هناك خطأ لعدم وضوح الخط، وإلا لا يستقيم الكلام والتسلسل، والصحيح «الشعبة»، قرية الواقف، ثم أهل الأحساء، ثم عامة الشيعة، ليستقيم الكلام ويخلو من التكرار.

(2) مكتبات الدولة السعودية الأولى المخطوطة، مصدر سابق: 313.

ومنها وقف حاجي محمد، أبا عقيل الظهراني، الذي أوقف: «وثائق ابن سلمون»، وهو كتاب، على أهل العلم من أهل بيته وذريته، على أنه لا ينقل من الأحساء إلى بلد آخر. وقد كان نسخ الكتاب في 20 المحرم عام 1119هـ، «بخط سلطان بن شهير بن موسى بن شعبان بن قاسم بن محمد النعثللي الظهراني»⁽¹⁾.

كما أوقف الشيخ محمد بن عبد الله بن حجي رحمة البحراني الأحسائي، كتاب المعتبر في شرح المختصر: المحقق الحلبي، أبو القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى الحلبي (ت 676هـ)، لناسخ غير مذكور، وتعود وقفيته لسنة 1272هـ، جاء فيها: «أقول وأنا الفقير إلى الله محمد بن عبد الله بن حجي رحمة ابن الشيخ علي بن ناصر الموالي البحراني، الأحسائي، ساكن قرية القارة، إني قد أوقفت وخلدت هذا الكتاب الموسوم بـ (المعتبر)⁽²⁾ مع كتاب (المفاتيح)⁽³⁾ في الفقه على علماء الشيعة، وجعلت النظارة لي مدة حياتي، ثم لأخي الشيخ أحمد، ثم لأولاده، ثم صالح المؤمنين، وإن لم يكونوا علماء»⁽⁴⁾.

ومن الكتب الأحسائية الموقوفة، وعليها قيد الوقفية كتاب «سيرة ابن هشام» لعبد الملك بن هشام بن أيوب ابن هشام (ت 213هـ)، عمل على نسخها علي بن عبد الله بن إبراهيم بن عيسى، وقد انتهى من كتابتها ونسخها بعد الظهر من يوم الجمعة 12 من شهر صفر سنة 1271هـ، عليها حواشي وتصحيحات، وعليه وقف عبد الله بن محمد الزير على عياله وذريتهم ما تناسلوا، ولا يخرج من بلد الشعراء، شهد على ذلك إبراهيم بن عبد الله العجاجي، وشهد به وكتبه علي بن إبراهيم بن مهنا⁽⁵⁾.

(1) مكتبات الدولة السعودية الأولى المخطوطة، مصدر سابق: 390.

(2) للشيخ نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسين الحلبي (ت: 676 هـ).

(3) للشيخ محمد بن المرتضى المعروف بمحسن، الفيض الكاشاني (ت: 1091 هـ).

(4) أعلام الأحساء: الحاج جواد بن حسين الرمضان، مصدر سابق: 92.

(5) نواذر المخطوطات السعودية، مصدر سابق: 82 - 83.

ومن الكتب الموقوفة والتي قيدت فيها الوقفية (الدرة المضيئة في مدح أئمة العترة المرضية): أحمد بن يحيى اليميني، نسخ الشيخ علي بن الشيخ صالح بن زين الدين الأحسائي، قام بنسخه في 13 شوال سنة 1238هـ، في مدينة كرمانشاه⁽¹⁾.

على النسخة تملك محمد تقي بن أحمد بن زين الدين الهجري في أوائل ذي القعدة 1238هـ، وضمن التقييدات عليها في أول النسخة: «وقف أولاد المرحوم محمد تقي في جمادى الثاني 1299هـ»⁽²⁾.

ومن التقييدات الوقفية على تعليقة على رسالة الفقهية للشيخ علي بن حسين الخاقاني، للسيد ناصر بن السيد هاشم بن السيد أحمد السلطان الأحسائي (ت 1358هـ)، فقد أوقفها عبد الله بن عبد الله آل حسين الأحسائي، وهي بلا تاريخ، كتب في وقفيتها النسخ نفسه: «أقر - أنا يا عبد الله بن عبد الله آل حسين - بأني أوقفت وحسب هذا الكتاب للاستنفاع، وجعلت الولاية إلى الملا ناصر بن حسين بن أحمد آل حسين⁽³⁾، ولعن الله البائع والشاري والمجتنبي، فمن بدله من بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين»⁽⁴⁾.

الإجازة:

وهي في الاصطلاح: الأذن من الشيخ في نقل الحديث عنه أو عمن نقل عنه بواسطة أو وسائط لنفس الراوي بخصوصه أو من يعمه.

(1) فهرس مختصر للمخطوطات في مجلس الشورى الإسلامي، مصدر سابق: 346.

(2) فهرس المخطوطات في مجلس الشورى الإسلامي، مصدر سابق: 30/ 211 - 112.

(3) كان اسم (آل حسين) هو الاسم المتعارف عليه آنذاك لفرع النمر من أسرة آل مبارك. راجع مجلة الواحة، مقال الملا ناصر النمر، بقلم الأستاذ أحمد بن الملا محمد بن الملا ناصر النمر، العدد (50) هامش ص: 123.

(4) مجلة الواحة، العدد (50)، مصدر سابق مقال الملا ناصر النمر، بقلم أحمد بن الملا محمد بن الملا ناصر النمر: 123.

وقد عرفها العلامة المجلسي بالتالي: «الإجازة هو الكلام الصادر عن المجيز المشتمل على إنشاءه الأذن في رواية الحديث عنه بعد إخباره إجمالاً بمرويّاته»⁽¹⁾.

أما الآقا بزرك الطهراني في الذريعة فقد عرفها بالتالي: «الإجازة هو الكلام الصادر عن المجيز المشتمل على إنشاءه الأذن في رواية الحديث عنه بعد إخباره إجمالاً بمرويّاته».

ويطلق - شائعاً - على كتابة هذا الإذن المشتملة على ذكر الكتب والمصنفات التي صدر الأذن في روايتها عن المجيز إجمالاً وتفصيلاً وعلى المشايخ الذين صدر للمجيز الإذن في الرواية عنهم. وكذلك ذكر مشايخ كل واحد من هؤلاء المشايخ طبقة بعد طبقة إلى أن تنتهي الأسانيد إلى المعصومين عليهم السلام»⁽²⁾.

وتكمن أهميتها في عوامل عديدة نوجز بعضها: منها التشرف والتبرك بالدخول والاندراج في سلك وسلسلة حملة الأحاديث عن النبي والأئمة المعصومين عليهم السلام، ومنها صيانة وحفظ الروايات عن القطع وحدوث الإرسال في سندها، كما تتضمن العديد من صفات التلاميذ والأساتذة وألقابهم العلمية من قبل مجيزيهم، وهي بمثابة شهادة علمية في حقهم على الوثاقة، تضاف إلى الإجازة الروائية.

نورد في يما يلي نماذج من هذه الكتب التي ضمت على صفحاتها إجازات أحسائية، إما مجيزون أو مجازون، وهي في معظم الأحيان تكون الكتب المتعلقة بالحديث أو التي درسها الطالب على أستاذه

منها في نسخة من كتاب (من لا يحضره الفقيه) للشيخ محمد بن علي بن بابويه

(1) المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي: بيروت، الطبعة الأولى: (د.ت): 166/102.

(2) محفوظ، شرحها وعلق عليها الدكتور حسين علي، إجازات الشيخ أحمد الأحسائي: مطبعة الآداب في النجف الأشرف، الطبعة الأولى 1390 هـ - 1971 م: 7، نقلاً عن الذريعة: 132/1.

القمي (ت 381هـ)، نسخ هداية الله بن محمد زمان الشريف 22 رمضان سنة 1090هـ، وهي نسخة مصححة بآخرها إجازة في ورقتين كتبها السيد شمس الدين بن محمد الحسنّي الأحسائي المدني للناسخ في 17 رجب عام 1095هـ، في المدرسة المحبية بشيراز⁽¹⁾.

وفي نسخة من كتاب (المسالك الجامعية في شرح الألفية) الشيخ محمد بن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور الأحسائي (حدود 906هـ)، نسخ الشيخ محمد بن حسين بن يحيى بن حنظلة الأحسائي، أنهى من نسخها في 10 رجب لعام 1003هـ⁽²⁾، في مكة المكرمة، دون في آخرها صورة إجازة كتبها ابن أبي جمهور الأحسائي لتلميذه عطاء الله بن معين الدين نصر الله السروري الأسترآبادي⁽³⁾.

كما دون إجازة في آخر كتاب (قبس الاقتداء في شرائط الإفتاء والاستفتاء) للسيد محسن بن السيد محمد الحسيني الرضوي المشهدي سنة 886هـ، بعد أن قرأه عليه فقال: «أنه - أبقاه الله وأيده - مقابلة ومطالعة وسماعاً من أوله إلى آخره السيد الجليل والكهف النبيل والفرع الأصيل، غياث الدين سيد محسن ابن محمد الرضوي المشهدي أدام الله توفيقه، وأجزت له روايته عني بالطرق إلى المشايخ المعترين رضوان الله عليهم، فليرو ذلك لمن شاء وأحب فإنه أهل لذلك، وليكن متحريراً محتاطاً لي وله في الرواية.

وكتب الفقير إلى الله الغفور، محمد بن علي بن جمهور الأحساوي مُصنّف الكتاب أصلح الله أحواله، وكان ذلك بالمشهد الرضوي المقدس على ساكنه السلام»⁽⁴⁾.

(1) الحسيني، السيد أحمد، مصادر الحديث والرجال مسرد بوليو غرافي لعشرة من أهم مصادر الحديث الرجال عند الشيعة الإمامية، منشورات دليل ما: قم المقدسة، الطبعة الأولى: 1432هـ - 2011م: 136.

(2) فهرس دنا، مصدر سابق: 534/9.

(3) فهرس مخطوطات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، مصدر سابق: 245/6.

(4) فهرس مصنفات ابن أبي جمهور الأحسائي، مصدر سابق: 276.

يوجد على نسخة من كتاب «الإمداد بمعرفة علوم الإسناد» وهو من تصنيف الشيخ سالم بن عبد الله بن سالم البصري (ت 1160هـ)، ونسخ عبد الله بن عبد الرحمن بن حكيم سنة 1241هـ، إجازة والد المؤلف عبد الله بن سالم البصري، لعبد الله بن محمد ابن عبد اللطيف الأحسائي⁽¹⁾.

كما يوجد على كتاب (شرح تبصرة المتعلمين) للشيخ محمد جعفر بن محمد علي البهبهاني، على الورقة الأولى إجازة من الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (ت 1241هـ) للمؤلف⁽²⁾.

وورد في ورقة ملحقة حول أنفس النسخ المعروفة لكتاب (اختلاف الفقهاء) لابن جرير الطبري، نص هذه الإجازة «بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن أعز أجنده، وبعد: فقد كملت قراءة الجزء الأول من شرح (المنتهى) إلى آخر الجهاد للعلامة الشيخ منصور البهوتي، وذلك مع الشاب الفالح والابن الناجح الشيخ إبراهيم بن أخينا المحترم الشيخ صالح اليماني أصلاً، والمكي مولداً، وبعد إكمال القراءة المذكورة مع الابن المذكور طلب مني الإجازة فأجزته بذلك وبما تجوز لي روايته منه ومن غيره، إجازة عامة، ولو لم أكن أهلاً لأن أجاز كما قيل:

ولست بأهل أن أجاز فكيف أن أجز ولكن الحقائق قد تخفى

وقد أخذت هذا الكتاب وغيره من كتب الفقه وغيره، عن مشايخ يتصل سندهم إلى أربابها، وإن فسح الله في الأجل كتبت سنداً بذلك، ومرجع أسانيدنا في العلوم لصلة الخلف العلامة ابن سليمان المغربي، ولسند الإمام النخلي المدني، ولعبد الله بن

(1) نواذر المخطوطات السعودية، مصدر سابق: 116.

(2) فهرس المخطوطات في مكتبة الحكيم، مصدر سابق: رقم المخطوط: 283.

سليمان البصري، ولمسند البابلي الشامي، وكل هذه المسندات، أرويههم إلى أن أتصل بأهلها عن مشايخ أحسائيين، وشاميين، ومدنيين، ومكيين، كالشيخ محمد بن فيروز، والسيد عبد الرحمن الزووي الأحسائيين، والشيخ مصطفى الرحمتي الأنصاري الأيوبي الشامي، والشيخ صالح الفلاني المدني مجاورة، والشيخ عبد الملك القلعي المكي.

أجزت من ذكر بما ذكر، وأنا الفقير إلى مولاه العلي، أحمد بن حسن بن رشيد الأحسائي مولداً، والمدني مهاجراً ومجاورةً، والحنبلي مذهباً ومعتقداً، حامداً ومصلياً مسلماً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وذلك في يوم الخميس أحد وعشرين ربيع الأول أحد شهور سنة ألف ومئتين وثمانية وثلاثين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تحية»⁽¹⁾.

وللشيخ أحمد بن حسن قيد قراءة وإجازة أخرى كتبها في مصر على كتاب (الروض المربع بشرح زاد المستقنع مختصر المقنع) للشيخ منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي الحنبلي (ت 1051هـ)، نسخ علي بن إسماعيل العياط العدوي المالكي ثم الحنبلي، وقد وقع الفراغ من نسخها يوم الخميس السابع عشر من جمادى الآخر سنة تسع وأربعين ومئتين وألف، فقد سجل إجازة للناسخ، وقيد قراءة «بلغ قراءة عدة مجالس آخرها يوم الأربعاء آخر شهر ذي القعدة الحرام، أحد شهور سنة (1249هـ) ألف ومئتين وتسعة وأربعين هجرية نبوية على مهاجرها أضل صلاة وأزكى تحية، وآله وصحبه سادات البرية، وذلك مع الابن الفالح والخل الناصح، والخدن السوي الشيخ علي بن إسماعيل العياط العدوي، أعلا الله قدره وزاد فخره، وقد أجزته بما فيه إقراء وإفتاء وبما يجوز لي روايته في سائر العلوم، وقد كتبت له قبل ذلك ثباً

(1) الأزهرى، صالح بن محمد بن عبد الفتاح، الفهرس الوصفي لمخطوطات الفقه الحنبلي وأصوله وفقه الظاهرية بالمكتبات المصرية، دار لطائف: الكويت، الطبعة الأولى: 1437 - 2016م: 349/1.

عاماً، أجزته بشرط الإجازة المعتبر عند أهل الأثر، وأن لا ينساني من دعائه في ساعات الإجابة، وأن يديم ذكر الله في قلبه ولسانه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً، قاله بقلمه وكتبه: أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي الأحسائي مولداً، المدني مهاجراً، المصري حالاً، أصلح الله حاله».

وبجوار قيد القراءة خاتم الشيخ أحمد بن حسن المذكور.

وكتب الناسخ قيلاً آخر قال فيه: «قد تم قراءة على أستاذنا الشيخ أحمد الحنبلي في غاية القعدة سنة 1249هـ»⁽¹⁾.

المقابلة:

وهو نوع من الإجراء يقوم به الناسخ أو شخص غيره، يقوم بمقابلة النسخة المنسوخة على نسخة أخرى أكثر وثاقة وصحة للتأكد من سلامتها من الخطأ والتغيير، وفي مثل هذا النوع من الإجراء يبحث عن النسخة التي بخط المؤلف أو القريبة من عصره لكونها أقرب إلى الصحة والسلامة من التحريف، أو على النسخة التي قام بكتابتها من يوثق بنقله وكتابته، وقد درج بعض أعلام الأحساء على مقابلة ما لديهم من نسخ خطية خاصة الهامة منها على مقابلتها وتصحيحها، ومن هذه النماذج ما يلي:

فعلى نسخة من كتاب (الأنوار النعمانية) للسيد نعمة الله الجزائري، عليها حاشية ومقابلة سنة 1231هـ⁽²⁾ وذلك في نهاية الجزء الأول بلاغ مقابلة من الشيخ حسين بن محمد آل عيثان الأحسائي: «بلغ مقابلة من البداية إلى النهاية بحسب الجهد والطاقة على يد مالكة غريق لجة الذنوب والخطايا والعصيان حسين بن محمد بن علي بن

(1) الفهرس الوصفي لمخطوطات الفقه الحنبلي وأصوله وفقه الظاهرية، مصدر سابق: 386/1.

(2) فهرس المخطوطات في مكتبة مجلس الشورى الإيراني، مصدر سابق: 93/24 - 94.

عيثان الأحسائي البحراني في الليلة 11 من شهر جمادى الثانية سنة 1231هـ⁽¹⁾.

ومنها ما قام به الشيخ إبراهيم بن علي الأحسائي، عمل مقابلة لكتاب (مختلف الشيعة) للعلامة الحلي الحسن بن يوسف الحلي، على نسخة مقابلة على نسخة الأصل، وكان الفراغ من نسخه ومقابلته سنة 983هـ⁽²⁾.

ومن نماذج المقابلة الجهد الذي قام به السيد حسين بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد أحمد الحسيني النديدي الأحسائي أجرى مقابلة ونسخ لكتاب شرح الكافية: رضي الدين نجم الأئمة محمد بن الحسن الأسترابادي (686هـ)، وقد انتهى من نسخه ومقابلته وإجراء التصحيحات يوم الخميس 23 شعبان 992هـ⁽³⁾.

ومنها المقابلة التي سجلها الشيخ صالح بن ثامر بن عبد الله بن ثامر البحراني الآوالي الأحسائي، كذلك وهو من أعلام القرن الحادي عشر الهجري، فقد قام بعمل مقابلة على ما نسخه من كتاب تهذيب الأحكام: شيخ الطائفة، محمد بن الحسن الطوسي (ت460هـ)، حيث تم الفراغ مما كتبه في يوم الأربعاء 12 ذي القعدة 1029هـ، وقد قابل النسخة على نسخة حسين بن كمال الدين الأبرز الحسيني الحلي، المقابلة على نسخة الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي، المقابلة على نسخة الشيخ الطوسي (المؤلف)، وأتم الانتهاء من مقابلة النسخة في يوم الأحد تاسع ذي القعدة سنة 1030هـ⁽⁴⁾.

كما قام الشيخ حسين بن الشيخ محمد آل عيثان بعمل مقابلة على نسخة من كتاب الأنوار النعمانية في معرفة النشأة الإنسانية للشيخ نعمة الله الجزائري (1050 -

(1) مكتبة مجلس الشورى: 4513، مجلد 108 - طباطبائي، حصلنا على نسخة من المخطوط من الأستاذ الصديق علي بن يوسف الحمد.

(2) مكتبة الإمام الحكيم العامة، نسخة إلكترونية.

(3) التراث العربي المخطوط في مكتبات إيران العامة، مصدر سابق: 22/7.

(4) مصادر الحديث الرجال، مصدر سابق: 217.

1112هـ)، وهي من نسخ علي أكبر بن عبد الله بن نور الدين بن نعمة الله، حفيد المؤلف، وقد فرغ الشيخ العيثان من المقابلة سنة 1231هـ⁽¹⁾.

وهذا النوع من العمل يعطي النسخة المصححة والمقابلة وثيقة واعتماد، بل ومصدقية لمن يطلع عليها على سلامتها، ولعل منشأ هذا النوع من الإجراء كثرة وجود الأخطاء في النسخ من النسخ تارة، أو من النسخة المعتمدة في عملية النسخ تارة أخرى.

الإعارة:

وتأتي الرغبة في الاستعارة عند شح النسخ، وعدم توفرها، أو قدم النسخة المستعارة وأهميتها العلمية، فكان العلماء يقيدون ثبت الاستعارة على الكتاب نفسه، حفاظاً على حق صاحب الكتاب من الضياع، ومن نماذج الاستعارة الأحسائية التي استطعنا معرفتها ما يلي:

استعار الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي كتاب (السهو في الصلاة) للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن فهد الحلبي (ت 841هـ)، المنسوخة من قبل محمد بن ناصر العسقاني، وكان الفراغ من كتابته 3 ذي الحجة سنة 850هـ، فقام بعمل تصحيح في ورقتين في البداية، بمطابقتها على نسخة الشيخ محمد بن علي بن حسين الشعبي [الأحسائي]⁽²⁾، التي استعارها الشيخ أحمد الأحسائي سنة 1189هـ⁽³⁾.

ومن نماذج استعارات الكتب الأحسائية كتاب (فوائد القلائد في شرح مختصر الشواهد) تأليف محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت 855هـ)، ممن تملكه محمد بن

(1) الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 261 / 5.

(2) هو نفس الشيخ محمد بن علي الشعبي الذي أوقف كتاب تفسير الطبرسي على علماء الشيعة في الأحساء المتقدم.

(3) فهرس المخطوطات في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي: رقم المخطوط: 20100313.

عبد الله آل عبد القادر، وقد استعاره منه عبد العزيز بن حسن بن مزروع سنة 1277هـ⁽¹⁾.

ومن نماذج الإعارة كتاب (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة) للشيخ يوسف بن أحمد البحراني (1107 - 1186هـ)، وهي نسخة مصححة استعارها «السيد السند الآقا سيد علي دام ظله»، بتوسط علي نقي بن الشيخ أحمد بن زين الدين⁽²⁾.

كما يوجد استعارة أخرى على كتاب (مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان) للشيخ أحمد بن محمد المقدس الأدريلي (ت 993هـ)، نسخ من القرن الثاني عشر، على النسخة تملك السيد خليفة بن علي بن أحمد بن محمد القاري الأحسائي النجفي في شهر صفر سنة 1243هـ، على الصفحة الأولى استعاره منه أسد الله وعلي بن السيد رضا⁽³⁾.

ومن نماذج الاستعارة الرائعة استعارة الشيخ حسن بن الشيخ عبد الله بن الشيخ علي آل عيثان الأحسائي (1290 - 1348هـ)، لكاتبه (البرهان في تفسير القرآن) للسيد هاشم بن السيد سلمان البحراني، و(مجمع البحرين في اللغة) للشيخ محمد علي الطريحي النجفي، من السيد هاشم بن السيد صالح آل بن محسن الحسيني، فلما قضى غرضه منهما أعادهما وقيد معهما هذه الأبيات⁽⁴⁾:

جزت الديار فلم أجد لك ثاني	يولي الجميل وصيغة الأحسان
ويعف مقتدراً ويسمح باسم	فوجدت صفوتهم أبي عدنان

(1) نواذر المخطوطات السعودية، مصدر سابق: 68.

(2) الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 719/12.

(3) البروجردي، السيد حسن الموسوي، فهرس مخطوطات مكتبة العتبة العباسية المقدسة، الناشر مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة: النجف الأشرف، الطبعة الأولى: 1434هـ - 2013م: 33/2.

(4) آل رمضان، جواد بن حسين آل الشيخ علي، مطلع البدرين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين، الطبعة الأولى: 1419هـ - 1999م، (د.م): 510/1.

متهجداً للواحد الديان	تلقاه إن نشر الظلام رداءه
آيات قدره مبدع الأكوان	متفكراً في الصنع والمصنوع من
عما قليل مضمحل فاني	لا يزدرية من الدنية زبرج
في بذل مكرمة ونشر بيان	يتباريان لسانه وبنانه
مادامت الأيام تعتقبان	فأسلم ودم في نعمة محروسة
من مجمع البحرين والبرهان	فلقد قضيت مآربي ولبانتي

الإهداء:

وهذا النوع من التقييدات يكون في الغالب من الناسخ الذي بذل جهده وعناءه، واعتنى بنسخه لأجل إهداء النسخة إلى أستاذه أو من يعز عليه رضاه، وهو نوع من التبادل العلمي الجميل الذي حفلت به بعض المخطوطات الأحسائية، نذكر منها على سبيل المثال:

من النسخ المكتوبة من أجل الإهداء ما نسخه الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن حسن بن وليد الأحسائي، من أعلام الأحساء في القرن الحادي عشر الهجري، المهاجر إلى بلاد فارس، كتاب (الثاقب في المناقب) لمحمد بن علي بن حمزة (ت 560هـ)، انتهى من كتابته ونسخه عام 1063هـ⁽¹⁾، لأجل سلطان بابا سلطان⁽²⁾.

كما نسخ الشيخ حاجي بن منصور بن سني بن أحمد الصائغ الأحسائي الأصفهاني، وهو من أعلام الأحساء الكبار في القرن الحادي عشر الهجري، لأجل

(1) فهرس دنا، مصدر سابق: 3/ 501.

(2) مجلة بنزوهي: سنة 1385هـ العدد (3)، مقال: فهرست مجموعة هاي خطي كتابخانه علامه طباطبائي، دنشگاه شیراز، كاتب: محمد برکت: 91.

الفيلسوف والمتكلم الكبير السيد محمد باقر بن محمد الميرداماد (ت 1041هـ)، كتاب (آمالى الصدوق) للشيخ محمد بن علي بن بابويه الصدوق (311 - 381هـ)، وكان الفراغ من كتابته في 10 من شهر ذي القعدة سنة 1033هـ، في منطقة سباهان⁽¹⁾.

ومن نماذج أهداءات الكتب الأحسائي ما كتب الشيخ حسين بن إبراهيم بن ناصر بن محمد بن خلف الأحسائي من أعلام الأحساء في القرن الحادي عشر الهجري، فقد نسخ كتاب (الاستبصار فيما اختلف من الأخبار) للشيخ محمد بن الحسن الطوسي (385 - 460هـ)، وقد فرغ من نسخ الجزء الأول منه ليلة الاثنين 18 رجب لسنة 1073هـ، ثم أنهى المتبقي منه ليلة الاثنين 19 شوال لعام 1075هـ⁽²⁾، وقد نسخه لأجل الميرزا محمد جعفر، وأخيه الميرزا غياث الدين، وهي نسخة مصححة⁽³⁾.

كما قام الشيخ دخیل الله سليمان بن يحيى بن سليمان بن هريس الحنبلي الأحسائي بنسخ كتاب (الشمال المحمدية)، لأبي عيسى محمد الترمذي (209-279هـ)، لأجل الشيخ محمود البيتوشي الشافعي⁽⁴⁾.

ومنها أنه نسخ الشيخ محمد بن منصور بن ناصر بن وحيد الصائغ الأحسائي، من أعلام القرن الحادي عشر الهجري، كتاب «جامع المقاصد في شرح القواعد» للشيخ علي بن الحسين المحقق الكركي (890 - 940هـ)، انتهى من نسخ الكتاب في الشام ليلة 24 ذي القعدة 1023هـ⁽⁵⁾ لأجل خزانة الشيخ لطف الله العاملي⁽⁶⁾.

(1) موقع بانك اطلاعات كتب ونسخ خطي، مصدر سابق.

(2) فهرس دنا، مصدر سابق: 1/ 731.

(3) الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 263/3.

(4) مظاهر ازدهار الحركة العلمية، مصدر سابق: 68.

(5) فهرس دنا، مصدر سابق: 3/ 596.

(6) فهرس المخطوطات في المكتبة المركزية بجامعة طهران، مصدر سابق: 33/7.

- القراءة والسماع:

لقد ربطنا بين القراءة والسماع في نقطة واحدة رغم الاختلاف بينهما في المعنى، ولم نفصل بينهما للارتباط الوثيق بين القراءة والسماع في النصوص التاريخية المتعلقة بقراءة وسماع الكتب، فكثير ما تجد كلمتي «قرأ وسمع»، ضمن التقييدات المرتبطة بهما، تقول الدكتورة نادية اليحيا: «وملاحظ إن القراءة مرتبطة في كثير من جوانبها بالسماع ارتباطاً يصعب معه في بعض الأحيان التفريق بينهما، وخصوصاً فيما يتعلق بالنماذج وشروط القراءة، إذ نجد الربط يكون بحروف العطف التي تدل على مطلق العطف بين المعطوف والمعطوف عليه، كحرف الواو، فنجد الإشارة مثلاً، «إن القراءة والسماعات»⁽¹⁾.

ولكي ندرك المعنى المقصود بالقراءة في عالم المخطوطات والكتب فهو: «قراءة عالم ذي صلاحية نسخة من الكتاب أثناء الدرس»⁽²⁾.

كما يعرف البعض السماع بـ «هو عبارة عما نصادفه في صدور المخطوطات أو ذيولها من إجازات تنص على أن الكتاب قد سمعه على مصنفه، أو على شيخ ثقة عالم واحد، أو كثيرون» وهي تعرف بـ «الإجازة السماعية» أو بـ «السماعيات»⁽³⁾.

وتكمن أهمية القراءة والسماع لدى العلماء نظراً لعدة اعتبارات يرون لها أهمية تستشف من خلال هذا النمط من التقييدات على الكتب وهي كما يرى الدكتور صلاح الدين المنجد كما يلي:

أولاً: أنموذج من انموذجات التثبت العلمي الذي كان يتبعه العلماء.

(1) تقييدات النجدين على المخطوطات، مصدر سابق: 49.

(2) تقييدات النجدين على المخطوطات، مصدر سابق: 49.

(3) مجلة معهد المخطوطات العربية: المجلد الأول، ربيع الأول 1375 - الجزء 1، إجازات السماع في المخطوطات القديمة، د صلاح الدين المنجد: 232.

ثانياً: وثائق صحيحة تدل على ثقافات العلماء الماضين وما قرأوه وما سمعوه من كتب.

ثالثاً: أنها مصدر للتراجم الإسلامية، فهي تتضمن أسماء علماء كثيرين لا نجد لهم ترجمة أو ذكر في الكتب التراجم.

رابعاً: وسيلة لمعرفة مراكز العلم في البلاد الإسلامية وحركة تنقل الأفراد في البلدان المختلفة نحوها.

خامساً: أنها دليل على صحة الكتاب وقدمه وتاريخه وضبطه⁽¹⁾.

بقي أن نشير إن كثير من «السماعات» للكتب يتبعها إجازة روائية من الشيخ الذي تمت القراءة والسماع على يديه، ولذا كثيراً ما تسمى بـ «الإجازات السماع»، للإرتباط الوثيق بينهما.

وفي التراث الأحسائي المخطوط نماذج مختلفة من هذه القراءات والسماعات التي كتبها أو حصل عليها علماء أحسائيون في طيات المخطوطات التي قرأها عليها تلاميذهم أو سمعوها من أساتذتهم، نكتفي بذكر بعض النماذج لتوضيح الفكرة:

ما كتبه الشيخ محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي (بعد سنة 906هـ)، لتلميذه الشيخ محمد بن صالح الغروي الحلي في خاتمة كتابه «كاشفة الحال»، إنهاء، وإجازة سماع، قال فيها:

«أنه أبقاه الله وأيده مقابلة ومباحثة ومطالعة وسماعاً وشرحاً واستشراحاً من أوله إلى آخره الشيخ الأجل والخبر الأكمل، العالم العامل التقى الورع، مُحقق العلوم والعالم بمنهج علوم الحي القيوم، شمس الملة والحق والدين محمد بن صالح الشهير بالغروي أصلح أحوال داريه ووفقه للخير وأعانه عليه بمحمد وآله، وقررت له جميع ما

(1) إجازات السماع في المخطوطات القديمة، مصدر سابق: 239.

سمعه، وأجزت له أن يروي عني بالطرق لي إلى علمائنا الماضين فليرو ذلك لمن شاء وأحب متحريراً محتاطاً لي وله، فإنه أهل لذلك.

وكتب الفقير إلى الله الغفور محمد بن علي بن جمهور الأحساوي تجاوز الله عنه بمحمد وآله، وأسأل منه ومن جميع الناظرين الدعاء لي بما يصلح الدارين، والحمد لله وحده»⁽¹⁾.

ومن النماذج فقد نسخ الشيخ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن علي الحريصي الأحسائي كتاب (إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان) العلامة الحلي الحسن بن يوسف ابن المطهر، وكان ابتداء الكتابة في يوم السبت 22 ربيع الثاني 1058 هـ، وإتمامها في يوم الجمعة 29 محرم 1059 هـ، في المدرسة الأسماعيلية بشيراز، قرأ الناسخ بعض الكتاب لدى الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني الأوالي فكتب الأستاذ له إجازة بآخره في ربيع الثاني سنة 1059 هـ⁽²⁾، ونص الإجازة:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الجواد الكريم، الحمد لله الذي وفقنا لإرشاد الأذهان إلى تنقيح قواعد الشرائع، ووقفنا على غاية المراد من كل مقتصر نافع، ومنتهى جامع، وألهمنا إيضاح المقاصد من سرائر الأحكام، بما فيه كفاية الطالبين، وعلمنا نهاية البيان للحلال والحرام بما فيه تبصرة وغنية للراغبين والصلاة على أفضل الأنبياء والمرسلين محمد الحريص على الهداية إلى أحكام الدين، وعترته المعصومين سيما علي أمير المؤمنين.

وبعد فقد قرأ عليّ الشيخ الفاضل النقي للودعي الكامل الذكي اليلمعي، الشيخ محمد بن علي الحريصي اللحسائي، جملة من هذا الكتاب، وهي من أول العتق إلى

(1) الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 391/29، فهرس مصنفات ابن أبي جمهور الأحسائي، مصدر سابق: 291.

(2) التراث العربي المخطوط في مكتبات إيران العامة، مصدر سابق: 501 / 1.

آخر كتاب الديات، قراءة معتبرة منقحة محررة مشتملة على تحقيق المطالب والدلائل وتنقيح ما تترتب على ذلك من الفروع والمسائل فاستجازني - أيده الله - ما قرأه وسمعه من المدلول والدليل، فأجزت له ذلك وسائر مروياتي من هذا القبيل وشرطت عليه الإحتياط في سلوك هذه المسالك، فإن في تركه القول على الله ورسوله وهو من أعظم المهالك، وكان هذا في شهر ربيع الثانية للسنة التاسع والخمسين بعد تمام الألف من الهجرة. وكتبه أحوج خلق الله إلى عفوه ورحمته جعفر بن كمال الدين البحراني الأوالي، عفى عنهما⁽¹⁾.

إنهاء:

من نماذج الإنهاء والإجازة الأحسائية التي تعود للقرن التاسع الهجري ما كتبه الشيخ محمد بن علي ابن أبي جمهور الأحسائي للشيخ شمس الدين محمد بن صالح الغروي الحلي المؤرخة بـ 4 جمادى الأول سنة 896 هـ، وقد قيدها في كتاب (المسالك الجامعية في شرح الألفية الشهيدية) فيقول ما نصه: «أنهاه أبقاه الله.. ومقابلة في... وسماعاً... وفهم جميع ما أشير إليه من المباحث المتقررة فيه، وسأل عن جميع مشكلاته وغوامضها، واستكشف عن جميع معضلاتها، وأجبتة عن كل ذلك وبينته له بياناً كافياً شافياً، فأخذه أخذ فاهم حازم واع له عارف به، وهو الشيخ الفاضل الكامل الورع التقي الصالح شمس الدين محمد صالح الغروي تجاوز الله عنه.

وقد أجزت له روايته عني بالطرق لي إلى المشايخ، إلى الأئمة عليهم السلام، وكان ذلك في مجالس متعددة، آخرها اليوم الرابع من شهر جمادى الأول سنة ست وتسعين وثمانمائة.

وكتب مُصنّفه الفقير إلى الله الغفور، محمد بن علي بن جمهور الأحساوي

(1) زودنا بصورة الإجازة سماحة الشيخ الدكتور محمد كاظم رحمتي في 15 شوال سنة 1436 هـ.

تجاوز الله عنه، وكان ذلك بالمشهد الرضوي المقدس على ساكنه السلام، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله⁽¹⁾.

كما كتب السيد ماجد بن السيد هاشم بن السيد علي بن السيد مرتضى بن علي بن ماجد الصادقي الحسيني الأحسائي البحراني (ت 1028هـ)، للشيخ أحمد بن جعفر البحراني، إنهاء وإجازة على كتابه «اليوسفية» بعد أن قرأها عليه⁽²⁾.

التقييدات المتنوعة:

وهي تقييدات متنوعة ضمت معلومات هامة كان لها الأثر في تثبيت معلومة أو تصحيح معلومة أخرى، أو فيها إضافة علمية على الموجود في الرسالة، قام بها الناسخ أو من تملك النسخة، وهي متنوعة في تراثنا الأحسائي نذكر منها على سبيل المثال:

تقييد الوفاة:

فقد ورد في بعض المخطوطات تقييد دقيق بتاريخ وفاة الشيخ حسين بن إبراهيم بن خميس الأحسائي توفي في 28 صفر سنة 1241هـ⁽³⁾، فكان لهذا الأثر التحديد لوفاة الشيخ الخميس الأحسائي.

كما يعتبر الشيخ حسن بن سلطان بن علي بن محمد بن خليفة الأحسائي، تلميذ الشيخ الفقيه محمد بن عبد علي آل عبد الجبار القطيفي وأحد ناسخي كتبه، هو أول من أشار إلى تاريخ دقيق بسنة وفاة الشيخ آل عبد الجبار فقال: «تاريخ موت الشيخ محمد آل عبد الجبار يوم الرابع من شهر جمادى الأولى سنة 1252هـ، الثاني والخمسين

(1) فهرس مصنفات ابن أبي جمهور الأحسائي، مصدر سابق: 276.

(2) البحراني، السيد ماجد بن السيد هاشم الموسوي الحسيني الجد حفصي، الرسالة اليوسفية في الأصول الإعتقادية والأحكام الصلواتية، تحقيق: الشيخ إبراهيم عبد الحسين السندي الستري البحراني، المطبعة العلمية: قم، الطبعة الأولى: 1416هـ - 1996م: 8.

(3) الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 803 / 1.

ومائتين وألف»⁽¹⁾، عندما قيده في طرف بعض الكتب «الشيخ آل عبد الجبار» التي نسخها، بينما قبل ذلك كان وفاته محل خلاف واضطراب بين المؤرخين أو تردد لا أقل، فجاء تقييده ليقطع الشك باليقين، وتحديد يوم الوفاة بكل دقة.

لغز نحوي:

قيد الشيخ أحمد بن حسين آل حرز بعد نسخه كتاب (ألفية ابن مالك) في آخر النسخة المذكورة أرجوزة في مدح العلم وخاصة علم النحو العربي وفي آخر الأرجوزة لغز نحوي طلب الشيخ محمد بن عبد الله آل رمضان (ت 1240هـ)، من تلاميذه حلّ اللغز، وهي معنونة بـ «وقال الشيخ الفاضل المحقق المدقق محمد بن عبد الله بن رمضان الأحسائي عفى الله عنه بمنه وكرمه»
نص الأبيات ⁽²⁾:

الحمد لله العلي الأقدم	معلم الإنسان ما لم يعلم
هادي العباد سبيل الرشاد	وموصل الكل إلى السداد
العقل والدين الحنيف الواضح	مبين الحسن من القبائح
فليس للخلق عليه حجة	إذ قد هداهم سبل المحجة
ثم الصلاة والسلام السامي	على النبي المصطفى التهامي
خير نبيّ جاء في خير الأمم	وبشخصه الرسل الأهنأ ختم
وآله الذين ربنا حتم	ودادهم قاطبة على الأمم
وصحبه الذين وازوه	حقاً وفي الأقوال تابعوه

(1) مجلة الواحة، صيف عام 2008م، العدد (50)، من تراث الشيخ محمد بن عبد الجبار مخطوطة القطيف

(1 - 2)، الأستاذ نزار عبد الجبار: 95.

(2) أعلام الأحساء، مصدر سابق: 57 - 58.

وبعد فالعلم رفيع الرتب
من فاته العلم فعمره هبا
وخير كسب لذوي الألباب
والبحث عن مشكلها والواضح
وشد ظهر الفكر بالنطاق
كي يعرف الذكي والبلید
فالنحو من أعلا العلوم قدراً
بدونه لا تدرك المعاني
وإنني سائلكم يا أسرتي
ويا نحاة العصر والأواني
عن اسم استعمل بلا تركيب
ومقتضى عامله رفع ظهر
في حالة واحدة قد اقتضى
وكلها على القياس جارية
فهل فتى يفض لي ختامه
هداكم الرحمن للصواب
ظننت ما من أحد لا يعرفه
ما فيكم غمر ولا مغرور

أحسن مذخور وخير مطلب
لو نال في دنياه ما نال سبا
تذاكر العلوم للطلاب
والفحص عن موجبها والراجح
وجريه في حلبة السباق
ومجبل الضعف والحديد
إذ صار مفتاحاً لها وجسراً
ولا يبين غامض القرآن
ويا أحبائي وأهل ملتي
ويا سراة الدهر والزمان
مجرور خربلا تكذيب
والنصب في باطنه قد استقر
ثلاثة الأوجه يا أهل الرضا
من الشذوذ والندور عارية
أرفع ما بين الملا مقامه
ودلكم ربي على الجواب
في نقده صرفاً لمن لا يصرفه
يا هؤلاء أنتم البدور

فائدة علمية:

من أبعاد التقييدات الأحسائية ما سجله الشيخ محمد بن الشيخ علي آل عيثان الأحسائي في كتاب (ذكرى الشيعة) للشهيد الأول الشيخ محمد مكي العاملي (734 - 786هـ)، كتب سنة 1210هـ، بخطه فائدة مختصرة في الأوزان، في أحد جوانب الكتاب⁽¹⁾.

أبيات شعرية:

كما دون بعض أعلام الأحساء أبيات شعرية على بعض المخطوطات منها ما في نسخة كتاب (تشریح الافلاك) تأليف الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي (ت 1030هـ)، المنسوخة في ليلة الثلاثاء 5 جمادى الأول 1116هـ، أبيات شعرية من الشيخ محمد بن عيثان الأحسائي⁽²⁾.

هذه مجموعة من التقييدات الأحسائية التي تعكس العمق التاريخي في التعامل مع المخطوطة الأحسائية، والتنوع الذي حظيت به طوال تاريخها، وما سقناه لا يمثل إلا نماذج جمعناها من هنا وهناك لنعطي القارئ تصور عن طبيعة وتنوع التقييدات الأحسائية، وإن الموضوع يحتاج إلى جهد أكبر، وتعمق أكثر من خلال البحث والتحقيق في دلالاتها ومعانيها المختلفة، من قبل المهتمين والمختصين في مجال المخطوطات والتراث، أرجو أني وفقت في خلق تصور عام وحقت الغرض المنشود من هذه الدراسة.

خواتيم الوراقين الأحسائيين على المخطوطات

نسخ الكتب والوراقة من المهن والأعمال الشاقة والمتعبة جداً لا يدرك مشقتها إلا من خاضها وعرف ما فيها من معاناة وجهد كبير يستشعره الوراقون بعد نهاية

(1) مجلة تراثنا، السنة التاسعة عشر، محرم - جمادى الثاني 1424هـ، العددان (73 - 74): 246.

(2) مخطوطات المكتبة الجعفرية في قائن بإيران: رقم المخطوط: 158.

نسخهم، والذي يستغرق وقتاً يتراوح بين أيام في بعضها، وقد يصل إلى شهور في البعض الآخر، هذا ناهيك عن الانقطاع الذي يعيشه النّاسخ عن محيطه في حالة صراع مع الوقت لإنجاز عمله والظفر بختامه، لينتشي فرحاً ويطير سروراً.

فتكون الخاتمة هي اللحظات التي تعد تنهيدة الكتاب والمتنفس الذي يُبرز الناسخ فيه مشاعره وبعض أحاسيسه، والتي تربطه بالقارئ للكتاب يعبر خلالها عن نفسه، ويكشف له بعداً من أبعاد حياته أو معاناته، أو الغرض الذي من أجله نسخ الكتاب، إلى أهداف عديدة نجدها مألوفة بين الوراقين، وهي لحظات غاية في الروعة والجمال.

والأحساء بلد عقب تاريخها العلمي بعدد كبير من الوراقين ونسّاخ الكتب الذين أثروا الحركة العلمية داخل الأحساء وخارجها، بمئات الكتب في مختلف العلوم والمعارف، وخلال السطور القادمة سنحاول أن نسلط الضوء على تلك الخواتيم المختلفة من خلال عشرات المخطوطات الأحسائية التي اطلعنا عليها إما من خلال نسخهم المخطوطة أو فهارس المكتبات التي دونت إنهاءهم لما نسخوه من كتب في خواتيمهم تجسد هذا الإحساس والنشوة التي يعبر فيها عما يجول في داخله، نتمنى أن نكون وفقنا لبيان هذا الجانب من حياة الوراقين الأحسائيين الذي استمر على مدى خمسة قرون.

1- أهمية الكتاب وفضله:

الكتاب هو الخل الوفي الذي يكون معك وقت الضيق ولا يشعرك بالملل ولا يتذمر منك، يسعدك ويكون بقربك في أي وقت تحتاجه، لا يخونك ولا يجفئك، كما تقتبس منه الفوائد الكثيرة بلا منه، نعم أنه الكتاب حبيب القلوب وصديق العلماء، وقد أكد الوراقين هذا الهدف كأحد عوامل النسخ.

ومن هؤلاء الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف الكرودي (القرن الرابع عشر)،
الذي ختم نسخه للمخطوطة ببيتين يبينان قيمة الكتاب وأهميته، وهما للنمر بن تعلب:

نعم الجليس والرفيق كتاب تخلو به إن فاتك الأصحاب
لا يفشين سر إذا استودعته وتنال منه حكمة وصواب

2- ذكر الهدف من النسخ:

تختلف الغايات من ناسخ إلى آخر في تحديد الأهداف التي من أجلها قام بكتابة
ونسخ الكتاب، عبر بعضهم وأفصح عنها في خاتمة لنسخة كتبها، وهي تحمل في طياتها
أفكار ورؤى جميلة ورائعة. حاولنا أن نأخذ جولة على مجموعة وراقين أحسائيين
والنظر إلى خواتيم مخطوطاتهم والغاية التي قاموا بنسخ المخطوط فكانت النتيجة في
الأمر التالية:

- حباً لآل البيت:

ذكر الشيخ أحمد بن محمد بن علي الأحسائي المحاري، وهو من أعلام القرن
العاشر الهجري، وقد نسخ كتاب (الأقوال في الرجال) للشيخ محمد علي الأسترابادي،
وقد فرغ من تسويده ونسخه عام 991 هـ. فقال: «أحمد بن محمد بن علي بن سيار بن
إبراهيم بن حسن بن أحمد بن سيار المحاري منزلاً، البحراني مولداً، الأحسائي أصلاً».
وختمه المخطوطة بقوله بعد ذكر نسبه بهذه الأبيات⁽¹⁾:

تم بعون الله واهب النعم تنميق ذا الكتاب بالقلم
على يد الأقل أحقر الأمم فتى محمد أحمد الذي لزم
حباً لآل البيت حقاً واعتصم به الكفاية يوم إحياء العدم

(1) مطلع البدرين في تراجم علماء وأدباء الأحساء والقطيف والبحرين، مصدر سابق: 265.

أنه حباً لآل البيت وحفظ إرثهم العلمي ورجالاته جعلها غاية وهدف ودافع له لنسخ الكتاب، عبر الكتابة للتراث العلمي والديني الذي يحفظ تاريخهم ونهجهم، وهذا ليس بغريب فقد عرف الأحسائيون بشدة تعلقهم بآل بيت النبي، والحب العميق لهم، وهذه الآيات واحدة من تلك الصور.

- الدراسة والتعلم:

وهي حالة نجدها في الكثير من المخطوطات خاصة إذا كان الناسخ في مراحله الدراسية الأولى أو المراحل العالية وأراد أن يتزود في العلم والمعرفة ويستفيد بما في الكتاب من فوائد علمية في دراسته وحضور درسه، منهم الشيخ جعفر بن محمد الجبيلي الأحساوي، عمد إلى نسخ كتاب (جامع المقال في ما يتعلق بأحوال الحديث والرجال) لفخر الدين ابن محمد على النجفي، وقد فرغ من نسخه يوم الأحد غرة شهر جمادى الأولى سنة 1122هـ، وقد ختم تسويد النسخة وكتابتها بقوله: «قدم الكتاب بعون الملك الوهاب على يد أقل عباد الله عملاً وأكثرهم زللاً جعفر بن محمد بن إبراهيم الجبيلي الحساوي أصلاً وشيراز مسكناً ومولداً كتبت بنفسي لنفسي وفقني الله لفهم بما فيه أنه جواد كريم ظهر يوم الأحد غرة شهر جمادى الأول أحد شهور سنة الثانی والعشرين ومائه بعداً لألف من الهجرة النبوية المصطفوية على مهاجرها وآله ألف ألف التحية والسلام»⁽¹⁾، فقد جعل فهم ما فيه والاستفادة منه سبباً لنسخ الكتاب، في إشارة أنه لا زال في سنواته التحصيلية والدراسية.

- الفائدة العلمية:

وهذا السبب يشكل الهدف الغالب لنسخ الكتب فالمنفعة العلمية العامة والاطلاع على ما فيه وجني الثمار العلمية الموجودة بين جوانبه غاية كبيرة تشترك فيها

(1) فهرس مخطوطات المكتبة الوطنية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مصدر سابق: رقم المخطوط: 5-15976.

طلاب العلماء الصغار والكبار، الفضلاء والفقهاء على حدٍ سواء فالكتاب هو صديق العالم مهما بلغت درجته وارتفعت مكانته العلمية فلا غنى له عنه.

فقد نسخ السيد أحمد بن علي الحسيني النديدي (توفي بعد سنة 1035هـ) (إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد) لفخر المحققين محمد بن الحسن الحلبي (682 - 771هـ)، وذكر في آخره: «أنه كتبه لنفسه - متعه الله - بحضرة شيخه الأجل، الشيخ علي بن محيي الدين الجامعي العاملي في بلدة تون، وفرغ من الكتابة في ربيع الثاني سنة 1035هـ»⁽¹⁾.

كما نسخ الشيخ جعفر بن محمد الأحسائي (كان حياً سنة 1078هـ) (تيسير الملك الجليل بجمع الشروح وخواشي مختصر خليل) السنهوري، وقد نسخه لنفسه، وختمه بقوله: «وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء الشريف، الجزء الثاني من التيسير، ظهر الثلاثاء في الخامس عشر من شهر رمضان المعظم أحد شهور سنة 1078هـ، وذلك بيد كاتبه لنفسه، ولمن شاء الله تعالى بعده، عبده الفقير، المضطر لرحمة ربه القدير، جعفر بن محمد جعفر - غفر الله له ولوالديه، ومشايخه، وإخوانه، وجميع المسلمين - آمين».

ونسخ الشيخ محمد بن منصور الأحسائي من أعلام القرن الحادي عشر وتلاميذ الشيخ البهائي في أصفهان كتاب (الإثنا عشرية في الصلاة) للشيخ البهائي، محمد بن الحسين العاملي (953 - 1030هـ): «كتبها بنفسه لنفسه محمد بن منصور الأحسائي في المعمورة أصفهان».

وقال في نفس الصفحة في تمهيش آخر: «كتب هذه المجموعة العبد الفقير محمد بن منصور اللخسائي في المعمورة أصفهان، في زمان الملك العادل العاقل سلالة

(1) أعيان الشيعة، مصدر سابق: 357/10.

المختار وحيدر الكرار الشاه عباس الحسيني، أدام الله أيام دولته وأبقاه، آمين آمين آمين، قريب من المسجد الجامع الكبير سنة الرابعة والعشرون بعد الألف»⁽¹⁾.

وأيضاً عمده الشيخ إبراهيم بن علي الجبيلي الأحسائي، إلى كتابة (تفسير فرات الكوفي)، فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، قال آغا بزرك الطهراني عنه: «إبراهيم الأحسائي بن علي بن عبد الله الجبيلي المولد، الشيرازي المسكن، كتب لنفسه (تفسير فرات بن إبراهيم)، في أيام مجاورته لمكة المكرمة، وفرغ منه ظهر يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة 1083هـ»⁽²⁾.

وكذلك الشيخ حسن بن أحمد آل أبي خضر (توفي بعد عام 1286هـ)، مما نسخ كتاب (مفتاح الشرائع) الشيخ محمد بن شاه مرتضى الفيض الكاشاني (1006 - 1091هـ)، قال بعد أن استكمل فهرست الكتاب ما نصه: «تم الفهرست بعون الله وحسن توفيقه في اليوم الرابع من ذي القعدة سنة 1286هـ، بقلم مالكة حسن بن أحمد بن محمد آل أبي خضر، تجاوز الله عن سيئاته»⁽³⁾.

وجميع هذه التملكات هي وقيود النسخ تبين أن الكتاب تم كتابته ونسخه من أجل المنفعة والاستفادة الذاتية، ليس من أجل التجارة أو الطلب من الآخرين، علماً إنه قد تتداخل المنفعة الشخصية من الكتاب مع النسخ من أجل الدراسة والتعلم، إذ بعض هذه الكتب تعد كتب دراسية قد يأخذها على بعض الأعلام.

- من أجل التكسب:

من المسالك التي اتخذها طلاب العلم للتكسب والترزق، العمل على الوراقة التي هي تحفظ ماء الوجه لرجل الدين، وتحفظ كرامته، إضافة أنها من عمق توجهه

(1) صورة من المجموع الخطي زودنا بها الأستاذ الباحث علي الحمد من الكويت.

(2) أعلام الأحساء، مصدر سابق: 30.

(3) أعلام الأحساء، مصدر سابق: 195.

وتخصصه الديني والعلمي، وقد تميز في هذا الفن مجموعة عرفت بالدقة في النقل والنسخ، إضافة إلى جودة الخط وحسن تزويقه، الأمر الذي يجعلهم مفضلين عند العلماء، وجماع الكتب ويحرصون على اقتناء منسوخاتهم لما يرونه فيها من ضبط وجمال خط وحسن تنسيق.

والأحسائيون برز بينهم مجموعة اشتهروا بجمال وإتقان الخط في الأوساط العلمية، فكان منهم:

الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد ابن وليد الأحسائي من أعلام القرن الحادي عشر، الذي نسخ (كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر) لعلي بن محمد خزاز الرازي (القرن الرابع الهجري).

قال في نهايتها⁽¹⁾: «وقع الفراغ من كتابة هذا الكتاب ضحى الاثنين في الثالث عشر من شهر رجب الأصم سنة الثالثة والستين وألف بقلم الفقير إلى ربه المجيد، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن حسن بن وليد الأحسائي منشئاً ومولداً ومسكناً غفر الله له ولوالديه، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، وكتبته للسلطان المعظم المكرم بابا سلطان، متعه الله به زماناً طويلاً آمين آمين رب العالمين.

أقسمتُ بالله على ناظرٍ في هذه الأحرفِ والأسطرِ
إلا دعا الله لمن خطها بالأمن يوم الفزع الأكبر»
وهنا يتضح أن سمعته كناسخ وصلت أعلى سلطة في المنطقة التي كان يقطن فيها، وهو السلطان.

ومن أعلام الوراقين الأحسائيين الشيخ محمد بن علي النجار الحساوي من أعلام القرن العاشر الهجري، فقد نسخ (ديوان علي بن المقرب العيوني)، للأمير

(1) الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 449/26، كما حصلنا على بعض صفحات النسخة الخطية من المحقق البارع الشيخ أمير النيشابوري.

علي بن المقرب العيوني، فرغ من نسخه سنة 963هـ، فقال: «على يد أقل عباد الله، الفقير الحقير، الراجي أن الله يغفر له الوزر الكبير محمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن إبراهيم بن محمد علي بن داوود النجار الحساوي محتده، غفر الله له ولوالديه، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، آمين، وكان ذلك في تاريخ الثالث من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وتسعمائة لخزانة المؤدي الفروض والسنن، الطائع لربه في السر والعلن، أمّنه الله في الوطن سبحان ذو الفضل والمنن، الفقير إبراهيم بن حسن بن زهير أيده الله بعنايته، أنه على كل شيء قدير، إنه غفور رحيم»⁽¹⁾.

ومن الوراقين الأحسائيين المتميزين الشيخ منصور بن منصور الحاجي (توفي بعد سنة 1058هـ)، فقد كتب (إكمال الدين وتمام النعمة) للشيخ محمد بن علي بن بابويه، الشيخ الصدوق (311 - 381هـ)، كان الفراغ من نسخه في 15 شعبان لسنة 1058هـ، وقد كتبه لأجل القاضي محمد أمين الأصفهاني⁽²⁾.

كما منهم الشيخ دخیل الله بن سليمان ابن هريس (توفي بعد سنة 1195هـ)، الذي نسخ كتاب (مسند الإمام أحمد بن حنبل) تصنيف ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن هلال الشيباني (164 - 241هـ)، وقد وقع النسخ في 14 من شهر ذي القعدة 1179هـ، وكتب في آخر النسخة «أنه كتبه امتثالاً لأمر الشيخ ابن فيروز»، وعليه عبارة: «من فضل ربي انظم إلى كتبي» وهي عبارة يوردها الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش في تملكاته، وقد كتبت بالمداد الأسود المطعم بالأحمر والأخضر، وورقها صقيل، وخطها متوسط⁽³⁾.

(1) أعلام الأحساء، مصدر سابق: 174.

(2) الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 687/4.

(3) آل الشيخ، عبد المحسن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن، الفهرس المصور لمخطوطات ومصورات مكتبة الرياض السعودية العامة، مكتبة الرياض السعودية العامة: الرياض، الطبعة الأولى: 1436هـ -

2015م: 17.

كما برز لنا من الوراقين الشيخ أحمد بن عبد العزيز القرين (كان حياً سنة 1358هـ)، فقد نسخ (صرف العناية في كشف الكفاية) لعبد الله بن محمد الكردي البيتوشي (عاش في سنة 1179هـ)، وقد انتهى من كتابته سنة 1358هـ، وذلك لأجل الشيخ محمد بن عبد العزيز الجاركي الفارسي⁽¹⁾.

- الإهداء:

اعتنى بعض العلماء في التعبير عن الحب لأساتذتهم وتقديرهم بإهداءهم الكتب الهامة أو التي يشعرون برغبتهم اقتنائها، أو تمثل حاجة علمية لهم كمن يكون في المراحل الدراسية الأولى، فيكون بأمس الحاجة للدعم والتشجيع، أو من الأساتذة وأصحاب الفضيلة العلمية العالية فيقوم الطالب بخدمة أستاذه لعلمه برغبته في مثل هذه الرسالة، ومن نماذج الأهداء العلمي في التراث الأحسائي كهدية للتشجيع والدعم للطالب، فقد نسخ الشيخ عبد النبي بن عيسى آل عيثان (كان على قيد الحياة 1062هـ)، كتاب (مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام) تصنيف الشهيد الثاني، زين الدين بن علي العاملي (911 - 965هـ)⁽²⁾، فرغ من نسخه ظهر يوم الأحد 13 رمضان سنة 1062هـ، وقد نسخه لأجل أخيه الأصغر الشيخ حسين بن الشيخ عيسى بن إبراهيم آل عيثان من أجل الدرس بقرينة قوله: «متع الله بحفظه والعمل به»⁽³⁾.

- الطلب من الأستاذ:

وحياناً يكون الهدف من النسخ طلب الأستاذ وأمره تلميذه بذلك لحاجة الأستاذ إليه، ومنهم الشيخ دخیل الله بن سليمان ابن هريس (توفي بعد سنة 1195هـ)، قام بنسخ

(1) أبا حسين، الدكتور علي، فهرس مخطوطات البحرين، مركز الوثائق التاريخية: البحرين، الطبعة الثانية:

1404هـ - 1983م: 2/ 185.

(2) فهرس (دنا)، مصدر سابق: 9/ 531.

(3) فهرس دنا، مصدر سابق: 9/ 531.

(التصريح) للشيخ خالد الأزهرى، وقد كتب في خاتمته: «كتبه في مدينة المبرز من الأحساء المحروسة، وذلك بامثال الأخ الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز»، وهذا المخطوط منسوخ في عام 1170هـ⁽¹⁾.

ومنهم الشيخ محمد بن عبد العزيز آل عبد القادر (كان حياً سنة 1191هـ) قام بكتابة (تحرير الكلام في مسائل الالتزام) بطلب من أستاذه الشيخ عبد العزيز بن مبارك بن غنام، وقد قيد الناسخ هذا الاستكتاب في خاتمة الكتاب ونصه: «على يد العبد الفقير على الله تعالى، محمد بن عبد العزيز بن أحمد بن علي بن عبد القادر النجاري الأنصاري الخرجي، خدمة لجناب سيدنا ومولانا شيخنا الشيخ عبد العزيز بن الشيخ مبارك ابن غنام غفر الله لنا ولهم جميع الأنام وأخلصنا معهم في شفاعة سيد الأنام - صلى الله عليه [وآله] وسلم - ضحوة الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول عام 1191هـ، والحمد لله رب العالمين»⁽²⁾.

- الوقف على الانتفاع العام:

كتعبير عن الحس الاجتماعي وتحمل المسؤولية الاجتماعية أن يكتب الناسخ أو من يأمره بالكتابة لأجل تكون وقفاً يستفيد منها المحيطين به، منها ما نسخه الشيخ أحمد بن محمد بن علي البغلي (توفي سنة 1278هـ)، القرآن الكريم في 26 صفر لعام 1278هـ، وقد أوقف النسخة الحاج أحمد بن محمد بن رمضان الأحسائي، المؤلفة من ثلاثين جزءاً من القرآن الكريم، وقد جعل وقفيتها: «لانتفاع إخوانه المؤمنين في الفواتح وغيرها، ونهى الواقف عن تعليم الأطفال فيها».

ونسخ السيد خليفة بن علي الموسوي (1185- 1279هـ)، كتاب (مسالك الأفهام

(1) جريدة الرياض، العدد (14067) الجمعة 9 ذي الحجة 1427هـ، السنة الثالثة والأربعون، مقال، إطلالة على نوادر التراث العلمي لبلاد الأحساء (1): 26.

(2) مكنتات الدولة السعودية الأولى المخطوطة، مصدر سابق: 133.

إلى تنقيح شرائع الإسلام) الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي (911 - 965هـ)، في مجلد كبير من أول باب العتق إلى آخر باب اللقطة⁽¹⁾، ووقفه لابنه السيّد محمّد بن خليفة ومن بعده من ولده في 1230هـ، وابنه السيّد محمّد في هذا التاريخ كان من الرجال البالغين⁽²⁾.

كما كتب الحاج عبد الله بن عبد الله آل حسين النمر (1283 - 1360هـ)، الرسالة العملية للسيد ناصر بن السيد هاشم السلطان الأحسائي (ت 1358هـ) بتعليقه على الرسالة الفقهية للعلامة الشيخ علي بن حسين الخاقاني: وهي بخطه كتب فيها: «أقر أنا يا عبد الله بن عبد الله آل حسين بأني أوقفت وحبت هذا الكتاب للاستفاد، وجعلت الولاية إلى الملا ناصر بن حسين بن أحمد آل حسين⁽³⁾، ولعن الله البائع والشاري والمجتني، فمن بدله من بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه - وصلى الله على محمد وآله الطاهرين -»⁽⁴⁾، وهي نسخة سليمة، وتتميز بخط غاية في الجودة، وهي مجلدة على يد عبد الله الخزعل بالقارة عام 1353هـ، ويحتمل إن هذا قريب من تاريخ نسخها⁽⁵⁾.

3- الحمد والشكر على إتمامه:

نتيجة للصعوبات التي تكتنف نسخ الكتب وما يراه الناسخ من معاناة وتعب، فإنه يحمد الله ويشكره على إتمام الكتاب والفراغ من نسخه، ومن هذه النماذج ما كتبه

(1) من نساخي الكتب في الأحساء، مصدر سابق: 63.

(2) من قناة - على التلغرام - التراث والتحقيق بين يديك للمحقق والمفهرس الكبير الأستاذ أحمد علي مجيد الحلبي النجفي.

(3) كان اسم (آل حسين) هو الاسم المتعارف عليه آنذاك لفرع النمر من أسرة آل مبارك.

(4) مجلة الواحة العدد (50)، مقال الملا ناصر النمر، بقلم الأستاذ أحمد بن محمد النمر: 123.

(5) رأيت المخطوطة في حوزة الأستاذ أحمد بن محمد بن الملا ناصر النمر بالدمام. في يوم السبت 11/6/1428هـ.

الخطاط المجيد الشيخ عبد علي بن محمد آل رمضان، الذي يختم كل مخطوط بأبيات مختلفة من إنشاءه والذي كان من كبار خطاطي الأحساء وناسخيه:

فقد نسخ (ألفية ابن مالك في علم النحو) وقد ختم نسخها بقوله:

«تم الكتاب ولست أحصي حمد من أولاني التمكنين والإمهالاً
وأمدني بلطائف من عنده وأعانني سبحانه وتعالى

كان الفراغ من كتابة هذه الأوراق في اليوم الثالث عشر من شهر شعبان المبارك من سنة 1181 من الهجرة، بقلم الفقير إلى الله تعالى الملك الجبار، عبد علي بن محمد بن حسن بن رمضان العطار - غفر الله له ولصاحبه وللمسلمين - والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً»⁽¹⁾.

4- التعريف بنفسه وأطوار حياته:

من النكات المهمة والجميلة التي يختم بها الوراقين منسوخاتهم هو التعريف بأنفسهم، سواء بعض المعالم عن حياتهم كتنقلاتهم ورحلاتهم من بلد إلى بلد، أصولها ومذهبه ومسكنه، وهي أمور قد يعسر معرفتها لولا ذكره إياها، بسبب القرون العديدة التي تفصل بيننا وبينه، عدم وجود ترجمة له في كتب الرجال، فكان هذا التعريف التفاته جميلة ورائعة من الناسخ، فكان منهم على سبيل المثال:

الشيخ راشد بن سعد النجدي الأحسائي، فقد نسخ كتاب (فرائض منتجة من كتاب التلقين على مذهب الإمام مالك) وهو من تأليف أبي عامر الأصبغي: وهي مختصة بالفرائض والوصايا وتاريخ نسخها عام 963هـ، حيث يظهر فيها أنه من أهل نجد أصلاً وأحسائي مولداً جاء في آخرها: «كتبه راشد بن سعد بن راشد بن سالم

(1) آل رمضان، حسين بن جواد، الشيخ حسن بن أحمد آل رمضان بين العلم والعمل، (د.ن)، الطبعة الأولى: 1420هـ: 4.

النجدي نسباً المالكي مذهباً الأحسائي مولداً، والبصرة وطناً غفر الله له ولوالديه والمسلمين وكان ذلك في 16 ذي الحجة 963هـ⁽¹⁾.

ونسخ الشيخ سالم بن منصور بن راشد الأحسائي، من أعلام القرن العاشر الهجري، فقد نسخ إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف الحلي (648 - 726هـ)، انتهى من نسخه ليلة الثلاثاء 28 رجب لعام 981هـ⁽²⁾، قال في نهايته: «وكان الفراغ من تسويده ضحى يوم الثامن والعشرين من رجب سنة إحدى وثمانون وتسعمائة هجرية في المشهد المقدس الرضوي على مشرفه التحية والسلام على يد صاحبة أقل عباد الله وأحوجهم إليه سالم بن منصور بن راشد بن ناصر بن حسين الساكن بلدة الأحساء المحروسة، والله الموفق»⁽³⁾

وكتب الشيخ محمد بن الشيخ حسن الأوالي الأحسائي (من أعلام القرن العاشر)، وقد نسخ عدة كتب ضمنها مجموعة معلومات عن حياته غاية في الأهمية لمن أراد ترجمته والكتابة عن سيرته، منها كتاب (الدروس الشرعية في فقه الإمامية) للشهيد الأول محمد بن محمد مكي الجزيني العاملي (ت 786هـ)، قال في نهايته: «كتبه من أوله إلى آخره على يد أقل عباد الله وأحوجهم إلى رحمة ربه الغني غريق بحر الذنوب والخطايا لنفسه على عجلة مع اشتغال البال محمد بن الشيخ حسن بن علي الأحسائي مولداً ومنشأً - والأوالي أصلاً، من آل بن عاقل من القرية، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين آمين آمين رب العالمين، وسلم كثيراً برحمتك يا أرحم الراحمين»⁽⁴⁾.

(1) جريدة الرياض، الجمعة 10 ذي القعدة سنة 1427هـ، العدد (2778)، مقال أطلالة على نوادر التراث العلمي لبلاد الأحساء (2): 24.

(2) فهرس دنا، مصدر سابق: 1 / 661.

(3) أرسل إلينا نسخة من الصفحة الأخيرة سماحة الدكتور المحقق الشيخ محمد كاظم رحمتي في 27 ربيع الثاني عام 1437هـ.

(4) الطهراني، محمد محسن المدعو آغا بزرك، أحياء الدائر من مآثر من القرن العاشر، تحقيق وتعليق =

ونسخ هو نفسه كتاب آخر أضاف فيه بعض المعالم الأخرى عن حياته وسيرته، فكتب عند نسخ (مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام) للشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي (911 - 965هـ)، وقد نسخ المجلد الثالث منه، كتبه عن نسخ بخط تلميذ الشهيد الشيخ محمود بن محمد اللاهيجي، قال في نهايته: «وفرغ من كتابته المذنب الخاطي غريق بحر المعاصي محمد بن الشيخ حسن بن علي لحسائي مولداً، والأوالي القاروني أصلاً ومحتداً، والعاملي نسباً وصهرأً، والرميلة⁽¹⁾ منشأً ومربأً» فرغ من كتابتها سنة 966هـ⁽²⁾.

أما الشيخ حاجي بن الشيخ منصور بن سني بن أحمد الصائغ الأحسائي (996 - بعد سنة 1059هـ)، فقد نسخ (من لا يحضره الفقيه) للشيخ محمد بن علي بن بابويه الصدوق (311 - 381هـ)، في مدينة أصفهان الإيرانية، بـ (مدرسة محمود شاه)، وقد ختمه بقوله: «حاجي بن منصور الأحسائي أصلاً، والبصري مولداً ومشأً، والأصفهاني موطناً»، وصل إلى كتاب الطلاق، وكان ذلك ليلة الخميس 10 ربيع الثاني 1038هـ⁽³⁾، وفيه أشار إلى المدرسة العلمية التي كان يدرس فيها، بعد أن بين رحلاته وتنقلاته، وهي معلومات غاية في الأهمية لمن رام كتابة سيرته وحياته.

ونجد نفس الفائدة في التعريف لمعرفة بعض ملامح سيرة العلماء وحياتهم فالشيخ عبد الله بن يحيى الأحسائي، بعدما نسخ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، للشيخ عبد الله بن محمد بن عمر البيضاوي (ت 685هـ)، انتهى من نسخه وكتابته في 10 شوال

= د. محمد كاظم رحمتي، موقوفه ها: قم، الطبعة الأولى: 1395هـ. ش: 251، راجع مجلة ميراث شهاب: العدد (84 - 85)، إيران، أهمية نسخه هاي خطي براي مطالعة تاريخ تشيع، دكتور محمد كاظم رحمتي: 77.

(1) من قرى الأحساء القديمة والعلمية التابعة لمدينة العمران.
(2) إحياء الدائر، مصدر سابق: 252، كما راجع الهامش للمحقق من نفس الصفحة.
(3) فهرس دنا، مصدر سابق: 513/8، الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 62/26.

لعام 1069هـ، ساق نسبه في خاتمتها بقوله: «كتبها عبد الله بن يحيى بن محمد بن أحمد بن يحيى الأحسائي مولداً ومسكناً، المدني أصلاً، والأشعري الشافعي معتقداً ومذهباً، وفرغ منها في 10 شوال سنة 1069هـ»⁽¹⁾.

ويأتي السيد الجليل السيد هاشم بن خليفة النحوي (ت 1323هـ) وهو من أعلام الوراقين الأحسائيين وقد نسخ بخطه كتاب لم نقف على اسمه وإنما عرفنا تاريخ فراغه منه في 27 شهر رجب سنة 1301هـ، وذكر اسمه هكذا: «السيد هاشم بن السيد خليفة بن السيد حسن بن السيد علي بن السيد أحمد الموسوي الشعبة أصلاً، والجفر مسقطاً، وبني نحو منشأً، وبني معن حال التاريخ»⁽²⁾، وهنا قد ساق لنا أربع من قرى الأحساء تمثل أطوار حياته، فأصوله القديمة من قرية الشعبة، وقد ولد ببلدة الجفر التي سكنها والده، وتربى ونشأ بقرية بني نحو المندثرة في القرن الثالث عشر، وتفرق أهلها بين القرى والمدن الأحسائية، فكان هو ممن سكن قرية بني معن القريبة والمجاورة لها.

5- الدعاء له ولوالديه:

من برّ الوالدين وحفظ حقوقهم أن يكون المرء دائم الذكر والدعاء لهم، لما لهما من فضل عظيم في تنشأته وتربيته بالطريقة الصالحة، ومن مواطن ذكرهم والدعاء لهم التي يستخدمها نساخ الكتب هو حين الفراغ من كتابة مخطوطة والانتهاء من رحلة معاناة وتعب وإنجاز عمل عظيم بحفظ علمٍ نافع، فكان منهم:

الشيخ صدقة بن محمد الجبيلي (القرن الحادي عشر)، نسخ كتاب (ألفية ابن معط الزواوي) ليحيى بن عبدالمعطي بن عبد النور الزواوي (564 - 628هـ)، فقال:

(1) رؤوف، الدكتور عماد عبد السلام، الآثار الخطية في المكتبة القادرية، مطبعة المعارف: بغداد، الطبعة الأولى: 1978م: 96/1.

(2) مجلة الساحل العدد الخامس، السنة الثانية شتاء 2008م. بني نحو.. قرية غيبها التاريخ بقلم: الأستاذ عبد الله الرستم: 23.

«تمت الألفية بعون الله وحسن توفيقه على يد مالکها العبد الفقير إلى رحمة ربه الرحمن قنه العبد صدقة بن محمد بن سلطان بن صدقة بن راشد بن أبي منصور الجبيلي أصلاً ومنشأً ومولداً، غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات»⁽¹⁾.

وكتب الشيخ ابن مسلم الأحسائي، (فضائل القرآن) ليحيى بن شرف الحزامي النووي الشافعي (631 - 676هـ)، فرغ من نسخه في 29 جمادى الأول 1077هـ، قال في نهايتها: «لهذا العبد المذنب المحتاج إلى عفو الله تعالى، وشفاعة حبيبه ونييه محمد ﷺ ابن مسلم الأحسائي مولداً»⁽²⁾.

ونسخ الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللطيف كتاب في النحو، جاء في آخر النسخة: «قال كاتبه الراجي ظل الفضل الوريث أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللطيف، ختم الله له بالحسنى وبوأه المقام الأسنى، وافق الفراغ من تميم نسخه من أثناء باب النعت إلى هنا صبح يوم الأربعاء عشرة ذي القعدة الحرام سنة 1188هـ، بمكة المشرفة، وعلى السنة الثانية من سني المجاورة بها لا جعل الله ذلك آخر العهد»⁽³⁾.

ونسخ الشيخ أحمد بن علي بن يوسف بن أجود الأحسائي التوثيري من أعلام القرن الثاني عشر، (خلاصة الأقوال في الرجال)، للعلامة الحلبي، الحسن بن يوسف الحلبي (648 - 726هـ)⁽⁴⁾، فرغ من نسخها وكتابتها سنة 1145هـ، كما ذكر في نهايتها يدعو لنفسه بالرحمة والمغفرة من رب العباد: «تم الفراغ من كتابتها في الخامسة بعد المائة والألف والأربعين، بقلم الفقير المحتاج إلى رحمة ربه الغني يوم الآزفة إذ

(1) أعلام الأخصاء، مصدر سابق: 335.

(2) الفهرس المصور لمخطوطات ومصورات مكتبة الرياض السعودية العامة، مصدر سابق: 82/3.

(3) مظاهر ازدهار الحركة العلمية في الأخصاء خلال ثلاثة قرون، مصدر سابق: 69.

(4) فهرس مخطوطات مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، مصدر سابق: 34/3.

القلوب لذا الحناجر كاظمين أحمد بن علي بن يوسف بن أجود الأحسائي التوشيري منشأً ومسكنًا ومنزلًا وللرأس مسقطاً»⁽¹⁾.

ومنهم الشيخ محمد بن علي البقشي أحد أبرز وأشهر الوراقين الأحسائيين وأجملهم خطأً، فقد كتب (الرسالة العملية في الطهارة والصلاة) للشيخ محمد بن عبد الله آل عيثان (ت 1331هـ): «قد وقع الفراغ من تسويد هذه الرسالة - أطال الله في بقاء مصنفها - يوم الرابع عشر من شهر ذي الحجة الحرام، سنة التاسعة عشر بعد الثلاث مائة والألف من الهجرة النبوية على مهاجرها ألف الثناء والتحية، على يد أقل الناس عملاً وأكثرهم زللاً، محمد بن علي بن عبد الله آل سليمان البقشي عفى الله له ولوالديه والمؤمنين والمؤمنات».

6- طلب الدعاء من القارئ:

ومن الأساليب التي يستخدمها نسّاخ المخطوطات في خواتيمهم، طلب الدعاء من قارئ مخطوطاته ومستفيد منها، فالإنسان بعد موته يحتاج إلى دعاء المؤمنين له بالرحمة والمغفرة.

وعلماء الأحساء ووراقيهم استخدموا هذا الفن في طلب الدعاء له من القارئ عبر الأبيات الشعرية التي اعتاد النساخ تسجيلها نهايات منسوخاتهم، وقد لمع أمامنا عدد منهم:

الشيخ أحمد بن حسين بن عبد الحسين بن أبي الحسين الهجري، لكتاب (تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية)، للعلامة الحلبي، الحسن بن يوسف ابن المطهر (ت 726هـ)، انتهى من تسويد ونسخ الجزء الأول منه في 29 من شهر جمادى الأولى لعام 966هـ، أما الجزء الثاني فقد كان الفراغ من نسخه في 3 رجب سنة 966هـ، صححه

(1) زدونا بصورة نهاية المخطوط الأستاذ الباحث والمحقق البارز عبد الخالق بن عبد الجليل الجنبي في 20 رمضان 1436هـ.

الناسخ وأضاف بآخره رسالة (إنكاح أمير المؤمنين) للشریف المرتضى، كتاب الطهارة إلى الوصية⁽¹⁾، قال في آخره: «أحمد بن حسين بن عبد الحسين بن إبراهيم بن ناصر بن جعفر بن موسى بن أبي الحسين الهجري محتداً والآوالي مولداً ومنشأً ومسكناً، ثم ختم ببيتين من الشعر:

تبقى خطوطي بعد موتي برهةً ألا أنها تبقى وتبقى أنا ملي
فيا ناظراً فيها سل الله رحمةً لكاتبها المدفون تحت الجنادلي»⁽²⁾

ونسخ الشيخ عبد اللطيف العيثان الهجري رسالة المواعظ للناسخ نفسه الشيخ عبد اللطيف بن حسن آل عيثان الهجري، وعليها تعليق المؤلف، فرغ من كتابته في 1192هـ، قال في نهايتها: «وقد فرغت من تنميق هذه المواعظ والأحاديث الصحيحة المنقولة عن أهل العصمة ضحى يوم الخميس تاسع عشر من شهر ربيع المولود سنة 1192هـ الثانية والتسعين بعد المائة والألف من الهجرة على مهاجرها... وأنا المذنب الخاطئ المتجري عبد اللطيف بن حسن بن عيثان الهجري رحم الله من نظر فيها ودعى لكاتبها بالمغفرة والرحمة ووالديه»⁽³⁾.

ومن هؤلاء البارزين الأحسائيين الشيخ أحمد بن إبراهيم آل أبي علي (1310 - 1397هـ)، بعد أن كتب وفاة الإمام موسى الكاظم عليه السلام، لم يذكر مصنفها، ولعله الشيخ حسين الدرازي البحراني، وذكر أنه وقع الفراغ من تأليفها عصر يوم الجمعة السادس عشر من شهر جمادى الأولى سنة 1287هـ، ووقع الفراغ من تسويدها يوم الثالث والعشرين من شهر صفر سنة 1353هـ، وختمها بيت من الشعر:

(1) التراث العربي المخطوط في مكتبات إيران العامة، مصدر سابق: 61/3.

(2) زودنا بالصفحة الأخيرة من المخطوط الباحث الدكتور الشيخ محمد كاظم رحمتي في 27 ربيع الثاني 1437هـ.

(3) الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 426/32.

فيا قارئاً فيه اسأل الله رحمةً لكاتبه المدفون تحت الجنادل

7- استخدام الرموز والإشارات:

كنوع من الحراك الذهني والتفنن في كتابة ونسخ المخطوطات التي يسلكها نساخي الكتب استخدام الرموز والإشارات لبعض الكلمات والأسماء بدل من كتابتها بلفظها العادي، في محاولة لإثارة ذهن القارئ وإثارة حفيظته، ومثل هذه الفنون غالباً يستخدمها أصحاب الخبرة الطويلة والواسعة في نسخ الكتب من باب التنوع والتغيير.

والوراقون الأحسائيون برز بينهم عدد غير قليل من كتّاب الكتب ونسّاخها، وقد استخدم منهم هذا النمط من التفنن، نذكر منها على سبيل المثال:

فقد نسخ الشيخ حسن بن سلطان بن علي بن محمد بن خليفة الأحسائي (حيّاً 21 ذي القعدة سنة 1263 هـ) رسالة (نجاة الهالكين) للشيخ محمد آل أبي خمسين الأحسائي (ت 1316 هـ)، وقد عبر الناسخ عن اسمه بحساب الجمل الصغير فقال: «تمت كتابتها على يد أفقر الورى تراب أقدام المؤمنين: 8، 60، 50، 2، 50، 60، 30، 9، 1، 50»، يوم الحادي والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنة 1263، الثالثة والستين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية⁽¹⁾:

$$8 + 60 + 50 = \text{حسن.}$$

$$2 + 50 = \text{بن.}$$

$$60 + 30 + 9 + 1 + 50 = \text{سلطان.}$$

وهو نوع من التفنن الجميل والإثارة الذهنية للقارئ، وإظهار جانب الغموض في الكتابة.

(1) قناة (مبشرات) على التلغرام، التي يديرها الأستاذ الباحث علي يوسف الحمد.

ومنهم السيد علي بن حسن بن علي النحوي الأحسائي (توفي بعد سنة 1255هـ) - أجوبة المسائل للسيد كاظم الرشتي، فرغ من كتابتها في شهر رمضان سنة 1254هـ، ومن تسويدها في 25 من شهر رجب 1255هـ، وهي بخط منظم ومرتب، وجودة خط، قال في آخرها: (بقلم الفقير الحقير المقر بالذنب والتقصير تراب أقدام أخوانه المؤمنين إن حضر لم يعد، وإن غاب لم يفقد، أقل العباد عملاً، وأكثرهم زللاً، أسير ذنبه، الراجي عفو ربه (سَهْف)⁽¹⁾ وهو علي ابن (طعق) وهو حسن ابن (سَهْف) أي علي بن (طعق) أي حسن ابن (شقفل) وهو خليفة ابن عبد الإله النحوي الأحسائي أصلاً ومولداً، غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين وللمؤمنات إنه غفور رحيم، والحمد لله رب العالمين، إن تجد عيباً فسد الخلل جلّ من لا عيب فيه وعلا صحة بقلم كاتبها، رحم الله من ترحم لكاتبها ولوالديه).

(1) ذكر ابن الدريهم أنّ الناس اختلفت مقاصدهم في ذلك؛ فمنهم من يصطلح على إبدال حرف معيّن بحرف آخر معيّن حيث وقع في القلم المعروف بالقَمِّي، وهو أنهم جعلوا مكان كلّ حرف من حروف العربية حرفاً آخر من حروفها، فجعلوا الكاف ميماً وبالعكس، والألف واواً وبالعكس، والدالّ المهملة راءً مهملةً وبالعكس، والسين المهملة عيناً مهملةً وبالعكس، والفاء ياءً مثناةً تحتيةً وبالعكس، فيكتب محمد «كطكر» وعلي «سَهْف» ومسعود «كعسار» وعلى ذلك، وقد نظم بعضهم ذلك في بيت واحد ذكر فيه كلّ حرف تلو ما يبدل به، وهو (سريع).

ك م أو ح ط ص ل ه در س ع في بز خش غ ص ث ج تدفق

قال: ومنهم - من يعكس حروف الكلمة فيكتب محمد «دمحم» وعلي «يلع».

ومنهم - من يبدل الحرف الأوّل من الكلمة بثنائه مطلقاً في سائر الكلام فيكتب محمد أخو علي «حمدم خا عويل» إلى غير ذلك من التمييزات.

ومنهم - من يبدل الحروف بأعدادها في الجمل، فيكتب محمد أربعون، وثمانية، وأربعون، وأربعة، وتعمل التعمية صفة محاسبة.

ومنهم - من يكتب عوض عدد الحرف حروفاً وهو أبلغ في التعمية، فيكتب محمد «لي بولي أج» لأنّ اللام والياء بأربعين وهي عدد ما للميم الأولى، والباء والواو بثمانية وهي عدد ما للحاء، واللام والياء أيضاً بأربعين وهي عدد ما للميم الثانية، والألف والجيم بأربعة وهي عدد ما للدال، فكانه قال:

م ح م د. وإن شاء أتى بغير هذه الحروف مما يتضمن هذه الأعداد. صبح الاعشى ج 9 ص 232، زدنا بهذه الفائدة ومصدرها المحقق البارع أحمد علي مجيد الحلبي النجفي.

8- الاعتراف بالذنب والتقصير:

من السمات الإيمانية والأخلاقية التي تحلّ بها العلماء والفضلاء كتعبير عن سموّ أنفسهم وتعاليلها عن هذه الدنيا الدنية، وأن العبد مهما عمل من صالحات وخيرات يبقى ذلك العبد المقصر المذنب الجاني أمام معبوده الخالق الرحيم العفو الكريم، ولا يجعل للنفس المتعالية والمتكبرة إلى داخله من سبيل، فالعالم الحق كلما زيد في علمه، كلما زاد إدراك بجهله وحقارة نفسه أمام خالقه وصانعه، والأحسائيون في مخطوطاتهم ومنسوخاتهم كان التعبير بالنقص والتقصير سمة تجدها الكثير منهم، نذكر عدد من النماذج كعينة عن هذا النوع من الاعتراف بالخطيئة، منهم الشيخ محمد بن حسن الآوالي الأحسائي (كان على قيد الحياة سنة 966هـ)، نسخ كتاب (الدروس الشرعية في فقه الإمامية) للشهيد الأول محمد بن محمد مكي الجزيني العاملي (ت 786هـ)، قال في خاتمته: «وكان الفراغ من تسويد بياضه عصر الخميس آخر شهر رمضان سنة أربع وستين وتسعمائة هجرية بمسجد «الجويدي» كتبه من أوله إلى آخره على يد أقل عباد الله وأحوجهم إلى رحمة ربه الغني غريق بحر الذنوب والخطايا لنفسه على عجلة مع اشتغال البال محمد بن الشيخ حسن بن علي الأحسائي مولداً ومنشأً - والآوالي أصلاً، من آل بن عاقل من القرية، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين آمين آمين رب العالمين، وسلم كثيراً برحمتك يا أرحم الراحمين»⁽¹⁾.

وفي مثال آخر نجد الشيخ رمضان بن علي الغريبي الأحسائي اليزدي (توفي بعد سنة 1051هـ)، نسخ كتاب (آمالي الصدوق) من تصنيف الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه (311 - 381هـ)، وقد كان الفراغ من نسخه في يوم الجمعة 6 من ذي

(1) أنظر الهامش من إحياء الدائر، مصدر سابق: 251، راجع مجلة ميراث شهاب: العدد (84 - 85)، إيران، أهميت نسخه هاي خطي براي مطالعه تاريخ تشيع، دكتور محمد كاظم رحمتي: 77.

القعدة لسنة 1050هـ⁽¹⁾، فقد ختمه بقوله: «وفرغ من تسويده هنا المذنب المقصر الجاني على نفسه الخاطي تراب أقدام المؤمنين رمضان ابن علي بن أحمد بن مسعود الغريبي لحساوي أصلاً واليزدي منزلاً عصر يوم الأحد سادس ذي القعدة الحرام سنة خمسين وألف من الهجرة المحمدية على مهاجرها ألف ألف تحية وصلى الله على محمد خير البرية وآله المعصومين»⁽²⁾.

ونسخ الشيخ أبو بكر بن محمد النجار الأحسائي (من أعلام القرن الثاني عشر) ديوان شعر لأحد أعلام القرن العاشر الهجري، فختمه بقوله: «قد تم الديوان المبارك بعون الله الكريم صبيحة يوم الاثنين نهار ثالث عشر من شهر جمادى الأولى سنة 1193 من هجرة النبي محمد ﷺ على يد الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير أبو بكر بن محمد بن أحمد بن النجار كان الله له حيث كان، وغفر الله له ولوالديه»⁽³⁾.

كما نجد الفقيه والمحدث الشيخ محمد بن علي آل عيثان القاري الأحسائي (ت 1218هـ)، بعد أن نسخ (شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب) لعبد الله بن يوسف ابن هشام (708 - 761هـ)، وقد كان الفراغ من نسخه وكتابته في 28 شعبان لسنة 1182هـ⁽⁴⁾، وقد وقع أسمه بـ «محمد بن علي عيثان الأحساوي القاري»، في الشاخورة بالبحرين، قال في آخرها: «وقع الفراغ من تسويد هذا الكتاب بعون الملك الوهاب على يد أقل الطلبة عملاً وأكثرهم زللاً، الغريق في بحر الذنوب والعصيان محمد بن علي بن عيثان الأحساوي القاري في قرية الشاخورة، أحد قرى البحرين المعمورة بالعلماء زادها

(1) الفهرس الموحد للمخطوطات الإيرانية (فنخا)، مصدر سابق: 822/4.

(2) المخطوطات في المكتبة الوطنية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مصدر سابق، رقم المخطوط: 5-17759.

(3) أعلام الأخصاء، مصدر سابق: 163.

(4) البهبهاني، السيد محمد الطباطبائي، فهرس مختصر للمخطوطات في مجلس الشورى الإسلامي، كتابخانه موزة ومجلس الشورى: طهران، الطبعة الأولى: 1386هـ. ش: 493.

الله إيماناً وتوفيقاً، بتاريخ اليوم السابع من الأسبوع الرابع من الشهر الثامن من السنة الثانية من العشر التاسعة من المائة الثانية بعد الألف من الهجرة⁽¹⁾، وخطه في غاية الجودة والإتقان. على النسخة تملك».

أما الشيخ حسين بن علي آل أبي خمسين الأحسائي (توفي بعد سنة 1265هـ)، وهو رجل ضرب المثل البارز في التواضع ونكران الذات، وقد كان يقوم بنسخ كتب ابنه اعترافاً بفضيلته عليه، فكان مما نسخ (النور المضي في معرفة الكنز الخفي)، فختمها بقوله: «وقد تمت الرسالة الموسومة بـ (النور المضي في معرفة الكنز الخفي)، على يد الفقير الحقير، المسكين المستكين، تراب أقدام المؤمنين، أكثر العباد زللاً، وأقلهم عملاً، المحتاج إلى ربه الغني، حسين بن علي، في يوم السابع والعشرين، من شهر جمادى الثانية، أحد شهور السنة الثانية والستين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية، على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين»⁽²⁾.

9- التعريف عن الجهد والعناء:

من الحقوق المشروعة للناسخ والكاتب، والتي لا تعد من سفاسف القول أو تزكية الذات، تعبيره عن معاناته والمشقة الكبيرة التي بذلها في النسخ ليشعر القارئ والناظر لما تم كتابته بعين الاحترام والتبجيل أن هذا هو ثمرة تعب ومعاناة لا يدركها إلا من طرق الفن وجرب صعوبته، وأن الاستمرار في الكتابة يحتاج إلى جلد، ومصارعة النوم وسهر الليالي ليكون بالشكل والمنظر اللائق، وهو أمر نجده عند كثير من الوراقين ليس في الأحساء وحسب بل في مختلف المناطق، ولا يستهجن منهم.

فقد نسخ الشيخ محمد بن حسن بن حسين العفالق الأحسائي كتاب (وفيات

(1) صورة المخطوط وقد زودنا بها الأستاذ علي الحمد من الكويت.

(2) آل أبي خمسين، الشيخ محمد، النور المضي في معرفة الكنز الخفي، تحقيق: الشيخ عبد المنعم العمران، دار المحجة البيضاء: بيروت، الطبعة الأولى: 1428هـ - 2007م: 209.

الأعيان) لقاضي القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان (608 - 681هـ)، وكان فراغه من نسخه سنة 1162هـ، وقد تحدث عن التعب والجهد الذي بذله فيه فقال⁽¹⁾:

أجل لحظ طرفك في نسخه حوت كل لفظ ومعنى حسن
بذلت اجتهداً بتصحيحها وحاربت فيها لذيد الوسن

10- احتمال الغلط وطلب المسامحة فيه:

تبقى العصمة لأهلها، وإلا جميع البشر وارد في حقهم الخطأ واللبس، والجميل أن يعترف المرء أنه مهما بلغ يبقى بشر يعرض عليه الاشتباه والغلط، خاصة في الجوانب العلمية والفكرية، بل وحتى في فهم مراد الآخرين، فكيف إذا كانت الظروف قاهرة، والبال مشغول، فإن مع تعكر المزاج يكون مثل هذه الأمور احتمالها كبير لانعدام الصفاء الذهني، وفي نفس الوقت للجانب الآخر يعكس المهمة العالية وعدم الرضوخ للعوامل الخارجية والصعوبات، وفي التراث الأحسائي لدينا نموذج جميل لهذا الجانب التي تدل على عظمة الرجل وسمو نفسه.

فقد ذكر في (مشجرة المهري) قال: «وجدت مجموعة بخط (عبد الحسين الحاجي) في آخرها كتب هكذا: «تمت وبالخير عمّت بخط الفقير قليل البضاعة كثير التقصير العبد الخاطيء الجاني عبد الحسين بن علي بن إبراهيم بن عبد الحسين بن عبد النبي الحسيني اللّحسائي المدني، نزيل قرية مَهر... وأسير بلدة من فارس، في يوم الخامس عشر من شهر شَوّال كثير الخير والإقبال سنة 1206هـ، ونلتمس من القارئ والمستمعين أعني بهم الإخوان إن صدر في الخط سهو أو غلط في الكتابة، فإني في طريق

(1) مظاهر ازدهار الحركة العلمية في الأحساء، مصدر سابق: 68، آل فريان، ا. د. الوليد بن عبد الرحمن، الوراقة في منطقة نجد، دار الملك عبد العزيز: الرياض، الطبعة الأولى: 1433هـ: 77.

مكة، ونسخته كثير الغلط مع والدتي في بلدة تُسمَّى التويثير قرية من قرى اللحسا، وكنا على رحيل والخرجية قليل، وحصل لنا بعض تألم من هذا السبب، فإن صدر في الخط زلل أو خطأ نلتمس منكم المسامحة والإحسان، نرجو من الله الغفران أن يغفر لنا ولجميع إخواننا المؤمنين والمؤمنات ويجعلنا وإياكم من العائدين إلى بيت الله الحرام.. السنة السادسة بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية»⁽¹⁾.

11- بقاء الخط وفناء صاحبه:

الموت سنة الحياة والطريق الذي يسلكه جميع البشر، ولا يبقى إلا العمل الصالح وما يتركه المرء من أثر يسجل له الخلود والبقاء، ومن أعظم هذه الأمور نسخ الكتب والخط، ولعل أبرز شاهد أننا لم نعاصر هؤلاء الأعلام وقد مضى على رحيلهم مئات السنين، ولكن بقي خطهم ماثلاً أمامنا كشاهد حي يعرفنا عليهم رغم بعد الزمن وتعاقب السنين.

ومنهم السيد إبراهيم بن السيد محمد بن السيد إبراهيم الموسوي القاري، من أعلام الأحساء في القرن الثالث عشر، الذي اعتاد على ختم مخطوطاته في بعض الأحيان ببيت خاص، يكتبه بطريقة خاصة:

قال في نهاية بعض منسوخاته: «وكان التحرير في شهر ربيع الأول سنة 1257، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كثيراً كثيراً، والحمد لله رب العالمين»⁽²⁾:

سيبقى الخط مني في الكتاب ويلى الكف مني في التراب

واستخدم نفس الأسلوب الشيخ علي بن أحمد الشبيث إبان شبابه، وقبل كف

(1) من نساخي الكتب في الأحساء، مصدر سابق: 65.

(2) مجموع خطي يظم مجموعة رسائل للشيخ أحمد بن مال الله الصفار، وغيره: 202.

بصره، فقد نسخ الكتب، وكتب في خاتمة نسخه الرسالة العملية للميرزا موسى الحائري الأحقائي:

«بقلم الحقير الفقير، المحتاج إلى المنزه عن الأولاد والأزواج، وخالق الإنسان من نطفة أمشاج، أقل الخلق والخلقة، ومن لا شيء في الحقيقة، أقل الناس عملاً، وأكثرهم زلاً، علي بن أحمد بن علي بن يوسف بن شبيث:

إن تجد عيباً فسد الخلل جل من لا فيه عيب وعلا
الخط يبقى زماناً بعد كاتبه وصاحب الخط تحت التراب مدفوناً
هذه الأبيات، وحسن اختيارها ينم عن وعي وإدراك بأهمية نسخ الكتب، وأنه يبقى وإن بلي الجسد وفني، وهو نوع من تخليد الذات التي تحفظ من خلال العلم والعطاء، وقد صدق بما اعتقده وأجاد.

وممن أدرك وأشار لأهمية الخط والنسخ حتى بعد موت الإنسان، الشيخ محمد بن حسن الجلواح (كان على قيد الحياة عام 1335هـ)، فقد أنهى كتاب لم نتوصل إلى عنوانه، قال في آخره: «وقع الفراغ من تسويد عشر ربيع الأول سنة 1307هـ، على يد أقل العباد محمد بن حسن بن الشيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ حجي الجلواح. ثم ختمه بييتين من الشعر هما:

الخط يبقى بعد كاتبه وكاتب الخط تحت التراب مدفون
فيناظراً فيه سل الله دعوة لكاتبه المدفون تحت الجنادل مدفوناً

12- طلب تصحيح الخلل:

الخطأ والنسيان طبيعة بشرية، لذا قد يطلب الناسخ من القارئ أنه بدل نقد الكاتب والنيل منه، القيام بتصحيح الخطأ والغلط، كي لا يتحمل الناسخ وزر ذلك

الخطأ، لذا يقول أيها القارئ إن وجدت فيما كتبت غير صحيح فدورك وهمتك في تصحيحه، وهذا يعكس حرصهم واهتمامهم أن يخرج نتائجهم على أكمل وجه بما يرضي الله سبحانه ويبرئ ذمتهم ومنها:

الشيخ عبد الله بن درويش العدساني وقد نسخ (بيان الحجة في سير الدلجة) لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت795هـ)، فرغ من نسخة سنة 1218هـ، قال في نهايته: «بقلم أفقر الوري إلى الله تعالى وأحوجهم إليه بمن لا له ثاني عبد الله بن درويش بن مبارك العدساني- عفى الله عنهم وغفر لهم، ولمن دعا لهم بالعفو والمغفرة- ولمن نظر إلى هذا الكتاب ورأى ما فيه من التحريف والغلط فأصلحه، وذلك بنهار الجمعة رابع ربيع الأول سنة 1218هـ⁽¹⁾.

كما نسخ الشيخ أحمد بن عبد الله آل عبد القادر الأحسائي كتاب (الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع) تأليف محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت977هـ) في الفقه الشافعي فرغ من نسخها عصر يوم الثلاثاء 2 من شهر رمضان سنة 1161هـ، وقد سجل نسبه: «أحمد بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد القادر ابن أحمد ابن علي من بني النجار نسباً، والحسا وطناً، والشافعي مذهباً، لطف الله به»:

ثم قال يوصي القارئ أن يصلح العيب والخطأ الذي يراه في النسخة وقد غفل عنها الناسخ ولم ينتبه لها، فقال:

إن تجد عيباً فسد الخلل جل من لا عيب فيه وعلا
فسامح إن وجدت به عيوباً فأين السالمون من العيوب مدفونا

ومنها وصية السيد علي بن السيد حسن النحوي الأحسائي، بعد أن نسخ (أجوبة

(1) مكتبة الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر للمخطوطات بالأحساء على الشبكة الإلكترونية، مظاهر ازدهار الحركة العلمية في الأحساء، مصدر سابق: 70.

المسائل) للسيد كاظم الرشتي، وقد فرغ من كتابتها في شهر رمضان سنة 1254هـ، ومن تسويدها في 25 من شهر رجب 1255هـ، وهي بخط منظم ومرتب، وجودة خط، قال في آخرها: «بقلم الفقير الحقير المقر بالذنب والتقصير تراب أقدام إخوانه المؤمنين إن حضر لم يعد، وإن غاب لم يفقد، أقل العباد عملاً، وأكثرهم زللاً، أسير ذنبه، الراجي عفو ربه (سهف) وهو علي ابن (طعق) وهو حسن ابن (سهف) أي علي بن (طعق) أي حسن ابن (شقفل) وهو خليفة ابن عبد الإله النحوي الأحسائي أصلاً ومولداً، غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين وللمؤمنات إنه غفور رحيم، والحمد لله رب العالمين، إن تجد عيباً فسد الخلل جلّ من لا عيب فيه وعلا صحة بقلم كاتبها، رحم الله من ترحم لكاتبها ولوالديه».



مهنيو الوراقة

خلال مرحلة الانتقال من النسخ اليدوي إلى الطبع الآلي بالمغرب

أحمد الصديقي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير

يشير دخول المطبعة الحجرية إلى المغرب في النصف الثاني من القرن 19م العديد من الإشكالات، خاصة تلك المرتبطة بكيفية وطبيعة انتقال الكتاب من النسخ اليدوي إلى الطبع الآلي، مع ما خلفه ذلك من انعكاسات اجتماعية واقتصادية على المشتغلين بالكتاب صناعة ونسخا وتزويقا ومتاجرة. فعلى الرغم من إسهامهم الفعال في غرس ثقافة الحوار وإرساء جسور التواصل ونشر الوعي والمعرفة، إلا أن معانقة قضاياهم وهمومهم كمكون اجتماعي يظل محدودا للغاية، إلا ما جاء عرضا عند بعض مصنفي التراجم، مما يجعل اقتحامنا لمثل هذا الموضوع يعد مغامرة علمية محفوفة بالمخاطر.

لذلك تسعى هذه الورقة إلى إمطة اللثام عن جوانب من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمشتغلين بالكتاب المخطوط والمطبوع معا، في محاولة لإخراجهم إلى دائرة الضوء اعترافا وتقديرا لهم عن الجهود التي بذلوها خلال القرن 19 وبداية القرن 20م، لاسيما في ميداني الثقافة والفكر المغربيين، فضلا عن أهمية إثارة موضوع الكتاب باعتباره إحدى أهم أدوات التنمية الشاملة، حيث أضحت مؤشر التنمية البشرية في العالم اليوم يقاس بقدرة البلدان على ربط إسهاماتها التربوية والتعليمية بمستوى رغبة وانفتاح المجتمع على قراءة الكتاب. الأمر الذي يشير شهية تفكيك الأدوار التي اضطلع بها الكتاب لإرساء ثقافة المواطنة والانفتاح على معرفة الآخر (الأوربي) إبان مرحلة

مفصلية في تاريخ المغرب، تزامنت مع فترة الضغط الاستعماري، عبر مقارنة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للوراقين في مرحلة الانتقال من الكتاب المخطوط إلى الكتاب المطبوع، مع التساؤل عن أدوارهم في التحولات العامة التي شهدتها المغرب آنذاك.

أولاً: الوراقون بين الدولة والمجتمع:

تابعت الوراقة مسارها في تزويد السوق المغربية بما يحتاجه من كتب قبل دخول الطباعة، وعلى الرغم من تعدد تعاريفها، فإن ابن خلدون قدم تعريفا شاملا لها؛ إذ هي «معاناة الكتب بالانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين»⁽¹⁾، وخصص في مقدمته فصلا خاصا لها، وأطلق على المشتغل بها اسم «الورَّاق»⁽²⁾ نسبة إلى أهم مكون ضمن مجموع العمليات المتتالية في إنتاج الكتاب⁽³⁾، ولكون الورق العنصر الأساسي في صناعته. وقد ظهر هذا المصطلح بعد تعرف المسلمين على

(1) ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن أبي بكر الحضرمي (ت 808هـ / 1405م): المقدمة، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، الطبعة الثانية، 1416هـ / 1996م ص 392.

(2) لمزيد من الاطلاع على تعارف الوراقة وما يلحق بها يراجع أحمد الصديقي، الكتاب بالمغرب والأندلس إسهام في دراسة انعكاسات ثقافة الكتاب على المجتمع، من القرن 6هـ / 12م إلى القرن 8هـ / 14م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، الموسم الجامعي (2010-2011م) (مرقونة) ص 41-42.

(3) ويسمى أيضا الكاغد، انظر علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، الطبعة الثانية، 1411هـ / 1991م، ص: 44. ويبدو أنه في الفترة الأخيرة شاع استعمال مصطلح الكاغد انظر أحمد بن محمد الرفاعي، حلية الكتاب ومنية الطلاب، مخطوط ضمن مجموع يضم 175 ورقة، قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، نسخ بخط محمد بن محمد بن عبد القادر التادلي سنة 1274هـ، مسجل تحت رقم 5308 ف 1/1044 ص 2. وقد نشر جزء منها العلامة محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 2، الطبعة الأولى، 1991، الملحق الثاني، ص 221-225.

الورق، وانتشار صناعته في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري⁽¹⁾، إذ صنع في سمرقند منذ 134هـ / 751م على يد أسرى صينيين، وانتقل إلى بغداد سنة 181هـ / 797م، ثم انتشر في العالم الإسلامي، ودخل مصر أواخر القرن 4هـ / 9م، ووصل المغرب في حدود سنة 494هـ / 1100م⁽²⁾.

وإذا كان مصطلح «الوراقين» جامعاً وشاملاً لمختلف الفاعلين في صناعة الكتاب، حتى أن الواحد منهم قد يجمع بين جل مراحلها؛ مثل إدريس بن محمد الصفار الذي تمكن من نسخ كتاب «الشفاء» للقاضي عياض «خطاً وزخرفة وتذهيباً وتلويناً وتسفيراً منسلخاً ذي الحجة 1285هـ / 1868م⁽³⁾. ورغم تعدد أدوار المهنيين وتداخلها إلا أن الاختلاف بين الوراقين يرجع إلى مستوى العائد المهني، مما خلق تبايناً واضحاً بين دخول ممتهنيها، لاسيما لاحتكار السلطان لجزء كبير منها. فإذا كان البعض قد استفاد من امتيازات القرب من البلاط وصانعي القرار السياسي، فإن الأكثرية منهم ظلوا رهينة لتقلبات أثمان سوق الكتاب، وما يرتبط به من أسعار المواد الخام خاصة الورق.

1- الوراقون بدواوين السلطان:

تعد الوراقة من الصناعات الكمالية التي ارتبط تطورها أو ضعفها بمستوى تدخل السلطان وحاشيته، لذلك تم إلحاق أجنحة خاصة بالقصور السلطانية بهذه المهنة، سميت خلال العهد العلوي بديوان الوراقة. وما من شك في أنه ازدان بعدد من النساخ الذين ذاع صيتهم في هذا المجال، وقد خضع لنظام صارم تحت إشراف ناظر الديوان،

(1) شعبان عبد العزيز خليفة: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، مجموعة البيبليوغرافيا التاريخية الدار المصرية، اللبنانية، الطبعة الأولى، 1418هـ / 1997م، ص 149.

(2) رمضان ششن، نظرة عامة على الكتاب والمكتبات والوراقين في التاريخ الإسلامي، مجلة التاريخ العربي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، عدد 32، خريف 1425هـ / 2004م، ص 35-36.

(3) محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 251-252.

وقد احتفظت لنا المصادر بذكر اسم الطيب بن عمير الشرقي الذي أوكلت له مهمة الإشراف على خزانة السلطان المولى الحسن الأول (1290-1311هـ/ 1873-1894م)، ومباشرة النسخ والتفسير علي يديه⁽¹⁾، وبالموازاة مع ذلك فقد كان النساخون لهذا العهد لا يفارقون حضرته سفرا ولا حضرا، اتخذ لهم محلا خاصا بهم برحاب القصر، وعين لهم من يقوم بشؤونهم، ويقضي لهم مآربهم، ويناولهم ما يحتاجون إليه⁽²⁾، وحتى في حركاته كان يخصص ضمن مجموع أخبية الحاشية خباء الطلبة النساخين⁽³⁾.

ومن جهته ضم ديوان الوراق بقصر السلطان المولى سليمان (1206-1237هـ/ 1792-1822م) حوالي عشرة نساخ عدّهم الزياني؛ وهم على التوالي: عبد الكبير بن عثمان الفاسي، ومحمد بن عبد الرحمان الدلائي الفاسي، وعبد العزيز عديل الأندلسي الفاسي، ومحمد بن الحاج السلمي الفاسي، وعبد القادر السلاوي الفاسي، وعبد الوهاب القادري، وسعيد الواضلي السوسي، والأمين البخاري نزيل فاس، وعبد العزيز لحلو، وإدريس السجلماسي الوراق⁽⁴⁾. ويبدو أن هذا الترتيب يعكس تراتبا لأدوار العاملين بديوان الوراق، حيث اختص الأخير بتحلية الكتب بالتراجم، والذي قبله أوكلت له مهمة صناعة وتحلية الدفاتر⁽⁵⁾. مما يفسر الطابع التنظيمي الصارم الذي

(1) العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراکش وأغامت من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1413هـ/ 1993م، ج 3 ص 269. وقد اشتغل تحت إمرته في ديوان الوراق بالقصر الحسني حوالي 11 وراقا ذكر العلامة محمد المنوني أسماء ستة منهم، تاريخ الوراق، 235-236. أحمد شوقي بنين، المخطوط وعلم المخطوطات، ص 95.

(2) عبد الرحمن بن زيدان، الدرر الفاخرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356هـ/ 1937م، ص 40.

(3) عبد الرحمن بن زيدان، العز والصولة، المطبعة الملكية 1381هـ/ 1961م، 227/1.

(4) جوهرة التيجان، مخطوط خ م 6778. محمد المنوني، تاريخ الوراق المغربية، ص 170.

(5) محمد المنوني، تاريخ الوراق المغربية، ص 170.

يعكس التكامل الحاصل بين مهام هؤلاء داخل الديوان، بين عمليات التصنيع والنسخ والتحلية والتزويق.

ويبدو أنه من خلال نظرة خاطفة على أسماء هؤلاء الوراقين يتضح التنوع الواضح في أصولهم الجغرافية، ما يدل على اتساع نطاق الاهتمام بإجادة الخط بين مختلف الحواضر المغربية، وتطلع دواوين السلطان الورقية إلى اختيار أجود الخطاطين، لإجادة كل ما يكتب فيها؛ ونذكر بهذا الصدد أن السلطان الحسن الأول (1873-1894م) كان «ولوعا بنسخ الكتب والبحث عن البارعين في الخط المتقنين، ويجلبهم لحضرته للكتابة والنسخ»⁽¹⁾، ولا شك أن هؤلاء استفادوا من امتيازات القرب من البلاط السلطاني، فدر عليهم ذلك أموالا كافية لتحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، مصداق ذلك نظم الشاعر:

عليك بحسن الخط يا ذا التأدب ولازم له التعليم في كل مكتب
فإن كنت ذا مال فخطك زينة وإن كنت ذا فقر فأفضل مكسب⁽²⁾

واحتفاء بالخط المغربي سعى بعض السلاطين المغاربة أبرزهم المولى سليمان إلى اغتنام فرصة حلول بعض المناسبات للإعلان عن مسابقات في إجادة الخط⁽³⁾، لتحفيز الخطاطين على الإبداع والمنافسة في إجادة الخط المغربي على الخصوص؛ ونذكر بهذا الصدد محمد بن علي السوسي (ت 1235هـ / 1819م) المقيم بمدينة سلا الذي تمكن من أن يحرز على الجائزة الأولى في أحد هذه المناسبات نظرا لكمال صناعة وهندسة خطه «في نظمه واتساقه وتركيبه»⁽⁴⁾. ولا نستبعد أن تكون هذه المناسبات هي الفرصة والمتنفس لاختيار وراقي الدواوين السلطانية.

(1) عبد الرحمن بن زيدان، الدرر الفاخرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356هـ / 1937م، ص 40.

(2) تاريخ الوراقة المغربية، الملحق الأول، ص 325.

(3) تاريخ الوراقة المغربية، ص 166.

(4) أحمد بن محمد الرفاعي، حلية الكتاب ومنية الطلاب، ص 37.

وقد اقتصر استعمال المطبعة الحجرية في أول دخولها إلى المغرب على تلبية حاجيات دواوين النسخ بالقصر السلطاني، ثم آلت فيما بعد إلى الخواص لتنتقل منسوخاتها للعرض العام، ولهذا الغرض تم اختيار أجود الخطاطين لكتابة المطبوعات الحجرية، نذكر من بينهم محمد الكبير بن محمد الفاسي المكنى بابن سليمان (ت1316هـ/ 1899م)، الذي خط منها المطبوعات الأولى بفاس⁽¹⁾، وما كان له أن يختار لهذه المهمة لولا جودة خطه الذي وصف بـ«الدر اليتيم»، تغازلت في وجه الرقيم عيونه، وتقوست لرمي الأغراض نونه، وافترت عن شنب الإجادة ميماته، واستقامت على عروش السطور ألفاته كقناة في كف محراب أو إمام في محراب⁽²⁾.

وما من شك في أن السلاطين قد كانوا ينقبون عن أمهر الخطاطين لتعليم أبنائهم؛ فعندما ذاعت شهرة أحمد بن محمد الرفاعي (ت1256هـ/ 1841م) ووصلت أخباره السلطان المولى سليمان (1792-1822م) استدعاه لتربية أبنائه وتعليمهم الكتابة بأكثر من خط، ولنجاحه في هذه المهمة كلفه فيما بعد المولى عبد الرحمان بن هشام (1238-1276هـ/ 1822-1859م) لتأديب ولده أحمد⁽³⁾. مما يفسر تحسن الأوضاع الاجتماعية لأحمد بن محمد الرفاعي حين اتصل بالقصر السلطاني، فتخلى عن مهنة النساخة لدى العلماء والصوفية، وتفرغ لتعليم الكتابة والخط لأبناء السلاطين.

ومن جهتهم لم يفتقر السلاطين من تنشيط حركة الكتاب، لاسيما باقتناء الذخائر منها برسم خزانات الكتب بالقصور، وفي حالة نفادها من الأسواق يتم اللجوء إلى استعارتها من خزانات خاصة لنسخها، حتى ولو استدعى الأمر الحصول على نسخ منها

(1) محمد المفضل غريط، فواصل الجمان في أبناء وزراء وكتاب الزمان، المطبعة الجديدة، فاس، 1928-1929م، ص 92-109. العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراکش وأغامت من الإعلام، 130-129/7.

(2) محمد غريط، فواصل الجمان، عند ترجمته ص 200-201، العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراکش وأغامت من الإعلام، 130-129/7. محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 230.

(3) أحمد بن محمد الرفاعي، حلية الكتاب ومنية الطلاب، ص 3-6.

من مناطق بعيدة خارج التراب المغربي في القاهرة والاسطوانة وإسبانيا؛ ومن أجل ذلك بعث المولى الحسن الأول إلى الاسطوانة الخطاط عبد النبي البوري الفاسي برسم نسخ كتب الجلدكي⁽¹⁾. كما شكلت المراسلات جسرا لتلبية حاجات السلاطين من الكتب برسم خزائهم، ونذكر بهذا الصدد مراسلة للسلطان المولى سليمان (1792-1822م) لشيخ الزاوية الناصرية علي بن أبي بكر الناصري مؤرخة بـ 28 جمادى الثانية 1211هـ/ 1796م، بصدد استعارة مصنفين لابن كثير قصد انتساخهما⁽²⁾. وفي الإطار نفسه راسل السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام (1822-1859م) شيخ الزاوية نفسها بتاريخ 2 صفر 1251هـ/ 1835م، يعتذر له فيها عن التأخر عن موعد إرجاع حاشية الطيبي على الكشف⁽³⁾. مما يفسر أهمية الكتاب في مد جسور التواصل بين الكثير من المؤسسات خاصة الثقافية منها، فضلا عن القيمة التي فرضها الكتاب في الذهنية المغربية، حيث لم يمانع السلطان من تقديم الاعتذار باسم ديوان الوراق عن التأخر الحاصل في النسخ، وفي الوقت نفسه يعكس ذلك أنماط تفكير وسلوك المغاربة أفرادا ومؤسسات في تنظيم التعامل بالكتاب.

ومن جهة أخرى فقد عكست أدوات الوراقه غيرها من المهن التي ارتبطت بالسلطان تفاوت اجتماعيا واضحا بين ممتهنيها، فرغم ما يبدو من بساطة في أدوات المهنة، فإن بعضهم كان يستخدم قلم الذهب في النسخ؛ مثل أبي العباس الرفاعي الذي تبين له أن مثل هذا القلم رغم ارتفاع سعره فإنه يظل «ثقيلا الجري»، ولا يأتي معه الخط على صورته الكاملة⁽⁴⁾. وفي الوقت نفسه عكس شكل الدواة هذا التفاوت الاجتماعي فالمحظوظ منهم من يتخذ الدواة من المعدن اللطيف غير الغواص كالبلور⁽⁵⁾.

(1) محمد المنوني، تاريخ الوراقه المغربية، ص 235.

(2) انظر نص الرسالة عند محمد المنوني، تاريخ الوراقه المغربية، ص 225-226.

(3) انظر نص الرسالة عند محمد المنوني، تاريخ الوراقه المغربية، ص 226.

(4) حلية الطلاب ومنية الكتاب، محمد المنوني، تاريخ الوراقه المغربية، ص 169.

(5) نفسه والصفحة نفسها.

وقد أضفت رغبات السلطان وحاشيته والنخب من الأعيان على الكتاب هالة من التجميل والتزييق بالألوان وحُسن هندسة الخط والتبويب، بلغ فيها بعض النساخ الغاية، فمن «تمام حسن الكتابة أن تكون أبوابها وفصولها ورؤوس الكلام منها بالألوان كاللِّك واللازورد⁽¹⁾، والتراجم بالذهب»⁽²⁾، وفي هذا الصدد برزت العديد من الأسماء مثل القائم بزخرفة المتسخرات الحسنية (نسبة إلى الحسن الأول) وهو كنون سليمان بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله الفاسي، الذي عُدد من أساتذة الزخرفة والتزييق⁽³⁾، كما اتصف مفضل بن محمد بن الهاشمي التطواني (ت 1304هـ / 1887م) بكونه «جميل الخط، يتقن الزخرفة ويكتب بالذهب»⁽⁴⁾.

عموما فقد ارتبطت مداخل هؤلاء الوراقين بما تدره أجور وعطايا دواوين البلاط، وحظوا بالعديد من الامتيازات؛ كما هو شأن النساخين بديوان الوراق لدى السلطان المولى الحسن الأول (1873-1894م)، فكان «يجري عليهم الجريات الكافية، وينعم عليهم بالنعم السابعة الضافية»⁽⁵⁾، مما أهلهم لأن يصنفوا ضمن الفئات المحظوظة اجتماعيا، على الرغم من صعوبة تحديد موقعهم الطبقي بدقة كبيرة، خاصة وأن التكهن بإدماجهم ضمن طبقة خاصة المجتمع لا يستند إلى واقع تاريخي واضح، نظرا لاعتبارات عديدة أهمها أن النصوص المتوفرة لدينا لا تفصح عن طبيعة ونوعية تلك الامتيازات، ولا تتحدث إلا عن الخطوة والقرب من البلاط، مما يعقد لحد الآن ضبط موقعهم الاجتماعي بدقة.

(1) يعرفه محمد المنوني بكونه حجر أزرق تلون بمحلوله المصاحف الشريفة والمتسخرات ذات الأهمية. تاريخ الوراق المغربية، ص 170.

(2) محمد المنوني، تاريخ الوراق المغربية، ص 170.

(3) محمد المنوني، تاريخ الوراق المغربية، ظهير سلطاني بتعيين كنون سليمان بتعليم فن زخرفة الكتب للطلبة. الملحق رقم 1 ص 270.

(4) محمد داود، تاريخ تطوان، المجلد السابع، القسم الثاني، ص 182.

(5) عبد الرحمن بن زيدان، الدرر الفاخرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356هـ / 1937م، ص 40.

2- الوراقون بالأسواق:

إذا كان وراقو العصر الوسيط قد ارتبطوا أشد الارتباط بالمفهوم الحر في لمهنة الوراقة، ولم يزاولوا غيرها إلا لضرورة البحث عن موارد أخرى غالبا ما أملت لها الظروف العامة المحيطة التي اتسمت أحيانا بقلّة الأمن وسيادة الفتن والمجاعات والأوبئة، فضلا عن تدخل الدولة عن طريق المحتسب الذي ساهم في إضفاء طابع الخصوصية على هذه المهنة⁽¹⁾، إلا أنه في العصر الحديث بدا أن هناك تداخل واضح بين ممتهني الوراقة وبعض المهن القريبة خاصة مهنة العدول وكتابة العقود التي تداخل العمل فيها بين نسخ الكتب وتقديم الخدمات العدلية، نذكر أن الخطاط محمد بن علي السوسي الذي تمكن من نسخ كتاب «النهاية» لابن الأثير في أربعة أسفار⁽²⁾، فقد عدّه محمد بن علي الدكالي السلوي من عدول سلا⁽³⁾، ما يفسر تعدد أدوار الوراقين وانفتاحهم على بعض المهن الأخرى القريبة كالعدلية وكتابة ونسخ الوثائق للبحث عن مزيد من الربح، دون أن يؤثر ذلك على أصالة المهنة أو يقلل من أدوارها الريادية في مجالات الثقافة والفكر.

وسواء وصلت أصداء ظهور المطبعة بأوروبا إلى المغرب عبر البعثات والرحالة أم لا، خلال النصف الأول من القرن 19م، فيبدو أنه بدأ يظهر نوع من التخوف على طريقة كتابة الخط المغربي، مما دفع البعض إلى الدفع بإعادة إحياء جديدة لبعث قواعده⁽⁴⁾،

(1) ابن عبد الرؤوف: رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص 84.

(2) محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 166.

(3) كناشة محمد بن علي الدكالي السلوي، خ ع 4257، ص 27.

(4) لم تكن الذاكرة المغربية لتفصل بين الخط ومجموع المظاهر الأتروبولوجية السائدة بالمغرب. يقول عبد الكريم سكيرج بهذا الشأن «يبقى الخط المغربي مغربا لتناسبه وتلاؤمه مع كل ما هو مغربي من ملبس ومطعم وهيأة وصناعة وأخلاق وعادة». محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، الملحق الأول، ص 321.

والتعريف بأصالة الكتابة بالحروف الهجائية⁽¹⁾، عبر أرجوزة «نظم لألي السمط في حسن تقديم بديع الخط» لأحمد بن محمد الرفاعي القسطلاني⁽²⁾، باقتراح من شيخه عمر بن المكي الشرقي⁽³⁾. وفي الإطار ذاته ظهرت أيضا أرجوزة «سراج طلاب العلوم» لأبي يحيى العربي بن عبد الله المساري، والتي تعد مرجعا لمعرفة أدوات النسخة والكتابة، حيث أطنب أبو يحيى الحديث في ذكر قلم النسخ ونوعية المداد المستعمل وموس البري ووضعية الملزم الخشبي الذي يعرض عليه الكتاب المنتسخ، وغيره من أدوات المهنة⁽⁴⁾.

(1) محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 165-166.

(2) يقول في مطلعها:

قال الرفاعي الفقير أحمد	الله جل وتعالى أحمد
مصليا على الرسول الهادي	المصطفى سيد كل هادي
وآله صفوة خلق الله	وصحبه ذوي العلا والجاه
وبعد فاعلم أن حسن الخط	أجل مقتنى وخير أعطى

نقل العلامة محمد المنوني هذه القصيدة في الملحق الأول ضمن كتابه تاريخ الوراقة المغربية، ص 215-220. وقد قسم الرفاعي هذه الأرجوزة إلى عدة أبواب هي على التوالي: تقويم السطور وتسويتها - تقويم القلم وكيفية قبضه - الدواة وما يتعلق بها - تقويم الحروف القائمة - تقويم الحروف المفتوحة - تقويم الحروف المشقوقة - تقويم الحروف المعركة - تقويم لام الألف - تقويم حروف التركيب - اتساق الحروف وانتظامها. وقد شرح أحمد بن محمد الرفاعي نفسه هذه الأرجوزة في مصنف سماه «حلية الكتاب ومنية الطلاب»، رتبته على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة. انظر حلية الكتاب ومنية الطلاب، ص 5. العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراکش وأغمات من الأعلام، ج 2 ص 405-407. أحمد شوقي بنين، المخطوط وعلم المخطوطات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 33، مطبعة فضالة - المحمدية، الطبعة الأولى، 1994، ص 94.

(3) أحمد بن محمد الرفاعي، حلية الكتاب ومنية الطلاب، ص 5. العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراکش وأغمات من الأعلام، 407/2.

(4) للاطلاع على هذه الأرجوزة يراجع أبي العباس أحمد بن المامون البلغيتي الابتهاج بنور السراج، مطبعة محمد أفندي مصطفى، القاهرة، 1/230-255.

وتعد جودة الخط إحدى محفزات الإقبال على اقتناء الكتب، لذلك تنافس الوراقون في إجادته وتنميته وضبط أشكاله الهندسية، حتى ذاعت شهرة بعضهم في المغرب والمشرق؛ نذكر مثلاً لا للحصر في فاس لمع خط محمد الكبير بن محمد الفاسي المكنى بابن سليمان الذي وصف بـ«الدر اليتيم»⁽¹⁾، وإليه يرجع الفضل في الخطوط الأولى على المطبعة الحجرية. واشتهر خط أحمد بن عبد الرحمان بصري بمدينة مكناس، يذكر عنه ابن زيدان أن «منه فشا بارع الخط بالحضرة المكناسية، حتى كان يضرب بجودته المثل»⁽²⁾. وفي مراكش لمع عبد القادر الدكالي العيسوي البوعزيزي (ت 1290هـ / 1874م)، ووصف بأنه «كان يحترف بالنساخت، وقد أعطاه الله خطاً بارعاً»⁽³⁾. كما اشتهر محمد بن الحاج محمد الريفي (ت 1313هـ / 1896م) بجودة خطه بمدينة طنجة⁽⁴⁾. وفي سلا ذاع صيت الخطاط محمد المكي بن البشير⁽⁵⁾. وفي تطوان لمع خط مفضل بن محمد أفيال الذي وصف بكونه «جميل الخط والزخرفة»⁽⁶⁾. وهذا ما يؤكد على اتساع ظاهرة التعلق بإجادة الخط المغربي في مجمل المدن المغربية، ولعل ذلك ما تسبب لدى بعض مؤرخي دخول المطبعة إلى المغرب في ضعف القدرة على التمييز بين الكتاب المخطوط والكتاب المطبوع، وتبدو أن صعوبة الفصل بين النموذجين هي التي أوحى لهؤلاء بالادعاء بدخول المطبعة

(1) محمد غريط، فواصل الجمال، عند ترجمته ص 200-201. العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام، 130-129/7.

(2) إتحاف أعلام الناس، المطبعة الوطنية، الرباط 1347هـ / 1929م، 362/1.

(3) ابن المؤقت، السعادة الأبدية، ط ف عند ترجمته 136/2-137. محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 231.

(4) عبد الكبير بن هاشم الكتاني، زهرة الآس في بيوتات فاس، خ ع ك 1281. محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 231.

(5) مؤرخو الشرفاء، الترجمة العربية، دار المغرب، الرباط، 1397هـ / 1977م، ص 258. الوراقة 231.

(6) محمد داود، تاريخ تطوان، القسم الثاني، من المجلد 7، ص 182. الوراقة 231.

الحجرية إلى المغرب منذ 1125هـ / 1714م على عهد السلطان المولى إسماعيل⁽¹⁾.

وفي الإطار نفسه لا نعدم الدليل على حضور الخط المغربي في المشرق، يذكر عبد الحي الكتاني أن نسخة من صحيح البخاري في عشر مجلدات بخط الناسخ المغربي أبي محمد عبد النبي بن المجذوب الفاسي وجدها ابن زيدان في خزانة الأمير عبد القادر الجزائري بدمشق⁽²⁾.

ونظرا لارتباط هذه المهنة بصناعة الورق فإننا لا نعدم بعض المؤشرات الدالة على استمرار صناعته بالمغرب بعدد من المدن كفاس إلى صدر القرن 13هـ / 19م⁽³⁾، على الرغم من المنافسة القوية الناجمة عن استعمال المغاربة للورق الأجنبي، وخاصة النصراني، ومن القرائن المدعمة لذلك، ما أفتى به ابن مرزوق بجواز النسخ في الورق الرومي كمثال القول بجواز النسخ على ورق الكفار⁽⁴⁾، حيث لقي النسخ على هذا النوع من الورق رغم رداءته⁽⁵⁾، جدلا فقهيا كبيرا على عكس تواجد الرق الأجنبي منذ وقت مبكر بالمنطقة والذي لم يحظ بجزء من هذا النقاش، رغم ما يمكن أن يستفاد من ذلك

(1) عن تفاصيل هذه القضية راجع:

Germain Ayache, L'apparition de l'imprimerie au Maroc, Hesperis- Tamuda, 1964, vol 5, p. 150-151.

- مصطفى بن عمر المسلولي، القاضي بن محمد التملي الروداني ودخول المطبعة إلى المغرب، ضمن مجلة دراسات التي تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر بأكادير، عدد خاص سوس والصحراء، عدد 16 سنة 2013، ص 156.

(2) محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 240.

(3) نفسه، ص 171.

(4) الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1401هـ / 1981م، 96/1.

(5) يصف أبو العباس أحمد بن علي المصري القلقشندي ورق الفرنجة بكونه «رديء جدا سريع البلى قليل المكث» صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1331هـ / 1913م، 477/2.

كله من انعكاس لصورة الأجنبي في الذهنية المغربية، وما من شك في أن هذه المنافسة آلت إلى توقف الإنتاج المحلي موازاة مع دخول المطبعة المغرب، وصار الاعتماد بالكلية على ما يستورد من أوروبا، وقد اتسم هذا النوع من الورق خلال هذه المرحلة بالجودة العالية والبياض الناصع⁽¹⁾، فاستخدم للنساخة والطباعة معا، وقد احتكر تجارته مغربيان من فاس، كان يطبعا اسمهما في حاشيته ضمن مربع صغير هما «المهدي الحلو. وابن سوسان»⁽²⁾.

ويبدو أن مهنة الوراقة قد استلزمت الحيطة والحذر خوفا من الزيادة والبتري المنسوخات، مما كان يضر بسمعة ممتهنيها، ويفقدها بريقها ودورها الثقافي، ويحولها إلى معول للهدم بفقد الثقة في قيمة الكتاب ودوره الحضاري، سواء بريية القراء مما يكتبه النساخ أو احتفاظ المؤلفين بأعمالهم خوفا من التدليس، ورغم ما عُرف عن البعض مثل محمد البشير بن أحمد بن محمد بن عطية المراكشي (ت1308هـ/ 1891م) من أنه «كان جيد الضبط والاتقان لما نسخ، لا يوجد فيه تحريف ولا إلحاق»⁽³⁾، فإن بعضا آخر ممن ارتكبوا بعض الأخطاء بقصد أو بدون قصد، قد حفزت الكثير من العلماء على طرُق سبل كفيلة لضمان نسخ آمن، فوجد البعض ضالتهم في مقايضة طلابهم بالنسخ مقابل التعليم؛ ونذكر بهذا الصدد الفقيه سيدي محمد التهامي الذي صاحب تلميذه أحمد بن محمد الرفاعي إبان فترة الدراسة بفاس إلى داره بقبيلة بني ورياجل بمدشر الدردار بوادي ورغة، فأقام عنده أربع سنين نسخ له كتباً عديدة كان آخرها صحيح البخاري⁽⁴⁾، ونعتقد أن هذا الانكباب على النسخ هو الذي أهل الرفاعي

(1) لوسيان فافر وهنري جان مارتان، ظهور الكتاب، ترجمة محمد سميح السيد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977، ص66.

(2) محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص232.

(3) العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الإعلام، 79/6.

(4) أحمد بن محمد الرفاعي، حلية الكتاب ومنية الطلاب، ص3. العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغامت من الإعلام، 406/2.

ليصل درجة الاحترافية حتى اشتهر بذلك. وللغرض نفسه استدعاه أيضا الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد بن الطيب لأربع سنين أخرى، ثم طلبه ابن محمد التهامي السابق الذكر للقيام بالمهمة نفسها⁽¹⁾.

ومن جهتها فقد ساهمت الزوايا في تنشيط الحراك الثقافي بما يخدم توجهاتها الصوفية وذلك باحتضان العديد من الوراقين لتدبير مأمورية خزانة كتبها، ونسخ مصنفات شيوخها، أو المصنفات المعتمدة في مجال الولاية، وقد برزت خزانة الزاوية الناصرية بما ضمته من كتب لم تُنحَ لخزانة الكتب السلطانية مما اضطر السلطان إلى استعارتها ونسخها، مما يفسر طبيعة الحراك الثقافي التي امتزجت فيه رغبة السلطة الجامحة في توجيه سوق القراءة واحتكار مصادر المعرفة⁽²⁾، وسعي قوى أخرى لإبراز ذاتها عبر التعويل على هذه المصنفات في إثارة حضورها الثقافي، ومن ثم احتضنت الكثير من المؤسسات كمؤسسة الزوايا عددا من النساخ، كما هو شأن الزاوية الناصرية بتمكروت التي اختص بها الناسخ أحمد بن مبارك بن عبد الله السجلماسي (ت1325هـ/ 1908هـ)⁽³⁾ بمسألة نسخ المصنفات والكتب التي تحتاج إليها الزاوية.

ويبدو أن هذه التفتت القليلة من إشارات المصادر لم تسعف في وضع تصور متكامل عن أوضاع الوراقين الاجتماعية والاقتصادية، مما يستدعي لم شتات ما توفر في

(1) نسخ أحمد بن محمد الرفاعي لأبي الحسن بن علي بن الطيب طيلة أربع سنين نسخة من القرآن الكريم، وجل ما وجد عنده من كتب في مجال التصوف. أحمد بن محمد الرفاعي، حلية الكتاب ومنية الطلاب، ص3-5.

(2) سعى المخزن إلى تلبية حاجيات المناهج التعليمية التقليدية السائدة، وذلك بطبع الكتب التي أغلبها شروح تخدم هذا التوجه المحافظ مثل كتاب الشمائل النبوية، وشرح محمد التاودي بن سودة على تحفة الحكام، وشرح الخرخشي على مختصر خليل، وشرح ميارة على المرشد، وشرح الأزهرى على الأجرومية.

(3) ابن زيدا، إتحاف أعلام الناس، 1/464-465. عبد الحفيظ الفاسي، رياض الجنة، المطبعة الوطنية، الرباط، 1350هـ/ 1932م، 1/103-104. محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص244.

محاولة لتقريب صورة عن واقعهم الاجتماعي؛ فإذا كان البعض منهم قد تمكن من نسخ ما يربو عن 200 نسخة لمصنف واحد فقط⁽¹⁾، ما يشي بأهميته ضمن الدرس التعليمي، إلا أن ذلك لم يكن كافيا لتسليط الضوء على انعكاسات هذا النشاط الثقافي على وضعهم الاجتماعي، دون أن نستثني بعض من ذكرتهم المصادر صراحة مثل الحاج إدريس بن إدريس العمراوي (ت 1296هـ / 1879م) الذي اكتسب من مردود الوراقة عقارا⁽²⁾. وفي الإطار نفسه تمكن محمد بن عبد السلام بن عزوز من شراء دار سكناه في حي باب دكالة بمراكش من ثمن متسخاته من كتاب «القاموس المحيط»⁽³⁾. كما كان العباس بن محمد بن عبد الرحمان السجلماسي (ت 1311هـ / 1894م) يكتب في كل سنة نسخة من «تعليق الجنان على المختصر الخليلي» بخطه الأنيق، ويبيعها بمائة ريال هي نفقة عولته⁽⁴⁾. ولما وصل العربي بن عبد القادر المشرفي مدينة فاس اتصل بأحد الأمراء ولعله العباس بن السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام، يذكر عن هذا اللقاء قائلا «منذ قدمت مهاجرا لمدينة فاس، أغناني عن عطاء الناس، وقد كتبت له خزانة بخط يدي، ما تركت فنا إلا وكتبت له أمهاته بوافر أجرة، دون العطايا التي يخصني بها»⁽⁵⁾.

(1) الناسخ أحمد بن علي بن عبد السلام الورتناجي الشبراوي التسولي الفاسي كان حيا سنة 1280هـ / 1864م. محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 165.

(2) وصفه محمد غريب بأنه كان «يكثُر إلى النسخ التفاته، ويستدرك به ما فاتته، كتب من الصحيح نسخا عديدة، ومن كتب الأدب جملة مفيدة، اكتسب من أثمانها عقارا، ومن معانيها خبرة واعتبارا» فواصل الجمان، ص 142.

(3) محمد بن علي دنية، مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط، خ س 2، 76/779. محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 229.

(4) محمد عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والاثبات، ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات، المطبعة الجديدة، فاس، 1928م.

(5) مشوم عرار النجد والغيطان، مخطوط خ س 12082. محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 237.

وما من شك في أن هذه الأدوار الفكرية والثقافية التي اضطلع بها الوراقون، قد رسخت في الذاكرة الجماعية شيوع الانتساب إلى مهنة النساخة، تمييزاً لهم عن غيرهم من المهنيين، وتأكيداً لمتانة أواصر العلاقة بين المهنة وممتهنيها؛ ونذكر بهذا الصدد الحاج عبد السلام النساخ (حج عام 1280هـ / 1864م)⁽¹⁾، ومحمد أجنين النساخ⁽²⁾. كما توارثت بعض الأسر حرفة النساخة، واعتمدت عليها كمورد رزق لأفرادها، فكان مصدر كثير من هذه الأسر الوحيد هو «التمعش بالكتابة»، كما هو شأن محمد بن المأمون بن عمر بن الطائع بن ادريس الكتاني (ت 1309هـ / 1892م)، ويذكر أنها «هي حرفتي وحرفة والدي والسلف الصالح قبل ذلك»⁽³⁾

وكما هو شأن مختلف الحرف في أسواق المدن الإسلامية فقد شاع بين الوراقين التحلي بمجموعة من آداب وأخلاق المهنة، لإضفاء مظاهر القداسة على مختلف الوظائف والعمليات الوراقية⁽⁴⁾؛ فمن آداب النساخة شرط الطهارة خاصة إذا كانت المنسوخات تحمل طابع القداسة مثل نسخ القرآن الكريم وكتب الحديث النبوي الشريف، ومن ذلك ما عُرف عن عبد الكبير بن عبد الرحمان المجذوب بن عبد الحفيظ الفهري (ت 1294هـ / 1878م) من نسخه للكتب الستة الشهيرة في الحديث، وقد «بلغ من تعظيمه أنه ما كتب حديثاً واحداً وهو على غير طهارة تامة»⁽⁵⁾.

(1) ابن زيدان، الاتحاف ج 5 ص 481.

(2) العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراکش وأغامت من الأعلام، 44/7.

(3) محمد بن المأمون بن عمر بن الطائع بن ادريس الكتاني، هداية الضال المشتغل بالقليل والقال، في حديث له عن الوراق. محمد المنوني، تاريخ الوراق المغربية، ص 248.

(4) لعل عامل القداسة الذي ارتبط بالكتاب ما منع من دخول أهل الذمة مهنة الوراق، إلا ما ارتبط بمصنفاتهم العقدية، وذلك ما يظهر من تشدد محتسبي الأسواق اتجاه هؤلاء في امتحان مثل هذه الحرفة التي اقصروها على المسلمين. ينظر ابن عبد الرؤوف، رسائل في الحسبة، ص 84.

(5) العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراکش وأغامت من الأعلام، 159/8.

وإذا كانت الوراقة تستوجب على ممتهنيها حداً أدنى من القراءة الكتابية، فقد سمحت في الاتجاه الآخر لكثير من العلماء امتهانها، لتوفير موارد أخرى إضافية؛ يروى عن الأمير العباس بن السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام أنه اشترى نسخة من صحيح مسلم في ثلاث مجلدات «من مدينة سلا من فقيه عالم، وهو السيد محمد بن عيسى بن بوزيد، وهي بخط يده، ومن الصحة بمكان»⁽¹⁾. وفي الوقت نفسه سمحت الوراقة لكثير من أصحاب المعرفة والنفوذ مجالا لدر المال، لاسيما إذا حلت بهم النكبات، أو قبل أن يلجوا سلك الإدارة والعمل في القصور؛ ونذكر بهذا الصدد محمد بن أحمد بن عيسى الصنهاجي الوزير (ت 1309هـ / 1892م) الذي اشتغل في أول أمره بالنسخة⁽²⁾، قبل أن يترقى في مدارج الإدارة والوظيفة.

كما أغرت امتيازات القرب من خزانات القصور العديد من الوراقين بغية تحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، مما دفع بعضهم إلى عرض منتجاتهم ومنتسختهم على الحضرة السلطانية أملا في خدمتها، يذكر العلامة محمد المنوني أن الحلو محمد بن الحاج محمد بن أبي بكر الفاسي كتب رسالة للسلطان المولى عبد الحفيظ بتاريخ 13 جمادى الآخرة 1326هـ / 1908م، يذكر فيها أنه مزخرف وثيقة البيعة الحفيظية، مع استعداده لخدمة الكتب السلطانية تذهيبا وتزويقا وتسفيرا⁽³⁾.

وكما هو شأن عمليات النسخ فقد ارتبط فن التزويق أشد الارتباط بمهنة الوراقة، وظهر لهذا العهد عدد من الفنانين الذين ذاع صيتهم في عموم البلاد؛ نذكر أن إدريس بن محمد الصفار، نسخ «الشفاء» لعياض «خطا وزخرفة وتذهيبا وتلوينا وتسفيرا، منسلخ ذي الحجة 1285هـ / 1868م»⁽⁴⁾، كما شاع وصف المسفر البطاوري التهامي بن علي

(1) محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 250.

(2) العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراکش وأغامت من الأعلام، 72/7.

(3) محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 271.

(4) محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 251-252.

الرباطي (ت1325هـ / 1907م) بقدرته على الجمع بين المعرفة العلمية وانفتاحه على عمل التفسير، فقد كان «عالم له معرفة بتفسير الكتب»⁽¹⁾. بل تمكن بعضهم من إبراز قدراته الفنية في إبداع أشكال خطية كبيرة على شكل لوحات حائطية رائعة استهوت الكثيرين؛ كما هو شأن محمد بن القاسم القندوسي الذي «كتب اسم الجلالة في ورقة كبرى، وجعل طول حروفه القائمة يتجاوز المتر، في عرض على هذه النسبة، فجاء عملا في شكل غريب بديع.. ثم جعل ذلك في إطار خشبي مزخرف، وعلقه قبلة الجامع الإدريسي بفاس»⁽²⁾. ومن خلال هذا العمل يمكن أن نؤرخ لبداية استعمال زخرفة الحرف العربي في لوحات الحائط الفنية التشكيلية بالمغرب.

وعلى الرغم من النشاط والفاعلية التي اتسم بها الوراقون لتلبية حاجات المجتمع من مصادر المعرفة المكتوبة، إبان مرحلة ظهور الطبع الآلي بدخول المطبعة بلاد المغرب، فقد خلف ذلك بعض ردود الفعل التي أثرت بمستويات مختلفة على المهنة وممتهنيها، ولعل ذلك ما يظهر التخوف الذي بدا من منافسة الطبع الآلي للنسخ اليدوي، ما دفع البعض إلى البحث عن حلول إبداعية من داخل المهنة نفسها لتجاوز ما من شأنه أن يهدد مستقبل المشتغلين بالنسخ اليدوي، فظهر استعمال الخط في لوحات الفن التشكيلي، ولم يجد آخرون غضاضة في إبداع أشكال جديدة للكتاب فيما يمكن أن نصطلح عليه بكتاب الجيب، مستعملين قدراتهم الإبداعية الفائقة في تصغير حجم الخط دون المساس بجودته، فضلا عن تصغير حجم وسمك الكتاب، لتسهيل مأمورية حمله ونقله ومصاحبته، نذكر أن محمد بن الحاج محمد الريفني نزيل طنجة «كان يكتب منتسحاته بخط دقيق على ورق رقيق، في حجم صغير يسعه داخل اليد»⁽³⁾.

(1) محمد دنية، مجالس الانبساط، 137/2. محمد بوجندار، الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، خ ع رقم 1287، د49/2. تاريخ الوراقة، ص261.

(2) محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص230.

(3) عبد الكبير بن هاشم الكتاني، زهرة الآس في بيوتات فاس، خ ع ك 1281. محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص231.

وكيفما كان الحال فإن تأثير الطباعة السلوكية بالخصوص في نشاط النساخة كما يذكر العلامة محمد المنوني لم يكن كبيرا، وما يبرر ذلك هو تفضيل القراء للمنسوخات الخطية اليدوية بدل المطبوعة، بل إن كثيرا من المطبوعات المصرية التي وصلت المغرب كان يعاد نسخها بالخط المغربي، ولتأكيد ذلك كان الوراقون يشيرون في متسختهم اليدوية في الكلمة الختامية لمصحح المطبوع⁽¹⁾. وعلى الرغم من ذلك فقد كان لتفكك مكونات الوراقة بالاعتماد على استيراد الورق الأجنبي بدل صناعته محليا، أثر في التحاق بعض ممتهني الوراقة للعمل في الطباعة كنساخ ومصححين ومجلدين، أو الاشتغال بنسخ العقود العدلية.

وعلى الرغم من وجود المطبعة على عهد السلطان المولى الحسن الأول إلا أن ذلك لم يؤثر عمليا في حركية الوراقة دليلنا في ذلك أن هذا السلطان اتخذ لناسخي دواوين القصور محلا خاصا بهم «لا يفارقون حضرته سفرا ولا حضرا»⁽²⁾، وخلال حركاته كان يصاحب بعضهم لمهمة النسخ، وكان يخصص لهم خباء الطلبة النساخين⁽³⁾.

ومن مظاهر ضعف تأثير المطبعة إلى نهاية القرن 19م؛ نذكر أن محمد البشير بن عطية المراكشي (ت 1308هـ / 1891م) «كان له خط رائق نسخ به الكثير بعد الستين»⁽⁴⁾، بل لا نعدم بعض الدعوات التي تعالت في الربع الأول من القرن 20م لأسباب تداخل فيها السياسي بالمعرفي من قبل بعض العلماء بالتحذير من المنتج

(1) تاريخ الوراقة المغربية، ص 233. لم تقتصر هذه الظاهرة على المغرب بل ظهرت منذ وقت مبكر في أوروبا واضطر الطابعون إلى تحرير الكتب المطبوعة على أنها مخطوطات، حتى لا تثير حساسية المتحفظين من استعمال المطبوع. لوسيان فافر وهنري جان مارتان، ظهور الكتاب، ص 117-118.

(2) ابن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356هـ / 1937م، ص 40. محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 233-234.

(3) ابن زيدان، العز والصولة، المطبعة الملكية 1381هـ / 1961م، 227/1. محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص 234.

(4) العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراکش وأغمات من الأعلام، 87/6.

الورقي للمطابع؛ نذكر بهذا الصدد أن الفقيه محمد السباعي المراكشي (ت1332هـ/ 1914م) وضع «رسالة في الحض على الاعتناء بالتأليف الخطية، والتحذير من الكتب المطبوعة، وبيان أنها سبب في تقليل الهمم وعدم حفظ العلم ونسيانه»⁽¹⁾.

ثانيا: جوانب من الأوضاع الاجتماعية لمهنيي المطابع بمغرب أواخر القرن 19م وبداية القرن 20م:

يذهب أغلب الباحثين في مجال الطباعة إلى أن الألماني يوحنا غوتنبورغ هو مبتكر المطبعة أواسط القرن 15م، إلا أن ولوجها العالم العربي عامة والمغرب خاصة ظل متأخرا، مما جعل تأثيرها محدودا للغاية، لأن دخولها لم يتزامن مع ثورة فكرية إصلاحية⁽²⁾، ولم يتم الإعلان خلالها عن بدء دخول عصر جديد من شيوع استغلال مصادر المعرفة، وانتشار العلم، والرفع من قيم الحوار الحضاري والتبادل الثقافي⁽³⁾، بل إن هذا التأخر في دخول المطبعة كأداة حضارية، تزامن مع جني الأوربيين لأقصى ثمرات انتشار المطبعة ببداية التسرب الأوربي إلى العالم الإسلامي⁽⁴⁾، وذلك ما

(1) عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة، المطبعة الوطنية، الرباط، 1931م، 57/1.

(2) على الرغم مما وصف به السلطان الحسن الأول من كونه أبرز السلاطين الإصلاحيين في القرن 19م بالمغرب، إلا أن هذه الإصلاحات كانت محدودة التأثير، نظرا للواقع الاجتماعي الذي لم يكن مؤهلا للمشاركة في ثورة ثقافية تقودها النخب المؤطرة للمجتمع. محمد داود، تاريخ تطوان، المجلد 7 القسم 1 ص 77 وما بعدها. محمد غريط، فواصل الجمان، ص 70-71.

(3) يذهب فوزي عبد الرزاق هذا الاتجاه ويؤكد أن المغرب خلال عقد الستينات من القرن 19م لم يشهد أية حركة نهضوية ولا ثورة صناعية، وإنما كانت هناك جهود محدودة ومحاولات إصلاحية بسيطة انطلقت للتعبير عن ردود فعل المغاربة أمام تهديدات الدول الأوربية العسكرية المتصاعدة التي استهدفت الأراضي المغربية. فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب تاريخ الطباعة في المغرب 1865 - 1912، تعريب خالد بن الصغير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1996، ص 148.

(4) عن ثمرات المطبعة في أوروبا عامة وفي فرنسا خاصة ينظر رحلة محمد الصفار الموسومة بـ«صدفة اللقاء مع الجديد، رحلة الصفار إلى فرنسا (1845-1846م)» تعريب خالد بن الصغير، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

يستشف من ملاحظات لمحمد الصفار وغيره ممن زاروا أوروبا، وتمكنوا من الاطلاع على الصعوبات التي تفرضها صناعة الكتاب بالطريقة اليدوية⁽¹⁾.

لقد ظل القرن 19 م يؤرخ لميلاد ظاهرة الطباعة بالبلدان العربية بالرغم من ظهور بعض المطابع هنا وهناك قبيل هذا التاريخ. وفي المغرب لم تفلح الدعوات المرفوعة إلى المخزن من قبل بعض العلماء للتحفيز على جلب المطبعة؛ نذكر أن الفقيه إدريس العمراوي وزير السلطان محمد الرابع قدم دعوة إلى السلطان بعد عودته من رحلته إلى أوروبا للسعي إلى استخدام المطبعة في النسخ، يقول في هذا الصدد «وهذه الآلة التي اتخذوها للطبع، هي في كل الأمور عامة النفع، معينة على تكثير الكتب والعلوم، وأثرها في ذلك ظاهر معلوم»⁽²⁾. وما دمنّا لا نتوفر على رد واضح للسلطان بشأن هذه الدعوة، إلا أن ما يؤكد عجز المخزن على تبني مثل هذه المبادرة، هو فراغ الخزينة الدولة التي أنهكها احتلال تطوان سنة 1276هـ / 1860م، وما خلفه ذلك من ديون زادت من تهميش مثل هذه المشاريع، لاسيما وأن هاجس المخزن الأكبر تمثل في جمع الضرائب لتحديث الجيش⁽³⁾.

وكيفما كان الحال فإن هذه الظروف قد سمحت للأفراد أو ما يمكن أن نصطلح عليه بـ«القطاع الخاص»، بتبني هذه المبادرة في شخص القاضي الطيب بن محمد التلمي الروداني، الذي حج سنة 1280هـ / 1864م، وبعد أداء المناسك وزيارة مكة والمدينة، توقف عند عودته في القاهرة واشترى بها مطبعة حجرية، وتعاقد مع الخبير

(1) فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 136.

(2) إدريس بن إدريس العمراوي، تحفة الملك العزيز بمملكة باريز، طبعة حجرية، فاس، 1892م. محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، 1/260-261. فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 137.

(3) نعيمة هراج التوزاني، الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن (1873-1894م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1979م، ص 34.

المصري في الطباعة محمد القباني ليشغل لصالحه سنة كاملة⁽¹⁾. ولما وصلت إلى مرسى الصويرة «أخبر الأمين الفرنسي القباج قائد المنطقة عبد الله وبه السوسي بأمرها، وقام هذا الأخير بدوره بمكاتبة السلطان مستفسرا إياه عن الإجراء الذي يجب اتخاذه في موضوع تلك الآلة الغريبة التي لم تقع عيناه على نظير لها من قبل»⁽²⁾.

بعد الأمر السلطاني حسب رواية الطيب الأزرق⁽³⁾ وهو أول طابع مغربي وأحد المتعلمين المغاربة لفن الطباعة تحت إشراف الطابع المصري محمد القباني في فاس، انتقلت المطبعة صحبة الطابع المصري من الصويرة إلى مكناس حيث كان السلطان مقيما، وكان محل عملها في الهديم، وكانت نظارة أحباس مكناس هي الجهة المكلفة بالإفناق عليها، وبقيت المطبعة المذكورة في مكناس سنة كاملة نقلت بعدها لمدينة فاس في السنة الموالية، حيث أصبح مقرها بها⁽⁴⁾.

(1) ينظر نص العقد المبرم بين القاضي الطيب بن محمد التملي الروداني وخبير الطباعة محمد القباني في القاهرة عند:

Germain Ayache, L'Apparition de l'Imprimerie au Maroc, Hesperis Tamuda, 1964, vol 5, p.18

محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، 1/297-298. فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 139-140. مصطفى بن عمر المسلوتي، القاضي الطيب بن محمد التملي الروداني، ص 158-159.

(2) محمد المختار السوسي، خلال جزولة، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب، 4/120-122. فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 141.

(3) تحاشى الطيب الأزرق الحديث عن طريقة نقل ملكية المطبعة من القاضي الروداني إلى القصر السلطاني ولا عن الكيفية ولا عن مصير القاضي الروداني، مما فسخ المجال للتأويلات بين من يدعي تقديمها هدية للسلطان بعد كل ما بذله الروداني في مغامرة جلبها إلى مدينة تارودانت، وبين من يرى في المسألة مصادرة واضحة من قبل السلطان لمطبعة الروداني. عن النقاش يراجع فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 141-142. مصطفى بن عمر المسلوتي، القاضي الطيب بن محمد التملي الروداني ودخول المطبعة إلى المغرب، دراسة ضمن مجلة دراسات التي تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، عدد خاص سوس والصحراء، عدد 16 سنة 2013. ص 162-165.

(4) فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 140-142.

ومن المرجح أن نقل المطبعة من مدينة مكناس إلى فاس كان مؤشرا على تكلفة مصاريف المطبعة، خاصة وأن منتوجاتها الأولى توجهت لخدمة خزانة الكتب المخزنية بين سنتي 1865-1871م، إلا أن المخزن المغربي لم يكن مستعدا لمزيد من استنزاف موارده المالية، التي عجزت عن مسايرة التحولات العامة التي وضعت المغرب أمام فوامة البنادق الأوروبية، بدأ بمعركة إيسلي سنة 1259هـ/ 1844م مع فرنسا بالجزائر، وما تبعها من معاهدات مجحفة خاصة معاهدة لالة مغنية في السنة الموالية، مرورا بمعركة تطوان 1276هـ/ 1860م مع إسبانيا وما تلاها من معاهدات الصلح، كلفت خزانة الدولة المغربية غرامات مالية مجحفة. ولا شك أن تداعيات هذه الحروب والمعاهدات شكلت مؤشرات دلت على العجز الذي لحق بخزانة الدولة، فلم يعد بمقدورها الانشغال بتلبية حاجيات مرتبطة بآلة المطبعة التي تعد صناعة كمالية. وذلك ما تفسره عملية نقل المطبعة إلى العاصمة العلمية، على خلاف ربط عملية نقلها لمجرد تلبية لرغبة الطابع محمد القباني في نقلها إلى فاس⁽¹⁾، بل إن التفكير كان جاريا حول نقلها من طابعها الخدماتي لحاجات المخزن من الكتب إلى مورد اقتصادي استثماري بفاس يدر مداخيل إضافية على خزانة الدولة، حيث تتميز المدينة بطابعها العلمي وبارتفاع مستوى الطلب على الكتب والمصنفات من قبل العلماء والطلاب بجامع القرويين.

وتنفيذا لهذا الغرض استعمل القباني العدد الكافي من العمال المتعاقدين مع دار المطبعة أمثال الطيب الأزرق الفاسي ومحمد الهفروكي المراكشي، وعدد من المساعدين في النسخ والتصحيح والتفسير، تلبية لحاجات السوق من الكتب المطبوعة،

(1) يذكر فوزي عبد الرزاق أن الطابع المصري القباني هو الذي أقدم بعد استفساره عن «فاس وعددها الوافر من الكتب والعلماء» على توجيه طلب إلى السلطان للعمل على نقل آلة الطباعة سنة 1865م إلى فاس. مملكة الكتاب، ص 142. مصطفى المسلوقي، القاضي الطيب، ص 171.

ولتشجيع هذا البعد الاستثماري، والرفع من مستوى العائد المطبوعي⁽¹⁾، تم وضع تنظيم هرمي بيروقراطي صارم يخدم هذا الهدف؛ فقد كلف الصدر الأعظم الطيب بليميني بالإشراف على حسن تسييرها وتتبع مصاريفها، واختص ولي العهد المولى الحسن رغم افتقاره إلى الخبرة الضرورية بالإشراف على بيع الكتب في دكاكين أعدت بأسواق مختلف المدن المغربية، مثل فاس ومراكش⁽²⁾. ويعد ذلك إيذانا ببداية توزيع العمل بين مختلف الفاعلين في صناعة الكتاب، بين الوكلاء المكلفين باستيراد وجلب المواد الأولية، وبين عمال ورشة الطباعة، فضلا عن المشتغلين في عمليات النشر والتوزيع.

وتبدو صرامة العلاقة بين هؤلاء الفاعلين في التنظيم الجديد لمهنة الطباعة بإجراء التوزيع الوظيفي للعمال، وذلك بجعل النساخ⁽³⁾ مثلاً مسؤولاً أمام المصحح⁽⁴⁾ والطابع والناشر، وإن بدا أن بعض العلماء الذين اشتغلوا بالنسaxe في ورشة المطبعة قد جمعوا بين وظيفتي النسخ والتصحيح في آن واحد أمثال عبد الرحمان الكتاني وأحمد البوعزاوي⁽⁵⁾. وكيفما كان الحال فقد خضع عمل هؤلاء جميعاً للمراقبة والاختبار مراعاة لبلوغ المستوى المطلوب من الدقة والضبط⁽⁶⁾، قبل استعمال آلات الطباعة ذات

(1) لم يكتف المخزن بهذه الإجراءات بل قام ببعث عدد من الطلبة من بينهم عبد القادر الشفشاووني إلى بلاد مصر بهدف تعلم فن الطباعة. عبد الله فكري، الآثار الفكرية، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، 1897م، ص 55-56. فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 154.

(2) Germain Ayache, L'Apparition, p. 158. مصطفى المسلوقي، القاضي الطيب، ص 171.

(3) يذكر فوزي عبد الرزاق أن الإخوة الثلاث أبناء بن سودة، وهم محمد والوافي والفاطمي اشتهروا بالاقتصار على النسخ فقط. المطبوعات الحجرية في المغرب، ص 117-118.

(4) يذكر فوزي عبد الرزاق أنه برز في الفترة المتراوحة بين 1865 و1912م عدد من المصححين أمثال محمد القادري (ت 1912م)، والصقلي (ت 1892م) والمهدي الوزاني (ت 1923م) وجعفر الكتاني (ت 1905م). المطبوعات الحجرية في المغرب، ص 135-136. 152-153. 164-165.

(5) عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة، المطبعة الوطنية، الرباط، 1931م، 1/111-116. فوزي عبد الرزاق، المطبوعات الحجرية في المغرب، ص 135-136.

(6) محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب، 310/1.

الحروف المتحركة التي استغنت عن بعض تلك المهام مثل مهمة النساخ.

ولتنشيط العمل بالآلة، وتنظيم علاقات العمل بين قوى الإنتاج في مؤسسة المطبعة، تم إجراء تصنيف العمال حسب درجة تأهيلهم المهني، مما سمح بظهور «شهادة الإجازة» أو ما يمكن تسميته «بشهادات التأهيل» التي يمنحها خبراء ومؤهلون في هذه الصناعة، مثل الخبير محمد القباني قبل رحيله إلى مصر سنة 1287هـ/ 1871م، أو من الطلبة المغاربة الذين بعثهم السلطان محمد الرابع إلى مصر وحصلوا على شهادة التأهيل مثل عبد القادر الشفشاوني. لقد أصبح هؤلاء يشكلون خبراء الطباعة وعلى أيديهم تختبر قدرات ومهارات العمال⁽¹⁾.

لقد كانت الدولة تهدف من خلال هذه الإجراءات التنظيمية الصارمة إلى تأمين نجاح أمرين اثنين؛ الأول تمثل في تحويل المطبعة إلى مشروع اقتصادي استثماري وإن بدت بوادر فشله تلوح في الأفق رغم صرامة الإجراءات الإدارية المنظمة للعملية بإصدار ظهائر سلطانية لتنظيم أنشطة الطباعة مثل «ظهر 7 فبراير 1897م» على عهد السلطان المولى عبد العزيز⁽²⁾، والأمر الثاني تجلّى في سعي الدولة إلى توجيه سوق القراءة، واستغلالها في بعض المناسبات لأغراض دينية وسياسية، وذلك بطبع المصنفات التي تخدم إيديولوجية الحكم، أو تسير في فلكها⁽³⁾، ولو استدعى الأمر توزيعها بالمجان حتى إلى خارج الحدود، لتحسين صورة المخزن في الداخل

(1) فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 154.

(2) أكد هذا الظهير على جودة المنتج وحماية الناشرين والتشديد على الإذن المخزن. محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب، 310/1.

(3) نذكر أنه لتأكيد التوجه الأشعري للدولة المغربية على عهد السلطان المولى الحسن الأول. فقد أمر سنة 1882م بالإكثار من طبع نسخ من كتاب مرتضى الزبيدي «إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين للغزالي». ولا يخفى التوجه الأشعري لأبي حامد الغزالي من خلال كتابه «إحياء علوم الدين». ينظر نص العقد المبرم بين المخزن والأخوين الطيب الأزرق والعربي الأزرق لطبع الكتاب عند محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، 305/1-309.

والخارج⁽¹⁾، لإضفاء الشرعية على سياسة الإصلاحات التي باشرها المخزن عامة وفي مجالي التعليم والتكوين خاصة. فالإصلاح الذي طال هذين المجالين كان الهدف منه هو تكوين نخبة إدارية تمكن المخزن من التحكم في مقومات الاستمرار⁽²⁾، مما حد من فاعلية تأثير الطباعة في الوسط المغربي التقليدي⁽³⁾، وسمح باستمرار مهنة الوراقة على نطاق أوسع.

وكيفما كان الحال فإن هذه الحركية التي صاحبت نشاط المطبعة في هذه الفترة انعكست إيجاباً على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لقوى العمل بها، خاصة وأن العمال وأغلب المساعدين من المتعلمين والطلبة كانوا من أبناء أسر العلماء والأعيان والشرفاء، مثل آل بن سودة والكتاني وابن الخياط وغيرهم⁽⁴⁾، فضلاً عن بعض المحظوظين من الطبقات الاجتماعية السفلى الذين تمكنوا من التألق في المجال العلمي وأصبح لهم حضور وازن بين هذه المكونات؛ نذكر أن أحمد البوعزاوي ذو الأصول الإفريقية، قد اشتغل ما بين 1306هـ / 1889 و 1323هـ / 1906م كنساح ومصصح لفائدة الطابعين العربي الأزرق والبادسي⁽⁵⁾.

(1) أمر السلطان المولى الحسن بنسخ كتاب «إتحاف السادة المتقين» وتوزيعه بدون مقابل على حوالي 150 من علماء القاهرة ومكة والمدينة واستنبول. محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، 308/1-309.

(2) علي المحمدي، النسق المخزني ومسألة الاستمرار التقليد والتجديد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 42، 2010، ص 115.

(3) على الرغم من إعلان المخزن المغربي على جملة من الإصلاحات في ميادين مختلفة، إلا أن تكنولوجيا الطباعة لم تدمج في برامج الإصلاح والتحديث التي همات مجالي الجيش والجبابة، فضلاً عن الاهتمام بمصنفات علمية ولا حتى كنانيش المعاملات التجارية، مما أقصر عمل المطبعة على تلبية حاجات التعليم التقليدي، الأمر الذي قلل من تأثيرها الحضاري. فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 159.

(4) فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 154-165. 185.

(5) الفاسي، رياض الجنة، ص 112، فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 188.

وفي هذا الإطار تكفلت أحباس جامع القرويين بمصاريف المطبعة المتمثلة في واجب كراء محل المؤسسة وجلب الأدوات الضرورية من ورق وأحجار للطباعة وحبر وغيره، بواسطة وكلاء تجاريين بمصر وجبل طارق⁽¹⁾، ويبدو أن غلاء هذه المواد وتكلفة نقلها ضاعف من المصاريف الباهضة أصلا لهذه المؤسسة. أما مصاريف العمال من طعام وكسوة فقد اختصت بها خزانة الدولة، مما يسمح لنا بإدراج هؤلاء العمال في سلك موظفي الدولة. ويبدو من خلال السجلات المالية المتعلقة بأجورهم، فإن ما توفر يؤشر على وضعهم الاقتصادي المريح، وفي ذلك نذكر أن أجر محمد القباني بدأ بثلاثة مثاقيل يوميا أي ما يعادل ست مرات ما اتفق عليه المعني مع القاضي الطيب التملي الروداني⁽²⁾، وارتفع أجره إلى ما يربو عن 650 مثقال خلال عهد السلطان محمد الرابع، ويليه المصحح والكاتب بـ300 مثقال لكل واحد منهما، بينما يصل أجر 20 مساعدا إلى حوالي 70 مثقالا لكل واحد منهم شهريا⁽³⁾.

فعلى الرغم من التباين الكبير في أجور عمال المطبعة، إلا أن الجامع بينهم أنهم يحظون بمداحيل رتبة شهريا مما يساعد على الإسهام في استقرار أسر هؤلاء العمال، لاسيما وأن انتماءهم الاجتماعي لا يسمح بغير هذا الوضع، لكونهم من أبناء الأعيان والعلماء الطامحين إلى الخدمة في المؤسسات السلطانية، وكيفما كان الحال فإنهم كانوا محظوظين اجتماعيا، بقرهم من السلطان وحصولهم على الامتيازات والمكافآت التي تمنح لجل العاملين على شكل كسوة جديدة كاملة كل سنة⁽⁴⁾.

ويبدو أن نقل آلة الطباعة إلى فاس لم يف بالغرض المطلوب، فلا المصاريف

(1) الطيب بليمني، الوثائق، 421/1.

(2) مصطفى بن عمر المسلوقي، القاضي الطيب، ص 171.

(3) الطيب بليمني، بيان النفقات التي صرفت على المطبعة الملكية، الوثائق، إصدار مديرية الوثائق الملكية، المطبعة الملكية، الرباط، 1976م، 421-420/1. فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 155.

(4) الطيب بليمني، الوثائق، 421/1.

تراجعت، ولا حجم المخزونات من الكتب عوّض هذه النفقات، بفعل غلاء أسعارها⁽¹⁾، مما حول الآلة إلى عبء إضافي على خزانة الدولة، دفع المخزن إلى التفكير في التخلص منها، والتحلل من العقد المبرم مع مشغلها محمد القباني، وتقويتها إلى الخواص سنة 1287هـ / 1871م، وذلك في شخص الطيب الأزرق بفاس الذي تعلم على يد القباني.

وإذا كانت هذه المبادرة تصب في تشجيع القطاع الخاص، فإنها في الوقت نفسه قد صاحبها إجراءات رقابية مخزنية صارمة على نوعية الإصدارات، والالتزام بتقديم العشر منها لفائدة المخزن⁽²⁾. وكيفما كان الحال فقد ساعدت هذه التغيرات الطابع الطيب الأزرق الفاسي بحكم تجربته التي اكتسبها في هذا المجال منذ دخول المطبعة إلى المغرب، ورغم تراكم التجربة فإنه كان في حاجة إلى التمويل المادي، الذي سيجده في شريكه في المشروع الحسين بن محمد الدباغ، ذو النفوذ الديني والاقتصادي⁽³⁾.

لقد فتح ورش خصوصية المطبعة شهية رجال المال إلى الاستثمار في هذا المجال، ونذكر بهذا الصدد الحسين الدباغ الذي احتضن تجربة الطيب الأزرق المطبعية، واستغل إلى أبعد الحدود علاقاته المتينة مع المخزن وحاشيته فضلا عن العديد من العلماء والزعماء. وفي الإطار نفسه فقد تم استغلال العلاقات العائلية في اشتغال أخيه الفقيه إبراهيم الدباغ في المطبعة كمصحح⁽⁴⁾، وكيفما كان أدائه المهني،

(1) نذكر على سبيل المثال تكلفة طبع مصنف التسولي «التحفة»: الكتاب ذو حجم متوسط يحتوي على 260 صفحة، بلغ ثمنه 81 مثقالا، ما يعني أن عامل المطبعة الذي يود اقتناء هذا الكتاب عليه أن يشتغل لمدة تربو عن الشهر ليتمكن بالظفر بنسخة. أما إذا كان الكتاب يتكون من عدد من المجلدات فإن السعر يتضاعف أضعاف مضاعفة. فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 156-157.

(2) فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 214.

(3) نفسه، والصفحة نفسها.

(4) يذكر أن الطيب الأزرق طبع نوازل علي بن عيسى العلمي وصححه إبراهيم بن محمد الدباغ. المطبعة الحجرية، فاس، 1875م.

فإن ذلك يؤشر فضلا عن التأهيل المهني، إلى حضور القرابة العائلية في الترشح للعمل في مؤسسة المطبعة.

لقد ساهمت هذه المتغيرات في انتقال الطيب الأزرق من وضع العامل العادي في ورشة الطباعة، إلى وضع اعتباري آخر تحول فيه إلى صاحب الآلة والمنظر لعملها والمشرف على تدبير علاقات العمال بها، أمثال العربي الأزرق والمكي بن إدريس وعبد السلام الذويب وأحمد بن الطيب الأزرق ومحمد بن قاسم البادسي وغيرهم. مما أدخل الكتاب المخطوط في منافسة محتدمة مع الكتاب المطبوع، وذلك بتطور كثير من المظاهر التجارية الجديدة لاستقطاب زبناء جدد بإظهار مميزات المطبوعات الآلية بعد أن آلت ملكيتها إلى الخواص؛ فانتشرت ظاهرة التقريظ⁽¹⁾ على أوسع نطاق كطريق مثلى لإشهار الكتب والتعريف بها، بل استعمل أحيانا كأداة إشهار ووسيلة للدعاية الدينية والسياسية قبل انتشار ذلك في الصحف ووسائل الإشهار الحديثة⁽²⁾.

ويبدو أن الوضعية الجديدة في طريقة تدبير الآلة في يد الخواص قد أتت بعض ثمارها رغم ارتفاع تكلفة الطبع، واستمرار الابتزاز الذي كان يمارسه المخزن وحاشيته على الطابعين⁽³⁾، ومن ذلك فإن الذاكرة المغربية ظلت تربط اسم المطبعة الحجرية الفاسية، وأول مصحف مغربي طبع فيها على الحجر باسم الطيب الأزرق الفاسي، ولم تقرنهما لا بمشغلها السابق محمد القباني المصري، ولا باسم المخزن. ولعل هذا النشاط والفاعلية الجديدة ما تسبب في دفع هذا الأخير مرة أخرى إلى استرجاعها على عهد السلطان المولى عبد الحفيظ، الذي سعى إلى تأميم العمل

(1) تعني لفظة التقريظ توجيه المديح والإطراء بطريقة كتابية أو شفوية، وقد يكون ذلك نثرا أو شعرا، ويكون هدف المقرظ تمجيد المؤلفين ومدحهم عند إتمام أعمالهم. فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 191.

(2) نفسه، ص 192.

(3) نذكر بهذا الصدد أن ناظر جامع القرويين الذي كان يحفظ أحجار المطبعة خلال سنة 1872م، كان يتلکأ في تسليمها للطيب الأزرق ومسامته في زيادة نصيب المخزن من عدد النسخ المطبوعة. محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، 300/1.

الطباعي في المغرب، وفرض رقابة تامة لأهداف عديدة تداخل فيها السياسي بالاقتصادي.

وإذا كانت الوضعية السياسية الحرجة التي يمر بها المغرب لهذا العهد قد فتحت المجال أمام إدخال المخزن والخواص على السواء للمطابع ذات الحروف المتحركة، والتي بلغت أربع أو خمس آلات طباعة في فاس وطنجة⁽¹⁾، والتي استعملت في طبع الكتب والجرائد في كلا المدينتين. إلا أن الضغط الاستعماري لم يمهل المغاربة من جني ثمرات هذه المطابع، وذلك بإعلان فرض الحماية سنة 1330هـ / 1912م، ولتلبية متطلبات المناهج التعليمية المرتبطة بالمرحلة الجديدة استخدم المستعمر آلات طبع حديثة.

وعلى الرغم من ذلك فقد استمرت المطابع الحجرية في أداء عملها، واستماتة عمالها في مواجهة التحديات التي كانت تفرضها الظرفية الجديدة، واستغلالها في طبع المنشورات المناوئة للسياسية الاستعمارية، مما دفع إلى الاعتقاد بانزعاج سلطات الحماية التي بادرت إلى إتلافها بالحرق في حدود أواسط الأربعينات من القرن الماضي⁽²⁾، إلا أن الواقع يؤكد على أن ظهور الطباعة ذات الحروف المتحركة أسهم بشكل مباشر في تراجع الإقبال على منتج الطباعة الحجرية، ومن ثم تدهورت أوضاع المشتغلين بها.

ولعل هذه الكبوات التي سقطت فيها المطبعة الحجرية بالمغرب بفعل التحولات المحيطة الداخلية والخارجية، قد ساعدت على استمرار كثير من النساخ ينسخون الكتب حتى بداية القرن العشرين الذي أصبحت فيه الصدارة للطباعة السلكية ذات الحروف المتحركة.

(1) فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 169.

(2) محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب، 316/1.

وإذا كان ظهور الطباعة لم يؤثر بشكل كبير في نوعية الأسر التي هيمنت على صناعة الكتاب المخطوط، فقد واكبه خفوت في حدة الفوارق الاجتماعية التي كانت تفرض نفسها على الوراقين، إذ كان الموقع الاجتماعي والاقتصادي للزبون محددا لمستوى جودة الكتاب المخطوط نسخا، وتصحيحا، وتجليدا، وتزييفا. في المقابل فقد وحدت المطبعة مستوى المنتج المعروض، استجابة لحاجيات القراء، دون مراعاة لتباين مستويات الانتماء الاجتماعي والاقتصادي للزبون.

وكان من دواعي الإحساس باشتداد المنافسة بين النسخ اليدوي والطبع الآلي، أن برزت نزعة المعاناة بالخط، وظهرت لهذا العهد مصنفات دعمت هذا الاتجاه، مما انعكس إيجابا على ممتهنيها باتساع دائرة الإقبال على النسخ اليدوي، لجودة منتوجه ورخص ثمنه، مستفيدا من غياب أي مشروع فكري ثقافي للمخزن المغربي يمكن أن يكون حضور المطبعة فيه فاعلا، إلا أن ترجمة ذلك في الواقع تمثل في حالة الاستقرار التي عرفتها المطبعة الحجرية بانتقال ملكيتها بين المخزن والخواص، قبل تعدد أنواع أخرى من المطابع التي دخلت عصر جديد من المنافسة بنسخ الجرائد ومختلف أنواع المعرفة. ولا شك أن مصادرة ورشات المطابع خلال العهد الحفيظي قد عرض عمالها والمشتغلين بها حالة غير مستقرة رغم قوة نفوذ بعضهم؛ يذكر فوزي عبد الرزاق أنه سيغيب ذكر أسماء الكثير من عمال المطبعة الحجرية بما فيهم اسم العربي الأزرق بصفة نهائية ابتداء من 1332هـ / 1914م⁽¹⁾.

وما من شك أن اختيار المغاربة للمطبعة الحجرية انطوى على أهداف ارتبطت باحتفاظها بسمات ومميزات الكتاب المخطوط الذي ألفه القراء، مع ملائمتها من حيث التقنية لطبيعة الكتاب العربي المخطوط، ولتمكنها من الحفاظ على الطابع المحلي

(1) مملكة الكتاب، ص 174.

المميز للخط المغربي التقليدي⁽¹⁾، ولأنها سمحت للوراقين وخصوصا النساخين منهم بالاستمرار بالمساهمة في نسخ الكتاب وتصحيحه.

عموما فإذا كان عمال المطابع قد حظوا بنوع من الاهتمام المخزني ساعدهم على تحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، فإن أوضاع الوراقين تباينت بين المشتغلين في دواوين النسخ السلطانية وبين الوراقين في الأسواق الذين خضعوا لمراقبة صارمة من قبل المخزن عن طريق محتسبي الأسواق، فضلا عن تدبب أسعار المواد الأولية كالورق، مما دفع بعضهم إلى الاشتغال كأجراء عند العلماء والأعيان.

وعلى عكس الاحتكار الواضح للذكور في العمل المطبعي، إلا أن اقتحام المرأة للعمل في الوراقة شيء لا تخطئه العين، فقد ساهمن بأدوار ريادية خاصة في مجال النسخ. بل لقد توارث كثير من الأسر هذه الحرفة، وأصبحت موردها الأساس الذي تتعيش منه، وساهم جل عناصرها بما فيهم المرأة في إتقان الحرفة وتطويرها. ونظرا لتكلفة الكتاب المالية ورمزيته الاجتماعية، فقد خلف لهذا العهد آثار ذهنية ونفسية عميقة في المجتمع المغربي حتى إن الأسرة الكتانية بفاس كانوا يقبلون الحصول على الكتب صداقا لزواج بناتهم⁽²⁾.

خلاصة القول فإن التحولات التي مر بها المجتمع المغربي لهذه الفترة، أسهمت في المزاجية بين تنشيط حركة الوراقة التي تمكنت من تلبية حاجات كثير من الفئات الاجتماعية من مصادر القراءة، وتجاوزت بذلك الحرمان الذي فرضته سلطة المخزن بمواقفها المتصلبة ضد تطور العمل المطبعي، نظرا للتصور الذي تشكل لدى المخزن المغربي حيال المطبعة، ليس فقط على أنها مجرد آلة لنشر المعرفة بين عموم القراء فحسب، بل وضعها ضمن استراتيجيته الخاصة التي تفرض نموذجه في التفكير عبر التحكم في توجيه سوق القراءة.

(1) فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب، ص 140.

(2) يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، 1980م، 11/2.

المصادر والمراجع

- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن أبي بكر الحضرمي، المقدمة، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، الطبعة الثانية، 1416هـ / 1996م.
- ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار مدينة مكناس، المطبعة الوطنية، الرباط 1347هـ / 1929م.
- ابن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1356هـ / 1937م.
- ابن عبد الرؤوف: رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م.
- أبو العباس أحمد بن المامون البلغيتي، الابتهاج بنور السراج، مطبعة محمد أفندي مصطفى، القاهرة.
- أحمد الصديقي، الكتاب بالمغرب والأندلس، إسهام في دراسة انعكاسات ثقافة الكتاب على المجتمع، من القرن 6هـ / 12م إلى القرن 8هـ / 14م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، الموسم الجامعي (2010-2011م) (مرقونة).
- أحمد بن محمد الرفاعي، حلية الكتاب ومنية الطلاب، مخطوط ضمن مجموع يضم 175 ورقة، قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، رقم 5308 ف 1044.
- أحمد شوقي بنين، المخطوط وعلم المخطوطات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 33، مطبعة فضالة- المحمدية، الطبعة الأولى، 1994.

- إدريس بن إدريس العمراوي، تحفة الملك العزيز بمملكة باريز، طبعة حجرية، فاس، 1892م.
- الطيب بليمي، بيان النفقات التي صرفت على المطبعة الملكية، الوثائق، إصدار مديرية الوثائق الملكية، المطبعة الملكية، الرباط، 1976م.
- العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكز وأغامت من الأعلام، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1413هـ / 1993م.
- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1401هـ / 1981م.
- رمضان ششن، نظرة عامة على الكتاب والمكتبات والوراقين في التاريخ الإسلامي، مجلة التاريخ العربي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، عدد 32، خريف 1425هـ / 2004م.
- شعبان عبد العزيز خليفة: الكتب والمكتبات في العصور الوسطى، مجموعة الببليوغرافيا التاريخية الدار المصرية، اللبنانية، الطبعة الأولى، 1418هـ / 1997م.
- عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة، المطبعة الوطنية، الرباط، 1350هـ / 1932م.
- عبد الرحمن ابن زيدان، النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية، مخطوط بالخزانة الحسنية، رقم 1178، عدد أوراقه 123.
- عبد الرحمن بن زيدان، العز والصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية، الرباط، 1381هـ / 1961م.
- عبد الله فكري، الآثار الفكرية، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، 1897م.

- علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، الطبعة الثانية، 1411هـ / 1991م.
- علي المحمدي، النسق المخزني ومسألة الاستمرار التقليد والتجديد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 42، 2010م.
- فوزي عبد الرزاق، المطبوعات الحجرية في المغرب، فهرس مع مقدمة تاريخية، مطبعة المعارف الجديدة، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989.
- فوزي عبد الرزاق، مملكة الكتاب تاريخ الطباعة في المغرب 1865 - 1912، تعريب خالد بن الصغير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 3، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1996.
- كناشة محمد بن علي الدكالي السلوي، الخزانة العامة بالرباط، رقم د4257.
- لوسيان فافر وهنري جان مارتان، ظهور الكتاب، ترجمة محمد سميح السيد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977.
- ليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، الترجمة العربية، دار المغرب، الرباط، 1397هـ / 1977م.
- محمد الصفار، صدفة اللقاء مع الجديد، رحلة الصفار إلى فرنسا (1845-1846م)، تعريب خالد بن الصغير، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.
- محمد المختار السوسي، خلال جزولة، المطبعة المهدية، تطوان، المغرب
- محمد المفضل غريط، فواصل الجمان في أبناء وزراء وكتاب الزمان، المطبعة الجديدة، فاس، 1928-1929م.
- محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 2، الطبعة الأولى، 1991.

- محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة الأمنية، الرباط الطبعة الأولى، 1392هـ / 1973م.
- محمد بن علي دنية، مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط، مطابع الإيتقان، الرباط، 1986م.
- محمد داود، تاريخ تطوان، معهد مولاي الحسن، تطوان، المغرب، 1379هـ / 1959م.
- محمد عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والاثبات، ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات، المطبعة الجديدة، فاس، 1928م.
- مصطفى بن عمر المسلوقي، القاضي الطيب بن محمد التملي الروداني ودخول المطبعة إلى المغرب، دراسة ضمن مجلة دراسات التي تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، عدد خاص سوس والصحراء، عدد 16 سنة 2013.
- نعيمة هراج التوزاني، الأبناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن (1873-1894م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1979م.
- يوسف الكتاني، مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، 1980م.
- Germain Ayache, L'Apparition de l'Imprimerie au Maroc, Hesperis- Tamuda, 1964, vol 5 .

الْمَنْهَجُ الْعِلْمِيُّ فِي صِياغَةِ مُقَدِّمَاتِ تَحْقِيقِ الْمَخْطُوطِ الْعَرَبِيِّ

شريف علي الأنصاري

باحث بمركز المخطوطات - مكتبة الإسكندرية

مقدمة

تعد المخطوطات هي الركيزة الأولى التي يبنى عليها التراث العربي الإسلامي، خاصة المدون منه، حقيقة لقد ظلت المخطوطات تعاني إهمالاً شديداً، سواءً في طريقة حفظها أو التعامل معها، أو في طريقة الاستفادة منها فترات طويلة من الزمن، إلا أنها شهدت في الأعوام القليلة الماضية بعض التغيرات؛ حيث شهد التراث العربي المخطوط في الآونة الأخيرة اهتماماً، سواء من ناحية الفهرسة أو الترميم أو التحقيق إلى غير ذلك.

لكن اختلف الباحثون في الخطوات المهمة التي يجب أن يسيروا عليها في منهج تحقيقاتهم للمخطوطات، ومن ثم وجب عليّ التوضيح والتأكيد على هذه الخطوات وتوحيدها، في إلماحة سريعة من خلال هذا البحث، وذلك من خلال واقع تجربتي الشخصية في تحقيق المخطوطات العربية، وهناك عدة أجزاء تتضمن التحقيق دائماً؛ وهي:

(أولاً) مقدمات التحقيق (أو دراسة ما قبل النص).

(ثانياً) تحقيق نص المخطوط.

(ثالثاً) الكشافات.

(رابعاً) الإخراج الطباعي للنص المحقق.

وسوف نفرّد هذا البحث للحديث عن النقطة الأولى وهي مقدمات التحقيق، أملين أن نتناول الأجزاء الباقية في أبحاث علمية أخرى، إن كان في العمر بقية، إن شاء الله.

قبل الحديث عن المنهج العلمي في صياغة مقدمات التحقيق، هناك عدة ملامح يجب أن يلم بها الباحث في مجال التراث والمخطوطات عامة، ومحقق المخطوطات على وجه خاص منها:

(أولاً) معنى التحقيق:

لفظة التحقيق وردت مصدرًا من الفعل «حقق يحقق تحقيقاً» وأصل مادته الفعل المضعف العين (حقّ)، ومنه تنبثق عدة معانٍ تدور حول؛ إحكام الشيء وصحته، ومنها ثوب محقق إذا كان محكم النسج⁽¹⁾، وأورد عبد السلام هارون تعريفاً للتحقيق يعد جامعاً مانعاً ذكر فيه:

«أن يؤدي الكتاب أداءً صادقاً كما وضعه مؤلفه كمّاً وكيفاً بقدر الإمكان، فليس معنى تحقيق الكتاب أن نلتمس للأسلوب النازل أسلوباً هو أعلى منه، أو نُحلّ كلمة صحيحة محل أخرى صحيحة بدعوى أن أولاهما أولى بمكانها، أو أجمل، أو أوفق، أو ينسب صاحب الكتاب نصّاً من النصوص إلى قائل وهو مخطئ في هذه النسبة فيبدل المحقق ذلك الخطأ ويحل محله الصواب، أو أن يخطئ في عبارة خطأ نحويّاً دقيقاً فيصحح خطأه في ذلك، أو أن يوجز عباراته إيجازاً مخلاً فيبسط المحقق عبارته بما

(1) انظر؛ تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيان، مكتبة الملك

فهد الوطنية، الرياض، 1415هـ = 1994م، ص 35. ولمزيد من المعلومات راجع:

لسان العرب، ابن منظور، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ط3، بيروت - لبنان، مادة حقّ، ج3، ص256.

يدفع الإخلال، أو أن يخطئ المؤلف في ذكر علم من الأعلام فيأتي به المحقق على صوابه... ليس تحقيق المتن تحسيناً أو تصحيحاً، وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ، فإن متن الكتاب حكم على المؤلف، وحكم على عصره وبيئته، وهي اعتبارات تاريخية لها حرمتها، كما أن ذلك الضرب من التصرف عدوان على حق المؤلف الذي له وحده حق التبديل والتغيير»⁽¹⁾.

(ثانياً) اختيار المخطوط:

- (1) أن يكون المخطوط ذا قيمة، ولم يسبق نشره، ويجب إضافته للمكتبة.
- (2) أن يقدم المخطوط إضافة جديدة للمكتبة العربية، كأن يتضمن فكرة أو أفكاراً جديدة لم يسبق أن تناولها أو ألمح إليها مؤلف من قبل.
- (3) إذا طُبِعَ المخطوط من قبل طباعة سيئة.
- (4) أن يكون هذا النص نشر نشرة علمية، ولكن ظهرت له مخطوطات جديدة، لم يعتمد عليها محقق النص من قبل.
- (5) إعادة بناء النصوص الضائعة من نصوص قديمة؛ مثل كتاب تنقيح المناظر لكمال الدين الفارسي، فكتاب المناظر لابن الهيثم مفقود إلا أنه يمكن استخراج نص عبارات كتاب المناظر من خلال شرح كمال الدين الفارسي، حيث إنه كان يورد نص كلام ابن الهيثم ثم يشرع في إيراد الشرح عليه.
- (6) أن يتضمن المخطوط مصطلحات علمية تساعد على فهم معانٍ غامضة في التراث العربي؛ مثل كتاب التعريفات للسيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي الجرجاني المتوفى 816 هجرية، وكتاب مفاتيح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد الخوارزمي السكاكي المتوفى 626 هجرية، وكتاب التنوير

(1) تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، مكتبة السنة، ط5، القاهرة، 1410هـ، ص 46، 47.

في الاصطلاحات الطبية لأبي منصور الحسن بن نوح القمري كان حيًا قبل سنة 428 هجرية، وغيرها كثير من الكتب التراثية الضرورية في فهم المصطلحات التراثية وسبر أغوار التراث العربي.

(ثالثًا) سبل التأكد من طباعتها:

قبل تحقيق المخطوطة على الباحث التأكد من أنها غير محققة، أو يذكر الأسباب الدافعة لإعادة التحقيق مرة أخرى، وهناك بعض المراجع التي يمكن من خلالها معرفة ما إذا كانت المخطوطة مطبوعة أم ما زالت مخطوطة، ومنها على سبيل المثال:

(1) كتاب الأعلام، لخير الدين الزركلي.

(2) كتاب اكتفاء القنوع بما هو مطبوع.

(رابعًا) كيفية جمع النسخ المعتمدة للتحقيق:

تبدأ باختيار المخطوط الذي يراد تحقيقه، ثم يشرع المحقق بعد ذلك في جمع النسخ، وهنا لا بد من الاستعانة بما يلي:

(1) الفهارس المطبوعة لكثير من المكتبات، والفهارس الداخلية المعدة للاستعمال داخل المكتبات.

(2) استشارة أهل الخبرة.

(3) الاطلاع على بعض الكتب المعنية برصد ما طبع من التراث مثل:

أ- معجم المطبوعات العربية والمعرية، لسركيس.

ب- معجم المخطوطات، لصالح الدين المنجد.

ج- ذخائر التراث العربي والإسلامي، لعبد الجبار عبد الرحمن.

د- تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان.

هـ- تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين.

ي- الأعلام، لخير الدين الزركلي.

ز- معجم المؤلفين، لرضا كحالة.

ح- قوائم دور النشر والمكتبات التجارية الكبرى.

ط- المجلات والنشرات العلمية الصادرة لبعض الجهات العلمية المعنية بالمخطوطات، والتي تتضمن أخبارًا لما حقق ونشر من التراث.

(4) شبكة المعلومات الدولية.

(5) المكتبات الخاصة لبعض المعنيين والمهتمين بالتراث، فقد وجد في مثل هذه المكتبات الخاصة بعض المخطوطات من النوادر؛ مثال ذلك تاريخ المدينة، لابن شبة «وجدت في مكتبة رباط الشيخ مظهر بالمدينة المنورة».

(خامسًا) منازل النسخ:

هناك العديد من المعايير التي تتفاضل بها نسخة عن نسخة عند اختيارها للتحقيق والدراسة، ومن هذه المعايير:

أولًا: النسخة التي بخط مؤلفها، وهي النسخة الأم أو الأصل.

ثانيًا: النسخة التي أملاها المؤلف على أحد تلاميذه، وقرئت عليه.

ثالثًا: النسخة التي قرأها المؤلف بنفسه، وكتب عليها بخط يده ما يثبت هذه القراءة.

رابعًا: النسخة التي قرئت على المؤلف، وكتب عليها بخط يده ما يثبت سماعه لها.

خامسًا: النسخة المنقولة عن نسخة المؤلف التي بخط يده.

سادسًا: النسخة التي قوبلت وعورضت على نسخة المؤلف.

سابعًا: النسخة التي كتبها في عصر المؤلف، أو قريبًا منه علماء مشهورون بسعة علمهم وضبطهم، أو قابلها مع نسخة أخرى موثقة أحدهم، ولهذه النسخة قيمة وأهمية يؤكدها ما جاء عن الجاحظ من أنه كان قد أهدى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم نسخة من كتاب سيبويه، وأعلم بإحضارها بعض صحبه قبل أن يأتي بها في مجلسه، فقال له ابن الزيات: أو ظننت أن خزائننا خالية من هذا الكتاب؟! فقال الجاحظ: ما ظننت ذاك، ولكنها بخط الفراء، ومقابلة الكسائي، وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ. فقال له ابن الزيات: هذه أجل نسخة توجد وأغربها، فأحضرها إليه فسرّ بها ووقعت منه أجمل موقع.

ثامنًا: النسخة المكتوبة في عصر المؤلف، ووقف عليها بعض العلماء المشهود لهم بسعة العلم، ولهم عليها سماعات مثبتة بخطوطهم.

تاسعًا: النسخة المكتوبة في زمن قريب من زمن المؤلف، وعليها شيء من السماعات لبعض العلماء المرموقين.

عاشرًا: النسخة المكتوبة في عصر المؤلف، وليس عليها سماعات.

الحادي عشر: النسخة المكتوبة بعد عصر المؤلف وليس عليها سماعات⁽¹⁾.

الثاني عشر: وقد نجد نسخًا أخرى نسخت بعد عصر المؤلف، وفي هذه النسخ يفضل الأقدم على المتأخر، ويفضل التي كتبها عالم أو قرئت على عالم.

(1) انظر؛ تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، مرجع سابق، ص 122، 123.

كلما بعد تاريخ نسخ المخطوط عن زمن المؤلف صار مليء بالأخطاء، وخير دليل على ذلك مقولة الخليل بن أحمد الفراهيدي (100-170هـ) / (718-786م): «إذا نسخ الكتاب ثم نسخ ثم نسخ صار أعجمياً».

ما عدد النسخ التي يمكن أن تعتمد للتحقيق؟

يمكن الاعتماد على نسختين على الأقل وخمس نسخ على الأكثر، وقد تشمل عشر نسخ إذا لم تتوافر فيها الشروط.

(سادساً) دراسة القراءات والسماعات:

القِرَاءَةُ: هي أن يقرأ التلميذ على الشيخ من كتاب والشيخ منصت يقارن ما يلقى بما فيه نسخته أو بما وعته حافظته. ويقدم لهذا بعبارة «قرأت على فلان»⁽¹⁾، والسَّمَاعُ: هو أحد طرق النقل وواحد من وجوه الأخذ عن الشيخ⁽²⁾، وهي تأتي على ثلاثة أشكال وهي:

(أ) إقرار أحد المصنفين بخطه يفيد بأن طالباً سمع عليه كتابه.

(ب) إقرار أحد الطلاب سماع كتاب على مصنفه.

(ج) إخبار بالسماع على شيخ غير المصنف.

بعد أن تحدثنا عن بعض الأمور المهمة التي ينبغي على المحقق أن يلم بها، نشرع الآن في الحديث عن الموضوع الأساسي المتعلق بالبحث وهو: المنهج العلمي في صياغة مقدمات تحقيق المخطوط العربي.

(1) معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديولوجي)، د. أحمد شوقي بنين ومصطفى طوبي، الخزنة الحسينية، ط3، الرباط، 2005م، ص 271.

(2) المرجع السابق، ص 203.

مرحلة ما قبل تحقيق وتوثيق النص

(أولاً) المقدمة:

يبدأ الباحث بمقدمة يعرض فيها أهمية المخطوط موضع الدراسة والتحقيق، والمنهج الذي عول عليه في الدراسة؛ وهو المنهج التاريخي الاستردادي. هذا بالإضافة إلى أي معلومات أخرى أراد المحقق إضافتها لأهميتها، مع العلم أنه لا بد أن تتناسب المقدمة مع حجم المخطوط المحقق.

(ثانياً) التعريف بالمؤلف:

على المحقق أن يذكر كل ما يتعلق بترجمة المؤلف وكتبه، ونوجز ترجمته فيما يلي:

(أ) اسم المؤلف صاحب المخطوطة كاملاً، وكنيته؛ وتوضيح ما إذا كانت كنيته أصلية عنه أم مجازية، ولقبه، ونسبته، وتاريخ مولده ووفاته بالتاريخ الهجري أولاً ثم الميلادي.

(ب) نشأته وأساتذته وشيوخه: تتحكم العوامل الثلاثة بشكل كبير في تكوين العالم؛ وذلك لأن كل شخص نتيجة طبيعية للبيئة التي ولد فيها، وكذلك فهو نتاج طبيعي لمن تعلم على أيديهم، فهو إما تأثر بهم واقتدى بأرائهم أو تعلم عليهم وخالفهم في الرأي لعدم اقتناعه ببعض آرائهم، فإذا أردت أن تعلم وتفهم عالماً ما فعليك بمعرفة أساتذته وشيوخه ممن تأثر بهم.

(ج) تلامذته ومريدوه: لا يقل هذا المعيار عن سابقه في الأهمية؛ فتلاميذ العالم ومريدوه هم امتداد طبيعي لهذا العالم، وكذلك إذا أردت أن تفهم عالماً ما فعليك بمعرفة تلامذته ومريديه ممن أثر فيهم، هذا بالإضافة إلى دراسة مؤلفاته التي ألفها،

ومكتبته إن أمكن. ويمكن للمحقق لتوضيح دور تلامذته ومريديه إيراد قائمة بأسماء تلامذته؛ وذلك تأكيداً على كثرتهم ومنزلتهم، وذكر معيار كثافة الاستشهاد؛ أي عدد الاستشهادات التي أوردها تلامذته نقلاً عنه في مؤلفاتهم.

(د) أقوال العلماء فيه: ألسنة الخلق هي شهود الحق؛ أقوال العلماء المعاصرين للعالم شهادة صدق في حقه خاصة لو كان هؤلاء العلماء عدولاً في أقوالهم. فلا بد من ذكر أقوالهم ودراساتها.

(هـ) مؤلفاته وإنتاجه العلمي: يذكر المحقق مؤلفات العالم صاحب المخطوط، وأماكن وجودها، وأرقام حفظها في المكتبات إن أمكن، وما حقق منها ويذكر بيانات نشرها، ويذكر منها الذي ما زال مخطوطاً لم يحقق بعد.

(و) الحياة السياسية في عصره والبيئة العلمية المحيطة: تتدخل السياسة، شئنا أم أبينا، في جميع نواحي الحياة سواء من قريب أم بعيد، ومن ثم وجب علينا عرض جوانب الحياة السياسية، ولكن من خلال علاقة العالم بالحاكم، إن وجدت، وليس عرض سيرة هذا الحاكم أو ذلك على اعتبار أنه كان معاصراً للعالم فقط.

(ز) منزلة المؤلف في الفن: تتضح منزلة المؤلف في الفن الذي ألف فيه من خلال مؤلفاته هل كانت مؤلفاته أصولاً تم تناولها المؤلفين التالين عليه بالشرح والتوضيح؟! أم كانت مؤلفاته مجرد تناول بالشرح لبعض المؤلفات الأخرى السابقة عليه.

- الترتيب النسبي لمصادر الترجمة للمؤلف:

هناك بعض المصادر والمراجع تعلقو مرتبتها على بعض، يجب أن يلتفت إليها المحقق، وهي بالترتيب كما يلي:

(1) أعلاها كتب المؤلف نفسه المترجم فيها عن نفسه.

(2) ما كتبه تلاميذه عنه.

(3) من كان في عصر المؤلف أو قريب من عصره، ويمتد عصر المؤلف من عشر سنوات إلى خمسة عشر سنة بعد وفاة المؤلف.

وآثرت أن أذكر ذلك للمحقق؛ لأن هناك الكثير من مبتدئي المحققين يعتمدون على إيراد الترجمة للعالم من معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مكتفين بذلك عن إيراد ترجمات كتبها المؤلف عن نفسه في بعض الأبحاث الخاصة به.

(ثالثاً) تعريف بالكتاب المخطوط وأهميته، صحة نسبته لمؤلفه، وعلاقة الكتاب بكتب أخرى للمؤلف:

يوضح المحقق علاقة النص المحقق بالمؤلفات الأخرى للمؤلف، هل هي شرح لأحدها أم مختصراً لها؟ أم هو مؤلف مستقل بذات عن المؤلفات الأخرى؟
(أ) منهج الكتاب:

المنهج المتبع في العلوم المختلفة:

تعني لفظة منهج في اللغة الطريق الواضح الذي سلكه المرء للوصول إلى حقيقة ما، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾⁽¹⁾. ظهر المنهج في مؤلفات العلماء العرب والمسلمين في العديد من العلوم ومنها؛ في علم الطب نجد أبا بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى 311 هـ / 923 م⁽²⁾ في كتابه الحاوي في الطب يبدأ بذكر الأمراض التي تعرض للإنسان من الرأس إلى القدم على الترتيب، ونجد ياقوت الحموي المتوفى 626 هـ / 1229 م في بداية كتابه معجم

(1) سورة المائدة: جزء من الآية 48.

(2) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، 1414 هـ / 1993 م، ج3، ص 304.

البلدان يذكر: «واستقصيت لك الفوائد كلها أو كلها، وملكتك عفوا صفوا عقدها وحلها، حتى لقد ذكرت أشياء كثيرة تأبأها العقول، وتنفر عنها طباع من له محصول، لبعدها عن العادات المألوفة، وتنافرها عن المشاهدات المعروفة، وإن كان لا يستعظم شيء مع قدرة الخالق وحيل المخلوق، وأنا مرتاب بها، نافر عنها متبرئ إلى قارئها من صحتها؛ لأنني كتبها حرصاً على إحراز الفوائد، وطلباً لتحصيل القلائد منها والفرائد، فإن كانت حقاً فقد أخذنا منها بنصيب المصيب، وإن كانت باطلاً فلها في الحق شرك ونصيب؛ لأنني نقلتها كما وجدتها، فأنا صادق في إيرادها كما أوردتها؛ لتعرف ما قيل في ذلك حقاً كان أو باطلاً»⁽¹⁾. ونجد أيضاً قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الدين الشيرازي المتوفى 710هـ / 1311م⁽²⁾، له رسالة في علم الفلك بعنوان: «فعلت فلا تلم» ورد في مقدمتها:

«أما بعد حمد الله خالق الأفلاك ومديرها... فإن أحوج خلق الله إليه محمود بن مسعود... الشيرازي... يقول:... قد وقع إليّ كتاب من نوابغ الملوان... سماه: تبيان مقاصد التذكرة، سلب فيه كتاب التحفة الشاهية مجاهرة.. والعجب أنه سماه تبيان مقاصد التذكرة مع أنه لم يبين شيئاً من المقاصد المقصودة من التذكرة، بل بين شيئاً من المفاسد المتخيلة من التحفة... ويقال لمثل هذا الجاهل إذا كنت تجهل ما تنقله... فما الذي اضطرك إلى تكلف هذا الشرح... ولأن الناس في زماننا يقتصرون على جمع الكتب... دون معرفة ما فيها... وأخشى أن يجرى العادة في شرحه بمثل ذلك فينتشر شره... ولكن لئلا يظن بي ظان أي أحرص عليه تعصباً وحنقاً كما عمل هو بالتحفة، أردت أن ينسخ ذلك الكتاب من دستوره، ويجلد لأنفي بذلك عني الظنون...».

(1) معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت - لبنان، 1397هـ = 1977م، المجلد الأول، ص 12.

(2) معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج 3، ص 832.

ولاشتمال هذا الإملاء على كلمات فيها بعض الجفاء سميته «فعلت فلا تلم» أخذ الشيرازي يورد عبارات التحفة الشاهية، ويورد ما أورده المؤلف من شرح خطأ وما زعمه من ظنون ثم يورد الشرح الصحيح لألفاظ التحفة بطول تألفه للمخطوطة.

(ب) الغرض من تأليف الكتاب:

شرع المؤلفون في توضيح سبب تأليفه لمؤلفاتهم، وذلك واضح دائماً في مقدمات المخطوطات التي يؤلفونها، وتكون بعد كلمة (أما بعد).

(ج) بناؤه وترتيب مادته:

يذكر المحقق بناء الكتاب وترتيب مادته سواء من حيث عدد الأجزاء والأبواب والفصول، وإذا كان شرحاً لكتاب آخر فهل هو شرح بالمعنى أم شرح بالقول؟! إلى غير ذلك من التقسيمات والأساليب التي يستعملها المؤلف في ذلك المخطوط.

(د) شواهد وآراءه:

يذكر المحقق ما إذا كانت الشواهد التي يوردها المؤلف هي بالنص أم بالمعنى، وإذا كانت بالنص فعليه أن يورد مكانها في النص المنقول منه، كما يذكر إذا ما كانت آراؤه مطابقة أم مخالفة لآراء أستاذه وشيوخه.

(هـ) مصادر هذا الكتاب:

تتضمن مصادر الكتاب السماع والوجادة، ولكي نتبين ملامح كل منهما فعلينا أن نعرف معنى كل منهما؛ السماع: هو سماع الراوي من لفظ الشيخ، والشيخ من لفظ شيخه وهكذا⁽¹⁾. **الْوَجَادَةُ**: اسم، (في اصطلاح المحدثين): اسم لما أخذ من العلم من

(1) <http://www.almaany.com/ar/dict/ar>

صَحِيفَةٍ، من غير سماعٍ ولا إجازة ولا مُناولة، والجمع: وِجَاد: (الحديث) اسم لما أُخِذَ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مُناولة⁽¹⁾.

(رابعاً) تتبع سلسلة الشروح وأهمية الكتاب في عصره:

يوضح المحقق هل المخطوط نص مفرد، أم حظي باعتناء وشروح اللاحقين عليه من تلاميذ المؤلف والعلماء التالين عليه.

(خامساً) منهج المُحقِّق في التحقيق وهوامش التحقيق:

يوضح المحقق الخطوات التي سار عليها؛ ليحول النص المخطوط من صورته المخطوطة حتى أصبح كتاباً محققاً؛ مثل النسخ والمقابلة واستخراج الأعلام والمصطلحات وأسماء المدن، إلى غير ذلك من مشتملات التحقيق، وهل عول المحقق على طريقة التلفيق بين النسخ؟ أم اعتمد على نسخة واحدة بمثابة نسخة الأصل وقارن باقي النسخ عليها؟ كل هذه النقاط يجب أن يذكرها المحقق في المنهج. وسوف أورد نموذجاً لتوضيح هذه النقطة:

«اشتملت هوامش التحقيق على نتائج المقابلة بين النسخ المعتمدة في التحقيق، كما استخدم المُحقِّق في هوامش التحقيق عدة رموز سيوردها فيما بعد، وقد تحرى المُحقِّق الأمانة والصبر في مقابلته لهذا النص، ومنهج المقابلة هنا لم يعتمد على نسخة أصل يصحح عليها، بل اعتمد المُحقِّق على النسخ المعتمدة؛ ليخرج النص المحقق إلى النور في دقة بالغة، وأما ما اعتمد عليه المُحقِّق في النسخة (ي) من إيراده لنهايات الأوراق؛ فذلك لقدم هذه النسخة وشدة وضوحها، ونوجز الإضافات وهوامش التحقيق في تحقيق نص مخطوط (عنوان المخطوط)؛ فيما يلي:

(أولاً) نسخ المخطوطة ومقابلتها وإثبات الفروق بين النسخ في الهوامش.

(1)<http://www.almaany.com/ar/dict/ar>.

(ثانيًا) القيام بوضع علامات الترقيم، سواء كانت فواصل كتابية أو فاصلة وغيرها، مما تشتمل عليه علامات الترقيم، وتقسيم النص إلى فقرات؛ حتى يسهل دراستها وقراءتها كما هو متبع في قواعد الطباعة والنشر الحديثة، وكذلك استبدال الحروف القديمة المستخدمة في الترقيم بالأعداد المتعارف عليها حديثًا، وقد أشار المُحقِّقُ إليها كلٌّ في موضعه.

(ثالثًا) استبدال الياء بالهمزة واتباع قواعد الإملاء الحديثة في ذلك.

(رابعًا) إصلاح بعض الأخطاء التي ذكرها النساخ، وإضافة بعض الكلمات من المُحقِّقِ إذا لزم إصلاح المعنى أو العبارة، وقد كان ذلك في القليل من المواضع وقد أشرتُ إليها.

(خامسًا) إدراج العناوين الخاصة ببعض الفقرات والتي أهملها المؤلف في معظم الأحيان، وقد وضعتها بين قوسين معكوفين []، حتى أوضح أن هذه العناوين موضوعة من قِبَلِ المُحقِّقِ توضيحًا وتحديدًا للنص، وما عدا ذلك فقد أثبتناه كما في النسخ الخطية.

(سادسًا) تخريج الآيات بالعزو إلى اسم السورة ورقم الآية.

(سابعًا) تخريج الأحاديث من أمهات كتب السنة.

(ثامنًا) ترجمة الرجال والأعلام بالرجوع إلى كتب السير والتراجم، وقد لا أترجم لبعض الأعلام إما لشهرتهم، وإما لأنني لم أقف لهم على ترجمة.

(تاسعًا) وضع مقدمة تتناسب مع موضوع الكتاب محل التحقيق.

(عاشرًا) تجويد وضبط كثير من الكلمات والنسب.

(الحادي عشر) عمل ترجمة لمؤلف الكتاب تتضمن النقاط السابقة العرض.

(الثاني عشر) وضع المُحقِّق بعض التعليقات والشروح للمصطلحات والمفردات الواردة في النص والتي وجدتها ضرورية، وقد رجعتُ في شرح المفردات والمصطلحات إلى كثير من المصادر والمراجع، وقد ذكر المُحقِّق هذه المصادر والمراجع بتوثيقها كاملاً للمرة الأولى، ويكتفي بالإشارة إليها إذا وردت بعد ذلك في هوامش النص المحقق، ونكتفي هنا بالإشارة إلى أهمها مما كثر الاعتماد عليه في النص المحقق:

- (1) لسان العرب، لابن منظور المصري.
- (2) معجم الألفاظ الفارسية المعربة، للسيد أدي شير.
- (3) الحاوي في الطب، للرازي.
- (4) القانون في الطب، لابن سينا.
- (5) الجامع لمفردات الأغذية والأدوية، لابن البيطار.
- (6) تفسير كتاب دياسقوريدس، لابن البيطار.
- (7) المعتمد في الأدوية المفردة، للملك المظفر.
- (8) تذكرة أولي الألباب، لداود الأنطاكي.
- (9) الشامل في الصناعة الطبية، لعلاء الدين (ابن النفيس) القرشي.
- (10) كتاب الماء، الأزدي.
- (11) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده.
- (12) المنجد في اللغة، دار المشرق، بيروت.
- (13) التنوير في الاصطلاحات الطبية، أبو منصور الحسن بن نوح القمري.

حاول المُحقِّق في كثير من المصطلحات أن يورد اختصارًا للتعريف الذي ورد في مرجع أو أكثر بشكل لا يخل بالمعنى، فلقد امتدت تعريفات بعض المصطلحات إلى عدة صفحات فكان من الصعب بل من المستحيل إيرادها؛ حتى لا يخرج النص بهوامشه عن الحد الطبيعي، فإنَّ ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، فاكتفى المُحقِّق بإيراد تعريف موجز للمصطلح بقدر الإمكان بشكل لا يخل بالمعنى، وقد أشرتُ إلى ذلك في هوامش التحقيق إما باستخدام كلمة: بتصرف، أو إلخ، أو إحالة لمزيد من التفصيل، ويذكر اسم المرجع الآخر الذي ورد به المصطلح أيضًا؛ وذلك تمييزًا للفائدة، ومراعاة للأمانة وقواعد البحث العلمي.

(الثالث عشر) وضع الفهارس؛ اختتم المُحقِّق التحقيق بفهارس للنص المحقق وقد شملت: فهرسًا للآيات القرآنية، فهرسًا للأبيات الشعرية، فهرسًا للمصطلحات، فهرسًا للأعلام، فهرسًا للبلدان، فهرسًا للمؤلفات العلمية... إلخ، كما أورد المُحقِّق رقم الصفحة التي ورد بها التعريف بين قوسين () وذلك لتحديد الصفحة وتسهيلًا للقارئ، والتي غالبًا ما تكون في المرة الأولى لورود المصطلح في النص»⁽¹⁾.

(سادسًا) وصف للنسخ المعتمدة في التحقيق، والرموز المستخدمة:

(1) وصف النسخ الخطية:

في هذا الوصف يصيغ المحقق فقرة تتضمن البيانات التالية: حالة النسخة، رمز النسخة، مصدر النسخة المصورة، ورقمها، مكان أصل المخطوطة، ورقمها «إن أمكن»، اسم الناسخ، مكان النسخ، تاريخ النسخ، نوع الخط، عدد الأوراق والسطور، وعدد الكلمات في السطر التقريبي، مقاس المخطوطة الأصلية إذا ورد ببطاقة الفهرسة

(1) كفاية الأريب عن مشاورة الطبيب، سري الدين العلفي، دراسة وتحقيق د. شريف علي الأنصاري؛ دار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، 2019م، ص 28 وما بعدها.

في النسخة المصورة، ذكر ما إذا كانت النسخة مجددة أم لا، ذكر التملكات، الوقفيات، السماعات، الإجازات، وأورد الدكتور عبد الله عسيلان كلاماً شافياً أثرت أن أوردته لتمام الفائدة؛ فيذكر:

«ويقتضي الموقف هنا أن يشتمل الوصف على ما يأتي:

أ- ذكر مصدر النسخة بلداً، ومكتبة، أو شخصاً إذا كانت في حوزة أحد الأفراد، مع النص على الرقم الذي تحمله في مكان وجودها، وإعطاؤها رمزاً متفقاً عليه كي يعبر به عنها في أثناء عملية المقابلة والتحقيق.

ب- وصف الورقة الأولى بما فيها من عنوان الكتاب، واسم مؤلفه، وما حُليّت به من تمليكات وسماعات، وقرارات، وما يوجد عليها من اختام.

ج- عدد أوراق المخطوطة، ونوع الترقيم الموجود، وإذا لم يوجد يتم التنبيه على ذلك، وبيان ما إذا كانت ضمن مجموعة أم لا، مع الإشارة إلى ما قد يوجد من خلط في ترتيب الأوراق إن وجد، ثم قياس الصفحة طولاً وعرضاً، وإذا كانت النسخة التي بين يديك نسخة مصورة من المخطوط فيمكنك الرجوع لبطاقة الفهرسة أو فهرس المكتبة لتوضيح مقاس الصفحة، وذكر ما تشتمل عليه كل صفحة من سطور.

د- نوع الخط، وهل هو بقلم واحد أم مختلف، وهل ميزت العناوين بخط مغاير، ونوع المداد وألوانه، ونوع الورق (إن أمكن)، وجودة الخط من عدمها.

هـ- أبرز الظواهر الإملائية المتبعة في الرسم الذي جرت عليه المخطوطة وموقف المحقق منه.

و- المصطلحات الكتابية التي تظهر من خلال المخطوطة مثل التعقيبات والإحالات، والرموز، والمختصرات، وعلامات السقط، والتضبيب والتحشية.

ز- ما يوجد على النسخة من قراءات وسماع، أو ما يوحى بالمقابلة والتصحيح في الورقة الأولى، أو الأخيرة، أو في ثنايا الأوراق.

ح- أسلوب النسخة في الضبط بالشكل من حيث تشكيل النص بأكمله، أم اقتصار التشكيل على العناوين وبعض العناوين الملغزة، والتمام والصحة من عدمها.

ط- بيان ما يعتور النسخة من تصحيقات وتحريفات، أو السلامة من ذلك، ومن حيث تمامها، أو نقصها، وضوحها من عدمه.

ي- بيان ما قد يطرأ على النسخة من عوادي الزمن كالتآكل والخرم وآثار الأرضة والرطوبة، وعمليات الترميم، وبيان إذا ما كانت نسخة مجددة أم قديمة.

ك- النص على تاريخ النسخ إذا كان مصرحاً به في خاتمة النسخة، وكذلك طريقة كتابته إن كان ورد بحساب الجمل أو بطريقة ابن كمال باشا، أو الاجتهاد في الوصول إليه من خلال الخبرة والدراية بالخطوط القديمة، وأنواعها، وتقدير أزمانها، وأنواع الورق، والزمن الذي يقدر له، ومن خلال بعض التمليكات، والسماعات المؤرخة مما يؤدي إلى تحديد زمن تقريبي لتاريخ النسخ مع الانتباه للتاريخ المنصوص عليه من حيث مدى ملاءمته للخط والورق، وقدم النسخة من عدمه، حيث إن بعض النساخ المتأخرين قد ينقل النسخة بتاريخها المسطر عليها، وإذا ذكر الناسخ فلا بد من التعرف عليه، والترجمة له؛ لعله يكون واحداً من العلماء المذكورين بالعلم، والتبحر فيه، مما يزيد في أهمية المخطوطة وقيمتها.

ل- وضع نماذج مصورة من المخطوطات المعتمدة في التحقيق بعد وصفها، وتكون ممثلة لصفحة العنوان، وصفحة المقدمة، والخاتمة، وصور لبعض السماعات والقراءات إن وجدت، أو أية صفحة أخرى تحمل عنصراً مهما يدل على قيمة النسخة وأهميتها.

م- إيراد بعض السطور من المقدمة، والخاتمة»⁽¹⁾.

مثال على ذكر مقدمة وخاتمة المخطوطة، وخاتمة الناسخ.

النسخة ع:

هي نسخة مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، وهي محفوظة تحت رقم حفظ 441، وهي نسخة جيدة، كتبها إسماعيل بن علي بن علي السعدي الأزهرى الجيزاوي المالكي الصاوي بقلم معتاد في يوم الثلاثاء في عشرين شهر صفر الخير الذي هو من شهور 1275 هجرية، تضم النسخة 459 ورقة (الورقة صفحتان) من القطع المتوسط، مقاس الورقة 18×25 سم، على ما ذكر في بطاقة الفهرسة المختصرة في أول المخطوط، تحتوي كل صفحة على 23 سطرًا، ويحتوي كل سطر على ثلاثة عشر كلمة تقريبًا. بها آثار رطوبة، كتبت العناوين والفواصل بالمداد الأحمر.

أول المخطوط:

بسم الله الرحمن الرحيم... الحمد لله الذي بعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها... هذا كتاب أودعت فيه من الكلم النبوية الوفاء، ومن الحكم المصطفوية صنوفًا اقتصرت فيه على الأحاديث الوجيزة... وسميته: الجامع الصغير في حديث البشير النذير...

خاتمة المؤلف:

هذا آخر كتاب الجامع الصغير من حديث البشير النذير قال مؤلفه... فرغت من تأليفه يوم الاثنين 28 ربيع الأول سنة 907 هـ أحسن الله خاتمتنا... والحمد لله رب العالمين.

(1) انظر؛ تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، مرجع سابق، ص ص 242، 243.

خاتمة الناسخ:

وكان الفراغ من نسخه يوم الثلاثاء في عشرين شهر صفر الخير الذي هو من شهور سنة 1275 خمسة وسبعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية ... وذلك على يد أفقر العباد...

إسماعيل بن علي بن

الحاج علي السعدني

الأزهري الجيزاوي بلداً المالكي

مذهباً الصاوي طريقة...

آمين.

(2) رموز التحقيق:

بعد أن ينتهي المحقق من وصف النسخ الخطية التي اعتمد عليها في تحقيقه لنص المخطوط، عليه أن يذكر رموز التحقيق، وهي تشمل الرموز التي استخدمها المحقق في تحقيقه للنص فمثلاً؛ نجده رمز لإحدى النسخ الخطية برمز معين فيذكر الرمز، ويذكر اسم المكتبة التي صور منها نسخة المخطوطة، مثال:

ي: مكتبة مدرسة يحيى باشا الجليلي بالموصل، برقم 8.

س: مكتبة دير الإسكوريال، بمدريد بأسبانيا، برقم 891.

(): الأرقام والتعريفات الواردة في اختلاف النسخ.

[]: كلمة أو عبارة أو العناوين أو أرقام الأوراق الموضوعية من قِبَل المحقق.

- : كلمة أو عبارة ساقطة.

+ : كلمة أو عبارة زائدة في نسخة.

(سابعاً) ملاحظات التحقيق:

يضع المحقق الملاحظات التي يريد أن يوردها لقراء النص المحقق، والتي لاحظها أثناء تحقيقه للمخطوط؛ فمثلاً قد يجد أن إحدى النسخ مختلطة الأوراق، وقام المحقق بإعادة ترتيب الصفحات فعليه أن ينبه على ذلك. قد يجد المحقق العديد من الأمور المتشابهة بين بعض النسخ؛ ومن هذه الأمور المتشابهة الأخطاء، والزيادة والنقصان، والأماكن البيضاء في المتن، فهذا دليل على أن هذه المخطوطات نسخت من نسخة واحدة، ولهذا تجمع هذه المخطوطات المتشابهة في فئات، ويرمز لها برمز واحد على أنها مجموعة واحدة عند المقابلة بين النسخ.

(ثامناً) نماذج المخطوطات:

يضع المحقق نماذج للمخطوطات التي اعتمد عليها في تحقيقه للنص المحقق، حيث يضع صورة لصفحة الغلاف وصورة لبداية المخطوط وصورة لخاتمة المخطوط مع ذكر بيان ذلك أسفل كل صفحة؛ مثال:

الورقة الأولى من النسخة (ي) صفحة العنوان.

الورقة الثانية من النسخة (ي) بداية المخطوط.

الورقة الأخيرة من النسخة (ي) نهاية المخطوط.

الخاتمة:

في خاتمة هذا البحث أود التأكيد على عدة أمور تتعلق بموضوع البحث وأجزائها فيما يلي:

(1) تعد مقدمة التحقيق من الأمور المهمة؛ وذلك لأن شخصية المحقق وإمكاناته العلمية تظهر من خلالها، كما أن أي تقصير فيها يعد عوار بالتحقيق ومحقق النص.

(2) كثيراً ما اهتم المحقق بتحقيق المخطوط والكشافات، ولم يول مقدمة التحقيق (الدراسة) الجهد الكافي، مما جعل القارئ ينصرف بعد قراءة الدراسة دون أن يلقي نظرة واحدة على تحقيق النص أو الكشافات.

(3) على المحقق أن يعلم أن مقدمة التحقيق، والتي يتم صياغتها على النحو السابق، تكتب بعد الانتهاء من تحقيق النص كاملاً؛ وذلك حتى يلم المحقق بأسلوب المؤلف وبجميع النظريات العلمية والترجمات وغيرها مما ورد في النص المحقق. والله من وراء القصد



المراجع المستخدمة في البحث

- تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل؛ د. عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1415هـ = 1994م.
- تحقيق النصوص ونشرها؛ عبد السلام هارون، مكتبة السنة، ط5، القاهرة، 1410هـ.
- كفاية الأريب عن مشاورة الطبيب؛ سري الدين العلفي، دراسة وتحقيق د. شريف علي الأنصاري؛ دار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، 2019م.
- لسان العرب؛ ابن منظور، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ط3، بيروت - لبنان، ج3.

- معجم البلدان؛ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت - لبنان، 1397هـ=1977م، المجلد الأول.

- معجم المؤلفين؛ عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت - لبنان، 1414 هـ / 1993 م، ج 3.

- معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)؛ د. أحمد شوقي بنين ومصطفى طوبي، الخزانة الحسينية، ط 3، الرباط، 2005م.

- <http://www.almaany.com/ar/dict/ar>.

- <http://www.almaany.com/ar/dict/ar>.

التَّجْرِيد - أو عمل المُؤَلَّف الوَسِيط - ودوره في حفظ نصوص التراث العربي المخطوط

محمد بولعياض

أستاذ بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين

- سوس ماسة - الفرع الإقليمي طاطا

مقدمة

يتميز التراث العربي الإسلامي بغنى التأليف وتنوعه وكثرة أصنافه، يعرف ذلك كل خبير به متمرس بقضاياها، ويظهر جليا لكل مطالع لفهارس الكتب، والبليوغرافيات المختلفة، وما شابههما من المدونات التي تهتم بهذا الجانب مما تزخر به المكتبة التراثية؛ كالمعاجم، والأثبات، والمشيخات، والبرامج... وغير ذلك.

ومن مظاهر هذا الغنى توارد مُؤَلِّفَيْن أو عدد من المُؤَلِّفَيْن على مصنّف واحد فيما يمكن تصنيفه إلى أربعة ظواهر من التعاون على التأليف تضافرت مع سمة التأليف الفردي الغالبة على كتب التراث لإغناء المكتبة التراثية، والحفاظ على نصوصها، وهذه الظواهر هي:

■ ظاهرة المؤلف الثاني: والمراد بها أن يتولى مؤلّف إتمام ما بدأه مؤلّف قبله؛
إتماما من الداخل بأن يشكلا نصا واحدا، لا إتماما خارجيا حيث ينبنى الثاني على الأول

مع استقلال كل منهما؛ إذ مثل هذا كثير في التراث يتخذ صوراً عدة كالاستدراك والتهذيب، والتذييل ...، فالمراد الأول كإتمام جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) التفسير الذي بدأه الجلال المحلي (ت 864هـ) قبله فسمي «تفسير الجلالين»⁽¹⁾، وإتمام الحافظ مغلطاي (ت 762هـ) كتاب المزي (ت 742هـ) المسمى «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» بكتابه المسمى «إكمال تهذيب الكمال»؛ ففي كشف الظنون: «تهذيب الكمال للحافظ عبد الغني في أسماء الرجال» للحافظ جمال الدين يوسف بن الزكي المزي. قيل إنه لم يكتمل وأكمّله علاء الدين مغلطاي بن قليج»⁽²⁾. وكزيادات عبد الله بن أحمد بن حنبل على مسند والده، ألحقت بالمسند، وهي ليست من رواية أبيه.

■ ظاهرة التأليف الجماعي: وذلك أن تتظافر جهود عدد من المؤلفين، لإنتاج نص واحد يصح أن ينسب إليهم جميعاً؛ لا على سبيل الاستدراك ولا التذييل، لكن على سبيل الإتمام لنص غير تام، سواء أكانوا متعاصرين أم لا، لأن الاستدراك والتذييل يأتيان بعد تمام النص الأول وإنهائه من قبل مؤلفه.

وقد يكون التظافر ليس على صورة الإتمام إنما على صورة المشاركة والتعاون على إنتاج النص من بدايته إلى نهايته، ومثال الأول كتاب «المغرب في حلى المغرب» تظافرت جهود ستة من المؤلفين على إخراجهم، خمسة منهم من أسرة واحدة، وذلك عبر زمن مديد⁽³⁾، قال الدكتور كمال عرفات نبهان «وقد تداولوه بالتنقيح والتكميل

(1) انظر كشف الظنون 1/ 445، فمن أول التفسير إلى آخر سورة الإسراء. من تأليف جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي (ت 864هـ) ولما مات أتمه جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ).

(2) كشف الظنون 2/ 1510.

(3) انظر نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب 3/ 183 حيث =

واحدا بعد واحد وتقلب العنوان في عدة صور حتى استقر على العنوان المذكور سابقا، وقد امتزج جهدهم في التأليف في عمل واحد لا تنفصل فيه ذيول عن أصول»⁽¹⁾، ومنه أيضا مختصر خليل أشهر كتب المالكية بعد المدونة والموطأ، قال الشيخ عlish «قيل مكث المصنف في تأليف المختصر عشرين سنة وبيضه إلى النكاح، ووجد باقيه في أوراق مسودة فجمعه أصحابه، وألف بهرام باب المقاصة منه، وكمل الإقفهسي جملة يسيرة ترك المصنف لها بياضا»⁽²⁾.

ومثال النوع الثاني كتاب المدونة في الفقه المالكي التي تظافت على تأليفها جهود كل من أسد بن الفرات (ت213هـ) وسحنون بن سعيد التنوخي (ت240هـ) وشيخهما ابن القاسم (ت191هـ)؛ إذ الفكرة والخطوة الأولى لأسد بن الفرات في كتابه المعروف بالأسدية، وهي التي تطورت مع سحنون لتسمى المدونة وليندرس النص الأولي بعدها، وكل ذلك بإشراف الرجل الثاني في المذهب المالكي، وهو عبد الرحمن ابن القاسم⁽³⁾.

■ ظاهرة المؤلف البديل: وذلك بأن تكون المادة العلمية للنص من مؤلف، وصياغته وبناءه الشكلي من مؤلف آخر؛ فيسمى مؤلفا بديلا، أو تكون فكرة التأليف وتصوره الذهني من مؤلف ويكون الإنجاز الفعلي من قبل غيره ويسمى أيضا مؤلفا بديلا، فمن النوع الأول شرح الرسالة لعبد الرحمن بن عفان الجزولي (ت741هـ)

= قال: «فيكفي الأندلس في هذا الشأن تصنيف هذا الكتاب بين ستة أشخاص في 115 سنة آخرها سنة 645» والمؤلفون هم: أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الحجاري، وعبد الملك بن سعيد، وابناه أحمد بن عبد الملك، ومحمد بن عبد الملك، ثم موسى بن محمد، ثم علي بن موسى.

(1) عبقرية التأليف العربي ص: 374.

(2) مقدمة «منح الجليل في شرح مختصر خليل» 1/ 13.

(3) راجع تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي الصفحة 384 وما بعدها.

وتقييد تلميذه يوسف بن عمر الأنفاسي (ت 761هـ) عليها كذلك، لم يكتباهما لكن درّسا بهما؛ فتولى تلاميذ كل منهما جمع كلام الشيخ وكتابته بعد وفاته، نقل التنبكتي في ترجمة الأنفاسي قول الشيخ زروق «إن تقييده وتقييد الجزولي ومن في معناهما لا ينسب إليهم تأليف، وإنما هي تقايد بيد الطلبة زمن الإقراء»⁽¹⁾. ومن النوع الثاني بعض مؤلفات السلطان سيدي محمد بن عبد الله (ت 1204هـ)؛ قال الناصري - في خبر خروجه إلى الصويرة - «فأشخص معه جماعة من علماء العصر وأئمة؛ فكان يملئ عليهم الحديث النبوي، ويؤلفونه على مقتضى إشارته؛ منهم الفقيه العلامة المشارك أبو عبد الله محمد بن الإمام سيدي عبد الله الغربي الرباطي، والفقيه العلامة المحقق أبو عبد الله محمد المير السلاوي، والفقيه الدراكة أبو عبد الله محمد الكامل الرشدي، والفقيه العلامة أبو زيد عبد الرحمن أبو خريص. هؤلاء أهل مجلسه الذين كانوا يؤلفون له، ويسردون ويخوضون فيما يجمعه ويستخرجه من كتب الحديث التي جلبها من المشرق»⁽²⁾.

■ ظاهرة المؤلف الوسيط: والمراد به ما خرج عن الصور المذكورة أعلاه؛ إذ نَعَتْهُ بالمؤلف واقع على سبيل المجاز؛ فهو ليس مؤلفا للنص على الحقيقة، وغاية إسهامه أن يُخرج نصا لمؤلف قد أتم بناءه ليوصله إلى القارئ إنقاذاً له من الضياع، وقد يقدم له بمقدمة من إنشائه، وإن تصرف كان تصرفه طفيفاً؛ فهو وسيط بين المؤلف والقارئ، وربما لهذا الملحظ ذكر الفقيه المنوني عدداً ممن هذا عمله ضمن الوراقين في كتابه عن تاريخ الوراقة المغربية، ومع ذلك فعملهم لا يقل أهمية عن عمل المؤلف الأصلي، كما سيأتي بيانه.

(1) كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج 2/ 266.

(2) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى 3/ 54.

وتحت هذه الظاهرة يقع «التجريد» الذي هو موضوع هذه المقالة كما هو ظاهر من عناونها، والقصد إلى إبراز دور هذا النوع من المؤلفات في خدمة التراث المخطوط والحفاظ على نصوصه، مع التمهيد لذلك بما يجلي الغموض عن المفهوم نفسه ويبين المراد به.

أولاً: مفهوم التجريد:

جاء في «لسان العرب»: «جَرَدَ الشيءَ يَجْرُدُهُ جرداً وجَرَدَهُ: قَشَرَهُ... وكذلك جَرَدَهُ»⁽¹⁾ وفي الصحاح «وكل شيء قشرته عن شيء فقد جَرَدْتُهُ عنه. والمقشور مَجْرُودٌ. وما قُشِرَ عنه جُرَادَةٌ»⁽²⁾، والتجريد التعرية والتشذيب⁽³⁾، والرجل الأجرد من لا شعر على جسده، وتجردت السنبلة إذا خرجت من لفائفها⁽⁴⁾، وفي الجمهرة «وسمي الجراد جراداً لأنه يجرد الأرض فيأكل ما عليها»⁽⁵⁾.

وورد في صفته ﷺ «أنه كان أنور الْمُتَجَرَّد»⁽⁶⁾ قال صاحب النهاية: «أي ما جُرِّدَ عنه الثياب من جسده وكشف، يريد أنه كان مُشْرِقَ الجسد»⁽⁷⁾.

فدلالة الجرد والتجريد حسب هذه النقول كلها تفيد انتزاع شيء من شيء، وبدو ظاهر شيء بإزالة ما يستره، ومما هو قريب جداً من المعنى الاصطلاحي للتجريد

(1) لسان العرب 3/ 115 مادة: جرد.

(2) الصحاح 2/ 455 مادة: جرد.

(3) نفسه 2/ 456.

(4) العين 6/ 75 مادة: جرد.

(5) جمهرة اللغة 1/ 446 مادة: جرد.

(6) هو من لفظ حديث هند بن أبي هالة الطويل في وصف الرسول ﷺ، أخرجه الترمذي في الشمائل (ص: 34 برقم: 8) والبيهقي في دلائل النبوة (1/ 286 وغيرهما.

(7) النهاية في غريب الحديث 1/ 256.

- موضوع هذه المقالة - قول ابن مسعود رضي الله عنه «جردوا القرآن ولا تلبسوا به ما ليس منه»⁽¹⁾ قال الزمخشري: «قيل: أراد تجريده عن النقط والفواتح والعشور لئلا ينشأ نشء فيرى أنها من القرآن»⁽²⁾، وفي تاج العروس تعميم لهذا المعنى على كل كتاب، قال: «جَرَدَ الْكِتَابَ والمصحف تجريداً: لم يضبطه؛ أي عَرَّاه من الضبط والزيادات والفواتح»⁽³⁾.

والمقصود بالتجريد - بحسب مراد هذه المقالة به - أن يعمد الكاتب إلى الحاشية - أو التعليق أو التقرير، أو النكت - المثبتة على هامش المتن المحشى عليه فيستخرجها جامعا فيها بين نص الحاشية وأطراف الكلام المحشى عليه من المتن المذكور، أو إلى التقييد المثبت على كنانة عالم فيستخرجه ويفرده بتأليف يعزله عن بقية محتوياتها، وتسمى هذه العملية أيضا بالتخريج⁽⁴⁾، أو التفريد⁽⁵⁾، غير أن التفريد يستعمل فيما لا يدل على انتزاع شيء من شيء كتخصيص موضوع أو قضية علمية بتأليف مستقل بعد أن لم يكن، وهو معنى لا يؤديه التجريد، وأما التخريج فيستعمل استعمالا كثيرة بعضها بعيد عن هذا السياق، لذلك يرجح التجريد عليهما لأداء المعنى المذكور أعلاه، فكان اعتماده متعينا.

وهذا العمل - أقصد التجريد - وإن لم يكن تأليفا على الحقيقة لكنه أثبت تدخلا لشخص آخر غير صاحب الحاشية أو التقييد، ولذلك فهو تابع للنص الأول خادم له؛ إذ

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 9/ 353، وابن أبي شيبة في مصنفه 3/ 239، وغيرهما.

(2) الفائق في غريب الحديث 1/ 205.

(3) تاج العروس 7/ 489 مادة: جرد.

(4) انظر تاريخ الوراقة المغربية ص: 108.

(5) وهو ما استعمله الإمام السخاوي أكثر من مرة في كتابه الضوء اللامع؛ منها قوله حين عدد كتب جلال الدين البلقيني «وحواشي على الروضة أفردها أخوه في مجلدين» انظر الضوء اللامع 4/ 113.

هو الذي يجعله تصنيفا مستقلا، ويميل هذا المقال إلى نعت مُنتِجه بالمؤلف الوسيط لهذا الاعتبار، وقد استعمل التجريد في تراثنا استعمالات أخرى يحسن أن نستحضرها بيانا لها ولنميز عنها المعنى الذي قدمناه، والمقصود أصالة في هذه الصفحات، فمن تلك الإطلاقات:

• التجريد بمعنى الجزء المستل من كتاب:

أي استخراج كتاب من كتاب باقتطاع جزء منه⁽¹⁾ ونسبته إلى مؤلف الأصل، وهو تصرف قليل في التراث، إذ مضاره أكثر من فوائده، بل يمكن القول إنه لا وجه له إلا حين يكون المجرد للنص - أي المستل له من أصله - هو مؤلفه نفسه، إذ يمكن اعتبار صنيعه هذا تأليفا مستقلا حيث ارتأى أن يكون منفصلا عن الأصل وفق رؤية تأليفية؛ تماما كما يتجه أن يجمع متنين من تأليفه بعد تفرقهما لذات السبب⁽²⁾، أما إن كان من غير المؤلف - وهو الشائع في التأليف المعاصرة⁽³⁾ - ففيه محاذير عدة منها:

(1) هذا النوع أدرجه صاحب عبقرية التأليف تحت مبحث الاختيار والمجانسة، قال «وقد يكون الاختيار وتجميع المواد من مواضع متعددة من النص فنا من فنون التأليف، أما الاقتطاع فهو من أعمال التحرير والنشر وإن كان لا يخلو من الاختيار الواعي والنظرة العالمية في أحيان كثيرة» ص: 255.

(2) مثاله: زوائد مسند أحمد على الكتب الستة ثم مسند البزار ثم أبي يعلى ثم معجم الطبراني الكبير ثم الأوسط والصغير، كلها لنور الدين الهيثمي، جمعها في «مجمع الزوائد» محذوفة الأسانيد (انظر الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ص: 172).

(3) انظر المؤلفات المنسوبة لابن القيم المستلة من كتبه ك: «الطب النبوي» وهو جزء من كتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد» و«بلوغ السؤل في أقضية الرسول» جرده السيد صديق حسن خان البوهالي، وهو في الأصل جزء من «أعلام الموقعين عن رب العالمين»، وانظر مثلا ما نشره عيسى مقاري في كتاب سماه «مبادئ التصوف وهوادي التعرف لابن عاشر» (منشورات ألفا، الجزائر، 2016م) ناسبا إياه لابن عاشر؛ وما هو إلا شرح للجزء الثالث المتعلق بالتصوف من منظومته الشهيرة، وانظر أيضا «تاريخ الخلفاء» لمغلطاي بتحقيق آسيا كليان علي بارح المطبوع بدار الفجر بالقاهرة سنة 2001م في 175 صفحة؛ استلته من كتابه «الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء» ونشرت قبله شق السيرة منفردا، ومثل هذا كثير جدا.

✓ تدمير وحدة المؤلفات وتمزيق نسيجها.

✓ تكثيرها بلا داع؛ إذ نستطيع -مثلا- أن نخرج لكل مؤلف في الطبقات مؤلفا في السيرة، ولكل مؤلف في الحديث كالبخاري مؤلفا في المغازي وآخر في السيرة، وهكذا، ولكل مؤلف في التاريخ حسب الحوليات أيضا، بل ولكل مؤلف في الرجال مُفْتَحَ بحياة النبي ﷺ كذلك، وبهذا نفقد للسيرة حين اقتطاعها من هذه المصنفات سماتها الخاصة حين انتمت إلى نمط من التأليف الخاص وانطبعت بخصائصه؛ إذ هاهنا أربعة مناهج في كتابة السيرة متباينة ومتمايزة، وقد يهون الأمر حين نحفظ في عنوان الجزء المستل بالمصدر المستل منه كالقول: «سيرة النبي ﷺ لابن حبان من كتابه الثقات»، وبحذف المصدر كما في الأمثلة المقدمة يسوء الأمر ونتجنى على تراث مؤلف من المؤلفين، وعلى مناهج فن من الفنون.

✓ تضليل الدارسين لتراث المصنفين: إذ المعلوم أن للمصنف في الكتاب الأم منهجا معلنا أو مضمرا ولتأليفه سياقاً وأسباباً، ولأسلوبه وطريقته فيه خصائص معلومة، والمستل حينما يُقْتَطَع من أصله يفقد هويته التي تُكوِّنُها هذه العناصر مجتمعة؛ فلا يدري الدارس إلى أي شيء يحاكمه.

✓ التعمية على مؤرخي العلوم: وذلك بالتلبيس عليهم في درك أسبقية التأليف استقلالاً في علم من العلوم، إذ ينتصب الجزء المستل هنا على أنه تأليف مستقل، وهو في واقع الأمر ليس كذلك.

• التجريد من الأسانيد:

بمعنى إيراد المتن المروي من كتاب مجرداً عن أسانيد، وهذا شائع مشهور في التراث، يكون الداعي إليه الاختصار، وتقريب المتون إلى طالبها ممن لا يعتنون بالأسانيد، ومثال ذلك «التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح» للزبيدي

(ت893هـ)؛ صَمَّمَهُ أحاديث الجامع الصحيح للإمام البخاري من غير تكرار مع حذف الأسانيد، قال «ليقرب انتوال الحديث من غير تعب»⁽¹⁾.

• التجريد بمعنى استخراج علم من علم:

وذلك بإبراز مكان من استقلاله من حيث الموضوع والمنهج والمفاهيم، وهو أمر محمود؛ فقد كانت علوم كثيرة فروعاً من علوم أخرى كالشمائل، والدلائل، والخصائص؛ كلها كانت فروعاً من الحديث والسيرة فاستقلت، وكعلم علل الحديث كان فرعاً من الجرح والتعديل فاستقل عنه⁽²⁾.

• التجريد بمعنى تخلية كتاب مما هو مدخول وليس منه:

وهو نوع من التأليف المعروفة في التراث، أورده محمد صديق خان القنوجي في النوع الخامس من أنواع التصنيف التي أوصلها إلى ستة عشر نوعاً⁽³⁾، ولعل هذا هو مقصد مؤلف «عبقريّة التأليف العربي» حين عد التجريد من عمليات التهذيب⁽⁴⁾، ولعل إياه يقصد من يصف عمل ابن هشام في السيرة بالتجريد؛ إذ صرح في مقدمتها بما استبعد من النص كتاريخ الأنبياء من آدم إلى إبراهيم عليهما السلام؛ قال في مقدمتها «.. وتارك بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر

(1) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ص: 13.

(2) راجع «جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين» ص: 13، وص: 39.

(3) أبجد العلوم ص: 120.

(4) عبقريّة التأليف العربي ص: 233.

يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته»⁽¹⁾.

ومن هذا المعنى قول السخاوي في ترجمة أبي البقاء الدميري (ت808هـ) من الضوء اللامع وهو يستعرض مؤلفاته «.. وحياة الحيوان؛ وهو نفيس أجاده وأكثر فوائده، مع كثرة استطراده فيه من شيء إلى شيء، وله فيه زيادات لا توجد في جميع النسخ، وأتوهم أن فيها ما هو مدخول لغيره إن لم تكن جميعها؛ لما فيها من المناكير، وقد جردها بعضهم»⁽²⁾.

• التجريد بمعنى استخراج الكتاب من المسودة:

أي تبييضه وإبرازه، فبهذا المعنى استعمله ابن النديم (ت438هـ) لما ذكر مصنفات محمد بن الحسن بن دريد (ت321هـ) قال: «وله من الكتب.. كتاب أدب الكاتب، على مثال كتاب ابن قتيبة ولم يجرده من المسودة فلم يخرج منه شيء يعول عليه»⁽³⁾، والإخراج والاستخراج أكثر استعمالاً في هذه الحال؛ وهو ما استعمله أبو القاسم الزباني (ت1249هـ) وهو يتحدث عن محمد بن إدريس العماري المعروف بابن الحاج (ت1264هـ)؛ قال: «كان في ابتداء أمره يستخرج لنا ما كنا نقيده في تأليف الترجمان، والبستان، والألفية، والجمهرة، والفهرست، والحادي، والبغية، والسهام الراشقة، وشرح الكورة، والرحلة، وغيرها»⁽⁴⁾.

(1) السيرة النبوية لابن هشام 1/ 12.

(2) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع 60/ 10.

(3) الفهرست ص: 86 وانظر معجم الأدباء 6/ 2495.

(4) انظر تاريخ الوراقة المغربية ص: 210.

• التجريد بمعنى استخراج كتاب من كتب انتخابا واختيارا:

أشار إليه مؤلف عبقرية التأليف العربي تحت ما أسماه «استخراج النص» إذ أدرج تحته نوعين من التأليف⁽¹⁾:

■ استعادة كتابات أو أقوال شخص منتشرة في كتاب أو عدة كتب، بعدما كانت نصا واحدا ثم «تصدع»، عبر عنه القنوجي ب «انتزاع أصل من منتشر»⁽²⁾.

■ جمع أقوال أو فتاوى رويت مفرقة عن صاحبها، وجعلها نصا ينسب إليه. ويمكن أن يزداد على هذا الباب - بجوار ما ذكره - ما طرقه بنفسه في مبحث الاختيار والمجانسة وهو:

■ الاختيار الذي يقع على أجزاء متفرقة من نص أو نصوص: مثال ذلك كتاب محمد بن عبد الله ابن ناصر الدين (ت842هـ) المسمى «الإعلام بما وقع في مشتبهِه الذهبي من الأوهام» جرده من كتابه «توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم» وهو شرح على كتاب الإمام الذهبي «المشتبه في الرجال، أسمائهم وأنسابهم». قال في مقدمة التجريد «وقد يسر الله وله الحمد توضيحه (يقصد توضيح المشتبه) مقيدا بالحروف...، ثم انتزعت منه الأوهام ملخصة، وعلقتها في هذا التجريد مخلصة»⁽³⁾.

وقد استعمل التجريد أيضا في حقول علمية ومعرفية مختلفة؛ فاختلف معناه بحسب اصطلاح أصحاب كل فن، لكنها معاني كلها تصب في معنى الأصل اللغوي «جرد» الدال على التعرية والتخلية، أو انتزاع شيء من شيء وعزله عنه؛ فمن ذلك:

(1) انظر عبقرية التأليف العربي ص: 468 وما بعدها.

(2) أبجد العلوم ص: 120.

(3) الإعلام بما وقع في مشتبهِه الذهبي من الأوهام ص: 96.

• **التجريد البلاغي:** معدود في المحسنات المعنوية، وهو «أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر مثله فيها؛ مبالغة لكمالها فيه، وهو أقسام؛ منها نحو قولهم: لى من فلان صديق حميم؛ أي بلغ فلان من الصداقة حدًا صحَّ معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها»⁽¹⁾، قال ابن جزي: هو «تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عموم ما تقدم»⁽²⁾، وعند قوله تعالى ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ قال: «خص النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما في الفاكهة تشريفًا لهما، وبيانًا لفضلهما على سائر الفواكه، وهذا هو التجريد»⁽³⁾، ومن أمثلته أيضا قوله تعالى ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾⁽⁴⁾ فالنار هي دار الخلد بعينها، لكنه انتزع منها دارا أخرى وجعلها معدة في جهنم للكفار تهويلا لأمرها، ومبالغة في اتصافها بالشدة⁽⁵⁾.

• **التجريد الصوفي:** هو «اعتزال الخلق وترك العلائق والعوائق، والانفصال عن الذات»⁽⁶⁾، وهو من المقامات دون التفريد؛ إذ التجريد عندهم في الظاهر؛ بأن يتجرد السالك من الأهل والمال ومن الدنيا بالكلية، والتفريد في الباطن بتخليته من المتعلقات⁽⁷⁾.

• **التجريد الفلسفي:** هو حسب معجم لالاند: عزل عنصر (صفة أو علاقة، أو مفهوم) وإعمال العقل عليه وحده وتجاهل العناصر الأخرى⁽⁸⁾، وفي معجم صليبا

(1) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم 1/ 105.

(2) التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 525.

(3) التسهيل لعلوم التنزيل 2/ 332.

(4) سورة فصلت، الآية 27.

(5) انظر نهاية الأرب في فنون الأدب 7/ 156.

(6) كشف اصطلاحات الفنون والعلوم 1/ 382.

(7) راجع روح البيان لإسماعيل حقي 6/ 401.

(8) راجع موسوعة لالاند الفلسفية 10/ (abstraction).

هو «انتزاع النفس عنصرا من عناصر الشيء، والتفتاتها إليه وحده دون غيره»⁽¹⁾.

ثانيا: صور التجريد الذي هو عمل المؤلف الوسيط، وأنماطه:

يتخذ التجريد الخادم للحواشي والتقارير والتحريرات والنكت التي تدون على هوامش المتن في نسخ مؤلفيها أو في كناشاتهم - وهو محور الحديث في هذه المقالة - صورا وأشكالا متعددة باختلاف صفة من تصدى للعملية، وباعتبار الاشتراك في العمل من دونه، أو تكرره من عدمه، وباختلاف الداعي إليه، والوعاء المادي المجرد منه، وهي كما يلي:

- تجريد المؤلف نفسه لحاشيته بتمامها: كحاشية سليمان بن محمد البجيرمي (ت1221هـ) على شرح منهج الطلاب لذكريا الأنصاري (ت926هـ)؛ وهي في الفقه الشافعي، قال في مقدمة تجريده لها «قد سألني بعض أصدقائي الفضلاء أن أجمع ما كتبه على نسختي شرح المنهج وحاشيتي الشبراملسي عليه بما تحرر من حواشيه في الطروس وقررته شيوخي في الدروس، فأجبت له لذلك ... وسميته التجريد لنفع العبيد»⁽²⁾.
- تجريد المؤلف نفسه لبعض من مؤلفه، وإتمام غيره له: كمثّل حاشية الإمام ابن عاشر (ت1040هـ) على نسخته من الشرح الصغير للتتائي على مختصر خليل؛ المسمى «جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر» ابتداء المؤلف تجريدها ثم أتمه محمد بن عبد الله البكري الدلائي، يدل على ذلك قوله في آخرها: «نقلت جل هذه الطرر من أصل مؤلفها العلامة الفقيه الجامع لفنون العلم وضروب الفضائل سيدي عبد الواحد بن عاشر الأنصاري، والباقي نقلته مما نسخ بخطه من أصله»⁽³⁾.

(1) المعجم الفلسفي 1/ 246.

(2) التجريد لنفع العبيد، منشور مع «شرح منهج الطلاب» لذكريا الأنصاري 1/ 02، (منهج الطلاب اختصره

ذكريا الأنصاري من مناهج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب).

(3) طرر ابن عاشر على جواهر الدرر للتتائي، نسخة الزاوية الحمزية برقم 2/ 333 ضمن مجموع.

تجريد التلميذ لحاشية شيخه: وهو كثير، منه طرر محمد بن محمود بن أبي بكر
الونكري التنبكتي المعروف ببغيع (ت 1002هـ) على الشرح الكبير للتائي (ت 942هـ)
على مختصر خليل (ت 776هـ)؛ قال تلميذه أحمد بابا التنبكتي (ت 1036هـ) «وله تعاليق
وطرر نبه فيها على هفوات لشرح خليل وغيره وتتبع شرح التائي الكبير من أوله إلى
آخره فبين ما فيه من السهو نقلا وتقريراً في غاية الإفادة، وقد جمعتها في عدة كراريس
تأليفا مستقلا»⁽¹⁾.

ومنه «التجريد على التنقيح» حاشية الإمام ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ) على
نسخته من «التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح» للزرکشي (ت 794هـ)، جردها تلميذه
الإمام السخاوي (ت 902هـ)، جاء في آخرها «آخر الحواشي التي كتبها شيخنا ابن حجر
على نسخه من تنقيح الزركشي، جردها تلميذه محمد بن السخاوي ختم الله له بخير
ولوالديه والمسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا»⁽²⁾.

ومنه تجريد عبد الغفور بن التهامي البناي التطواني لحاشية الشيخ أحمد بن
محمد ابن عجيبة (ت 1224هـ)، قال المنوني: «خرج من المبيضة حاشية شيخه الشيخ
أحمد ابن عجيبة على الجامع الصغير للسيوطي»⁽³⁾.

• تجريد الابن لحاشية أبيه: وهذا الصنف كثير أيضا؛ منه تجريد عبد العزيز بن
أبي الطيب الزياتي (ت 1055هـ) لحاشية والده على المختصر، ففي مرآة المحاسن في
ترجمة الأب حين ذكر مؤلفاته: «وحاشية على مختصر خليل مفيدة جدا، تركها في
هامش نسخه من المختصر وبطائق وأوراق تصدى لتخريجها بعده ولده»⁽⁴⁾، ومنه

(1) نيل الابتهاج بتطريز الدياج ص: 602.

(2) التجريد على التنقيح ص: 331.

(3) تاريخ الوراقة المغربية ص: 210.

(4) مرآة المحاسن من سيرة الشيخ أبي المحاسن ص: 233، وتاريخ الوراقة المغربية ص: 106.

حاشية أبي زكرياء يحيى بن محمد المناوي الشافعي (ت871هـ) على نور الروض لابن جماعة⁽¹⁾ جردها سبطه زين العابدين بن عبد الرؤوف المناوي (ت1022هـ)⁽²⁾.

• تجريد الحاشية من قبل الغير دون أن يكون ابنا للمؤلف أو تلميذا له: وهو كثير أيضا، مثاله حاشية الإمام ناصر الدين اللقاني (ت958هـ) على التوضيح للإمام خليل، قال التنبكتي «ولم يصنف شيئا سوى ما كتب من الطرر على التوضيح فجمعت بعد موته ... فعم النفع بها»⁽³⁾، ومجردها هو بدر الدين القرافي صاحب التوشيح⁽⁴⁾.

ومنه تجريد عبد الرحمن بن عيسى الكلالي (ت1001هـ) - بكاف معقودة⁽⁵⁾ - لطرر أبي العباس أحمد الونشريسي (ت914هـ) على نسخته من الوثائق الفشتالية، سماها «غنية المعاصر والتالي في شرح وثائق القاضي أبي عبد الله الفشتالي»⁽⁶⁾. ومنه تجريد ابن ريسون محمد بن محمد الصادق بن أحمد الحسني العلمي اليونسي التطواني (ت1234هـ) لطرر الشيخ يعيش الشاوي على نسخته من شرح ميارة على التحفة لابن عاصم، جردها ورتبها وسماها «الكواكب السيارة في مسامرة فقيه فاس أبي عبد الله ميارة»⁽⁷⁾.

(1) هو تأليف على الروض الأنف للسهيلي، مختلف في نسبه إلى البدر بن جماعة أو إلى العز بن جماعة، انظر مقالنا حول «شجرة المؤلفات على سيرة ابن إسحاق» (151هـ) وتهذيبها لابن هشام (218هـ) وشرح التهذيب للسهيلي (581هـ) مجلة «قطر الندى» المحكمة، تصدر عن مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، العدد 22، رمضان 1440هـ.

(2) انظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر 2/ 195 وكشف الظنون 1/ 918.

(3) انظر كفاية المحتاج 2/ 230.

(4) توشيح الديباج وحلية الابتهاج ص: 187.

(5) انظر صفوة من انشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر ص: 223، في ترجمة ابنه أبو سالم إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى الكلالي.

(6) تاريخ الوراقة المغربية ص: 105.

(7) تاريخ الوراقة المغربية ص: 209.

• التجريد المشترك: وذلك باشتراك شخصين في تجريد نص يبدأ أحدهما ويكمل الآخر، مثال ذلك تجريد أبي عبد الله محمد بن أبي السعود (ت1116هـ) لحاشية العارف الفاسي على الجلالين؛ حيث أتم ما بدأه والده إذ جرد منها إلى حدود سورة «طه»⁽¹⁾.

• تجريد الحاشية أكثر من مرة من قبل أشخاص مختلفين: ذلك أن لبعض الطرر المهمة أكثر من تجريد، ومن مثل ما جرد مرات - مع زيادة اللاحق على السابق - حاشية سراج الدين البلقيني (ت805هـ) على الروضة للإمام النووي (ت676هـ) في الفقه الشافعي، جردها:

✓ بدر الدين الزركشي⁽²⁾.

✓ ابن حجر العسقلاني: قال السخاوي: «وكذا ألحق «بحواشي الروضة» للبلقيني، التي جردها البدر الزركشي ما تجدد للبلقيني بعد التجريد - وهو فيما بعد السبعين وإلى أن مات البلقيني»⁽³⁾.

✓ أبو زرعة ولي الدين أحمد ابن الحافظ العراقي (ت826هـ)، وهي في مجلدين⁽⁴⁾ قال السخاوي عنها: «وانتفع الناس بها خصوصا فيما تجدد من الحواشي بعد جمع البدر الزركشي»⁽⁵⁾.

ومما جرد مرتين حواشي طبقات السبكي لابن حجر؛ جردها في حياته القاضي

(1) تاريخ الوراقة المغربية ص: 108.

(2) رفع الإصر عن قضاة مصر ص: 61، والضوء اللامع 1/ 338.

(3) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر 2/ 691.

(4) رفع الإصر ص: 61.

(5) الضوء اللامع 1/ 338.

قطب الدين الخيزري (ت894هـ) وأدخلها في تصنيف له لخص فيه طبقات السبكي، وجردها بعد وفاته تلميذه السخاوي في مجلد⁽¹⁾.

• الجمع بين حاشيتين أو أكثر أثناء التجريد: ومثال ذلك تجريد ابن فهد لحاشيتي البرماوي والمراغي على كتاب «الإشارة لسيرة النبي ومن بعده من الخلفاء» لمغلطاي بن قليج؛ قال في مقدمتها «أما بعد، فهذه فائد (كذا) نقلتها من خط شيخنا الإمام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الدايم النعيمي البرماوي، وصاحبنا العلامة فتح الله ابن العلامة زين الدين أبي بكر بن الحسن المراغي الشافعيين؛ علقها كل منهما على حواشي نسخته من الإشارة إلى سيرة المصطفى ﷺ وتاريخ من بعده من الخلفاء للحافظ علاء الدين مغلطاي»⁽²⁾ ومثاله أيضا تجريد علم الدين البلقيني (ت868هـ) لحاشية أخيه جلال الدين (ت824هـ) على روضة النووي جمعها مع حاشية والدهما، قال السخاوي حين ذكر حاشية السراج البلقيني - الآنف الذكر - على الروضة للنووي «وكذا لولده القاضي جلال الدين عليها حواش أيضا جردها أخوه شيخنا القاضي علم الدين وجمع بينهما وبين حواشي والدهما، رحمة الله عليهم»⁽³⁾. ومنه أيضا الحواشي على «درة الغواص في أوهام الخواص للحريري» لأبي محمد عبد الله بن بري المصري (ت582هـ) ولأبي عبد الله محمد بن ظفر الصقلي (ت567هـ)، لم يذكر مجردهما الجامع بينهما اسمه ولا قدم لهما بمقدمة، وطبع التجريد بدار الجيل ببيروت سنة 1996م.

(1) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر 2/688، والضوء اللامع 9/119.

(2) الجمع بين حاشيتي البرماوي وفتح الدين المراغي على سيرة النبي ﷺ للحافظ مغلطاي، نسخة الخزانة الوطنية/ المغرب برقم 17 ك.

(3) المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي ص: 31.

• الانتداب إلى التجريد: وذلك حين تكون لنص ما أهمية خاصة يراها أحد العلماء أو السلاطين فينتدب من يجرده خوفاً عليه من الضياع، ومن ذلك انتداب الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي (ت 1046هـ) حفيده محمد بن عبد الله البكري الدلائي (ت 1089هـ) لتجريد طرر الإمام ابن عاشر المكتوبة على هامش نسخته من الشرح الصغير للتتائي على مختصر خليل، فأتم تجريدها في المحرم من عام 1046هـ، قال في مقدمتها «والذي ندبني إلى ذلك ورغبني فيه ... مولانا الحاج الرحال المحدث الراوية العلامة سيدنا أبو المكرمات والمكارم؛ أبو عبد الله محمد بن الولي الصالح أبي بكر أدام الله علاهما ورزقنا رضاهما؛ فامتثلت أمره الذي لا تمكن مخالفته ويجب إسعافه وموافقته»⁽¹⁾.

• التجريد من الحاشية: وهو الكثير الغالب؛ فالنص المحتاج إلى التجريد أكثر ما يقع على طرر المتون المعلق عليها، خاصة في الفنون التي تكثر فيها الحواشي كالفقه وأصوله، والتفسير، والنحو، والبلاغة.

• التجريد من الكناشة: والكناشة «هي المجموعات التي يسجل فيها المعتنون مختارات ما يقرؤون أو يسمعون، وأحياناً يضيفون لذلك إنتاجاتهم ومشاهداتهم وما جرى مجرى ذلك»⁽²⁾ وهي اصطلاح للمغاربة، ونظيره التذكرة لدى المشاركة، وقد يذكر فيها العالم ما وقع له من الحوادث أو ما نظمته من الأشعار، وما راج بينه وبين شيوخه وأقرانه من مذاكرات، وغير ذلك، وربما يوجد للواحد منهم عدة كنانيش⁽³⁾، والمراد بالتجريد منها استخراج نص وإفراده بتأليف خاص بعدما كان مختلطاً بأصناف

(1) طرر ابن عاشر على جواهر الدرر للتتائي نسخة المكتبة الوطنية تحت رقم (42 6 ق) ص: 2.

(2) قبس من عطاء المخطوط المغربي 1/ 245.

(3) انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى ص: 321.

التقييد المذكورة، ومثال ذلك تجريد الكلاسي المذکور آنفا- عبد الرحمن بن عيسى -
لأنظام شيخه عبد الواحد الونشريسي (ت955هـ) في النظائر الفقهية، مما سجله في
كناشاته⁽¹⁾.

ثالثا: دور التجريد في حفظ نصوص التراث العربي المخطوط:

إن نفي حقيقة التأليف عن عمل المؤلف الوسيط وفق الإطلاق الذي تقدم لا
يلغي أهمية هذا العمل، ولا يحجب أدوار القائمين به في الحفاظ على النصوص التي
كانت مادة له، فغاية ما في النفي إثبات كون الجهد المبذول في التجريد أدنى من عمل
المؤلف الأصلي؛ لأن دوره هو إبرازه وإيصاله إلى المتلقي؛ فهو يؤدي وظيفة
«الحفاظية» لا «التحويل» أو «الإتمام» أو «التجاوز» كما هو الحال في التلخيص
والاختصار والاستدراك والتذييل والنقد، أي إن التجريد ليس إنتاجا لنص، ولا تحويلا
له ولا إتماما، ولا تجاوزا، لكنه مع ذلك أرفع من عمل النساخ والوراقين؛ للجهد الزائد
على مجرد النسخ، والذي قد يشمل التقديم للنص، أو ترتيبه، أو الموائمة بين نص
الحاشية وأطراف الكلام من المتن المحشى عليه وخياطتهما، وهذا من التدخل
الطفيف المشار إليه آنفا.

ولقد اشترك التجريد مع بقية أصناف التأليف في الحفاظ على نصوص التراث؛
وذلك بتحويل الطرر أو النكت من نسخ فريدة على هواش نسخ مؤلفيها من المتون أو
على كناشاتهم، إلى نصوص مستقلة تنسخ منها نسخ متعددة، وغالبا ما كان هذا هو
الدافع إلى هذا النوع من التأليف، كما في قول القراني في تجريده لحاشية اللقاني على
التوضيح: «كتب على طرر نسخته من التوضيح فوائد وتقييدات بديعة، كنت سببا في

(1) انظر تاريخ الوراقة المغربية ص: 106.

إخراجها بعد موته من الطرر، وجمعتهما كما وجدتها من غير تصرف، فجاءت في مجلدين لطيفين، بعد أن بخل وارثه بإخراجها، وصمم على الامتناع وقد قصد بيع الكتاب لبعض الغرباء، وربما فقدت تلك الفوائد بضائع السند فجردها وانتشرت بعون الله تعالى وتم النفع بها⁽¹⁾، وكما في قول البكري الدلائي في مقدمة تجريده لطرر ابن عاشر على جواهر الدرر للتتائي: «... فرأيت أن أجردها وأجمع أولها بآخرها، وأحشدها خوفا عليها من الضياع، وتقريبا للمطالعة والانتفاع»⁽²⁾.

وقد أثبت الواقع ما خافه هؤلاء المؤلفون من الضياع وأثبت في الوقت نفسه جدوى عملهم، ففي الوقت الذي لا نجد فيه نسخة ابن عاشر التي جرد منها الدلائي طرره، نجد بالمقابل نسخا عديدة من هذه الحاشية -بفضل التجريد- قريبا من عصر المؤلف كما يثبت تلميذه ميارة في قوله - حين ذكر تجريدها - «وانتفع بها الناس وانتشرت في البلدان»⁽³⁾، ونجد اليوم بين يدينا منها أكثر من عشرين نسخة⁽⁴⁾.

وبفضل التجريد يُقدَّر لبعض النصوص أن تعود في عصر الطباعة إلى موضعها الذي انتزعت منه على هامش المتن الذي تعلق به؛ كطرر الونشريسي على وثائق الفشتالي المذكورة سلفا؛ إذ طبعت بالمطبعة الحجرية الفاسية على هامش الوثائق⁽⁵⁾،

(1) توشيح الديباج ص: 187.

(2) مقدمة تجريد الدلائي لحاشية ابن عاشر على جواهر الدرر للتتائي، نسخة المكتبة الوطنية برقم (642ق)

(3) الروض المبهج في شرح تكميل المنهج 1/ 496.

(4) منها: إحدى عشرة نسخة بالخزانة الحسنية تحت الأرقام: 2598-2842-7518-5762-7643-

9468-11092-11232-11715-12391-13487، وثلاث نسخ بالخزانة الوطنية تحت الأرقام:

4575د، و642ق، و284ج. ونسخة بخزانة المسجد العتيق بقصبة مدينة الصويرة، ونسخة بالخزانة

الحمزية تحت رقم 2/333، ونسخة بخزانة الجامع الكبير بمكناس تحت رقم 524، ونسختان

بالمكتبة المركزية بجدة تحت الرقمين 103 و113، ونسخة زاوية تنغملت تحت رقم 220 مجموع،

ونسخة بخزانة أهل حبت/ شنقيط (الجزء الأول) تحت رقم [361أ، ش].

(5) تاريخ الوراقة المغربية ص: 105.

ولولا التجريد لما تمكنت من الصمود؛ إذ هو الذي مكنها من مقوماته بتكثير نسخها، فاستطاعت العودة إلى موضعها من جديد، وهذا يؤكد دور «الحفاظية» التي يضطلع بها التجريد؛ فكأنه مرحلة اضطرابية يُتزع فيها النص من موطنه الأصلي ليعود إليه بعد الأمن من الضياع؛ إذ الطبيعي أن تطبع الحواشي مع المتون تقريبا لفوائدها، وهذا ما فطنت إليه المطابع القديمة حين طبعت نصوصا عديدة على هوامش المتون المتصلة بها.

وقد انتبه مجردو الحواشي إلى محدودية هذا الدور وخطورته أيضا فنراهم يؤكدون على التزامهم بالأمانة العلمية في النقل، كما في نص القرافي المذكور آنفا: «وجمعتهما كما وجدتها من غير تصرف»، وإن كان لهم بعض التصرف أثبتوه ونبهوا عليه، ولذلك احتاج بعضهم إلى مقدمات للنص المجرد، لكن بعضهم يكتفي بنقل النص مباشرة، وقد لا يذكر اسمه، ومن النماذج الغنية في هذا الصدد منهج محمد بن عبد الله البكري الدلائي في تجريده لحاشية ابن عاشر على جواهر الدرر للتتائي، نسوق عناصره كلها كما أعلنها في مقدمته، وهي:

- جمع أول الحاشية بآخرها وحشدها.
- ذكر كلام المصنف أو الشارح بالنص دون زيادة ولا نقص (يقصد بالمصنف الإمام خليل إذ الحاشية تعليق على المختصر وشرحه).
- إتباعه بكلام المحشي دون زيادة ولا نقص.
- زيادة ما دعت الضرورة إليه وتكون الزيادة:
 - مما لا يتوقف عليه فقه.
 - مما لا يحصل فائدة.

- بل فقط ما يحتاجه التلفيق وإتمام الكلام.
- التتبع الدقيق لما في الأصل قليلا أو كثيرا.
- تضمين الطرر أيضا بعضا مما يتبين عند النظر أنه لا حاجة إليه كلفظة «تأمل» قال: «لأنه قد يأتي من يجريها على سنن التحقيق وطريقه ويكمل بترها ويجبر كسرهما».
- إيراد طرر لغير المحشي أقرها ابن عاشر في أصله.
- إيراد ما يوجد من فراغات في الأصل كما هي.
- عندما يقع التصحيف في الأصل أو منع مانع من نقل ما فيه يذكر ذلك.

فهذا منهج في غاية الدقة العلمية، يخدم هذا النص بأحسن وجه، دون تجاسر على الزيادات عليه أو إدخال التصحيحات والتصويبات أو ملء الفراغات، بل يحافظ أيضا على ما في الهوامش من طرر للغير أقرها ابن عاشر مميزا لها عن باقي كلامه، وهو عنوان على الجهد الذي يبذله المؤلف الوسيط، ويؤكد ما قلناه من كونه فوق جهد النساخ والوراقين.

ومما ساعد هؤلاء في عملية التجريد ما هو معروف في تقاليد التأليف التراثي فيما يخص تدوين الحواشي، والتي تَصْمَنُ التمييز التام بين ما هو من صلب المتن - وإن دون على طرته - وما ليس من صلبه، ومن تلك التقاليد ألا يُخَرَّجَ لما يكتب على الطرر من تنبيه أو تفسير أو غير ذلك ولا يكتب عليه (صح) كما يُخَرَّجُ اللَّحَقُ⁽¹⁾، لئلا يدخل اللبس على قارئها، ومنها ألا تكثر الحواشي كثرة يظلم بها الكتاب، وألا تُكتب بين الأسطر⁽²⁾، هذا زيادة على توسعهم في بيان أساليب وطرق التخريج والإلحاق للنقص،

(1) انظر الالمام إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص: 146.

(2) راجع تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ص: 133 و 134.

ورموز ذلك، وكيفية ضبط الكلمات المشتبهة على الحاشية، وأساليب الضرب والمحو والحك، وغير ذلك.

والجدير بالذكر أيضا أن عناية العلماء بتجريد الحواشي ينبئ بأهميتها؛ رغم ما تعرضت له من النقد، ورغم عدّ البعض لها عنوانا على تراجع الإبداع في التأليف، إذ لم يقدموا على تجريدها إلا لما عاينوه منها، ولما يعاينه كل متعامل معها، من حجم ما تقدمه من تحقيقات وتصويبات واستدراكات وحل معضلات.

خاتمة:

لقد يمت أول ما خطرت لي فكرة الكتابة عن التجريد ودوره كتابا مهما مفيدا في بابه هو «عبقريّة التأليف العربي» لمؤلفه كمال عرفات نبهان، فلم أجد نظير ما كان يجول بخاطري من أفكار أولية عن الموضوع وتقسيماته وتفرعاته؛ إذ لم أجده تطرق لهذا النوع استقلالا ولا خصه بمبحث أو مطلب، مع أنه تناول ألوانا وأصنافا شتى من التأليف العربي، غاية ما ظفرت به منه إشارات متفرقة هنا وهناك منها:

- إشارته إلى التجريد والتخريج بمعنى الانتخاب للنص (استخراج لنص بالاختيار من نص أو من نصوص) وذلك في مبحث «الاختيار والمجانسة» من الفصل السادس، وفي مبحث «استخراج النص» من الفصل التاسع، وقد مر الحديث عنهما.

- إشارته إلى التجريد بمعنى اقتطاع جزء من الكتاب في مبحث «الاختيار والمجانسة» كذلك، وهو ما تم تناوله هنا تحت نوع التجريد بمعنى الجزء المستل، غير أنه لم يميز فيه بين ما هو من صنيع مؤلف الكتاب وما هو من صنيع غيره، ولم ير النوع الثاني سلبيا كما يميل إلى ذلك هذا المقال.

- عده التجريد من عمليات التهذيب في مبحث «تهذيب النص» من الفصل السادس.

- إشارته إلى التجريد بالمعنى الذي هو صلب هذه المقالة في مبحث «أشكال أخرى من الشروح» من الفصل الثامن، في أثناء كلامه عن أنواع الحاشية؛ إذ ذكر الحاشية المستقلة، فذكره تبعاً لها.

ولذلك فالظن أن لو حضره التجريد بالتفصيل المتقدم لما وسعه إلا أن يجعل له مبحثاً أو مطلباً، أو يكون نوع التجريد الذي هو عمل المؤلف الوسيط - في أقل تقدير - مندرجاً تحت مفهوم «الاستخراج» الذي استعمله، فهو أولى به، بل بإمكانه إغناء أجزاء أخرى من هذا الكتاب بالأمثلة والنماذج.⁽¹⁾

وقد كان هذا أحد الدوافع إلى الكتابة في الموضوع، زيادة على ما يتوسم فيه من الفائدة في إظهار جهد طائفة ممن تصدوا لإخراج مؤلفات عديدة من ضيق النسخة الواحدة إلى سعة النسخ المتعددة، ومن هوامش الأسفار إلى صدورهما، ومن احتمالات التلف والإهمال، إلى إمكانات الصمود أمام عوادي الزمن، فيروج النص بفضلهم بعدما كان خاملاً.

(1) يمكن أن تساق المقدمات التي يكتبها المؤلف الوسيط بين يدي المؤلفات التي جردها نموذجاً لتقديم مؤلف لكتاب غيره، إذ لما أراد التمثيل لهذا الصنف اكتفى بإيراد أمثلة ألفت استقلالاً لا لتكون مقدمات: كالمدخل إلى كتاب العين للنضر بن شميل، و«التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» لابن عبد البر (عبرية التأليف العربي ص: 184) وهي بالنسبة إلى ما يقدم به للتجريد كالمجاز، فهي ليست مقدمات على الحقيقة.

ثبت المصادر والمراجع:

1. أبجد العلوم، لأبي الطيب محمد صديق خان القنوجي (ت 1307هـ) دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1423هـ - 2002م.
2. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري (ت 1315هـ) تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء، 1418هـ / 1997م.
3. الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، لإبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت 943هـ) تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
4. الإعلام بما وقع في مشتهه الذهبي من الأوهام، للحافظ محمد بن أبي بكر المعروف بابن ناصر الدين (ت 842هـ) دراسة وتحقيق عبد رب النبي محمد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى 1407هـ / 1987م.
5. الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544هـ) تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث - القاهرة، الطبعة الثانية، 1425هـ - 2004م.
6. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، سلسلة التراث العربي 16، الطبعة الثانية 1407هـ / 1987م.
7. تاريخ الوراقة المغربية: صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، للفقيه محمد المنوني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم: 2، الطبعة الأولى 1412هـ / 1991م.

8. التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، لأحمد بن أحمد بن عبد اللطيف، زين الدين الزبيدي (ت 893هـ) اعتنى به حسن عبد المنعم شلبي، كسرى صالح العلي، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، 1430هـ - 2009م.
9. التجريد على التنقيح [مطبوع مع النكت على صحيح البخاري] لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، بتجريد تلميذه محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت 902هـ)، تحقيق أبو الوليد هشام بن علي السعيدني، وأبو تميم نادر مصطفى محمود، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م.
10. التجريد لنفع العبيد، لسليمان بن محمد بن عمر البجيرمي المصري الشافعي (ت 1221هـ) (على هامش «شرح منهج الطلاب» لزكريا الأنصاري) مطبعة الحلبي، طبعة 1369هـ - 1950م.
11. تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، لبدر الدين ابن جماعة الكناني (ت 733هـ) اعتنى به محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة، 1433هـ / 2012م.
12. التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت 741هـ) تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة الأولى - 1416هـ.
13. تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، للأستاذ محمد شرحي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب 1421هـ / 2000م.

14. توشيح الديباج وحلية الابتهاج، لبدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي (ت1008هـ) تحقيق الدكتور علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى 1425هـ - 2004م.
15. الجمع بين حاشيتي البرماوي وفتح الدين المراغي على سيرة النبي ﷺ، للحافظ مغلطاي، نسخة الخزنة الوطنية/ برقم 17 ك.
16. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت321هـ) تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.
17. جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، عبد الحميد بن علي فقيهي، منشورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
18. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي (ت902هـ) تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1999م.
19. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (ت1111هـ)، دار صادر - بيروت.
20. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت458هـ) تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت. ط 1، 1985م.
21. دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لعبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المري (ت1400هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ.

22. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لأبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني (ت 1345هـ) تحقيق محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة السادسة 1421هـ-2000م.
23. رفع الإصر عن قضاة مصر، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ) تحقيق د علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1/ 1998م.
24. روح البيان، لأبي الفداء إسماعيل حقي الإستانبولي الحنفي الخلوتي (ت 1127هـ) دار الفكر - بيروت.
25. الروض المبهج في شرح تكميل المنهج، لمحمد بن أحمد ميارة (ت 1072هـ) دراسة وتحقيق الدكتور محمد أوادير مشنان، دار ابن حزم - بيروت، ومركز الإمام الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الجزائر، الطبعة الأولى 1432هـ/ 2011م.
26. السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت 218هـ)، ضبط وتحقيق الشيخ محمد علي القطب، والشيخ محمد الدالي بلطه، ط 2001، المكتبة العصرية، بيروت.
27. الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت 297هـ) تحقيق سيد بن عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت. ط 3
28. الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت 398هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت. الطبعة الثالثة: 1404هـ/ 1984م.
29. صفوة من انشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، لمحمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير الإفرائي، تقديم وتحقيق الدكتور عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1425هـ/ 2004م.

30. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي (ت902هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
31. طرر ابن عاشر على جواهر الدرر للتتائي، نسخة الزاوية الحمزية برقم 2/333 ضمن مجموع.
32. طرر ابن عاشر على جواهر الدرر للتتائي، نسخة المكتبة الوطنية تحت رقم (642ق).
33. عبقرية التأليف العربي (علاقات النصوص والاتصال العلمي)، للدكتور عرفات كمال نبهان، منشورات الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، 1436هـ / 2015م.
34. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت 170هـ) تحقيق د مهدي المخزومي، و د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
35. الفائق في غريب الحديث، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ) تحقيق على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط 3، 1979م.
36. الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم (ت 438هـ) تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت - لبنان، الطبعة الثانية 1417هـ - 1997م.
37. قبس من عطاء المخطوط المغربي، لمحمد المنوني (ت 1420هـ) دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى 1999م.
38. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي التهانوي (بعد 1152هـ) تحقيق د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة الأولى - 1996م.
39. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت 1067هـ) مكتبة المثنى، بغداد، 1941م.

40. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، لأحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ)، دراسة وتحقيق الأستاذ محمد مطيع، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.
41. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت711هـ) دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - 1414هـ.
42. مرآة المحاسن من سيرة الشيخ أبي المحاسن، لأبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي (ت1052هـ) دراسة وتحقيق محمد حمزة الكتاني، منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجدد، دط، دت.
43. مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، (ت235هـ) تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ.
44. معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ) تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1414 هـ - 1993م.
45. المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت260هـ) تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1983م.
46. المعجم الفلسفي، للدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، طبعة 1982م
47. منح الجليل في شرح مختصر خليل، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد عlish، المالكي (ت1299هـ) دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى 1404هـ/ 1984م.

48. المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي (ت 902هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 2005م.
49. موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت - باريس، الطبعة الثانية 2001م.
50. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت 1041هـ) تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1968م.
51. نهاية الارب في فنون الأدب، لأحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري التيمي البكري، (ت 733هـ) دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1423هـ.
52. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير الجزري مجد الدين المبارك بن محمد (ت 606هـ) تحقيق طه أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، نشر المكتبة الإسلامية.
53. نيل الابتهاج بتطريز الدياج، لأحمد بابا التنبكتي السوداني (ت 1036هـ)، عناية وتقديم الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، الطبعة الثانية، 2000م.

إطالة على علم التحقيق

خديجة كلامي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الدار البيضاء

تروم هذه الدراسة استجلاء الأصول العامة التي ينهض عليها تحقيق المخطوطات العربية، باعتباره علما يحمل على عاتقه إخراج ما زبره الأدباء والعلماء بخط أيديهم، أو خط أيدي تلاميذهم، أو من أخذ عنهم، بكيفية تكون شبيهة أو قريبة من الشكل الأول الذي كتب به الكتاب، ومراجعته وضبطه، والحاجة إليه ضرورة تواصلية بين الكاتب والمتلقي اللذين يكون المحقق جسرا بينهما، ومن هنا يبدو لنا التحقيق ممارسة فكرية ولغوية ومنهجية يتوسل بها إلى معرفة قصد (المؤلفين)، وقصد الخطاب ذاته، عن طريق محتوياته التي لا يفك رموزها إلا المحقق الذي يعتمد إلى مراجعة النصوص، وفحص النسخ المخطوطة فحصا جيدا، ويلاحظ ظواهر النقص، والزيادة، والتحريف، والتصحيح، والخطأ، ويملا الفراغات التي قد تتخلل النص الأصلي، أو توجد في نسخة دون أخرى، معتمدا معيار مقابلة النسخ إن وجدت، وتقويم كل معوج، وتصحيح كل خطأ، مع الحرص على ضبط الشكل، ووضع علامات الترقيم، والالتزام بالرسم الإملائي.... وكلها أمور سنقف عندها من خلال المحاور التالية:

- مفهوم التحقيق العلمي وشروطه.

- وسائل تحقيق النصوص والعوائق التي تحول دون ذلك.

- قواعد التحقيق العلمي.

إن هذه المحاور سنتقلنا إلى ما نحتاج إليه من التفاعل المنهجي بين التحقيق العلمي وبين وسائله وشروطه وقواعده... حتى نتجنب طبع النصوص بأغلاطها والتحريفات الموجودة بها، ونتلافى سوء فهمها.

1. مفهوم التحقيق العلمي وشروطه:

خضع مفهوم التحقيق لتطور متواصل، بفعل تحولات الدرس الأدبي القديم والحديث، وتطور وسائل الطباعة وآلياتها، وتقنيات الإعلاميات والطفرة التي شهدتها الحواسيب الحديثة... ومن ثم فإن المحقق وجد نفسه أمام نصوص تراثية لها بناؤها الخاص، وأسلوبها الكتابي المتفرد، وأصبح لزاما عليه دراسة التحولات التي أدت إلى بلورة مفهوم تحقيق النصوص التراثية، التي قد لا تستقيم ولا يكتمل إظهارها للعيان سالمة مكتملة، إلا في ضوء الحديث عن مجمل التطورات والتحولات التي ساهمت في ظهور تحقيق المخطوطات، التي ترتبط بمسوغات نصية، وأخرى خارج نصية جديدة. فما هي مبررات ظهور تحقيق النصوص التراثية؟ وكيف حافظ التحقيق على النصوص التي كانت ستسقط في شرك الاندثار والضياع؟

إن الدلالة اللغوية لكلمة «التحقيق» تأخذنا إلى تفكيك رموزها، إذ تعني التأكد من صحة النص وسلامة انتمائه لصاحبه ولزمانه ومكانه، ومن هذا المنطلق يجب علينا أن لا نغفل الصلة الوثقى التي تربط كلمة تحقيق النص أو تحقيق الخبر بمعنى صدقه، فنقول: حقق الرجل القول صدقه، أو قال هو الحق، والحق من أسماء الله عز وجل

وصفاته، وإن وقفة عند أحد المعاجم اللغوية كلسان العرب، يفضي بنا إلى تقرير هذا الذي سبق، فقد نقل ابن منظور ما نصه: (وتحقق عنده الخبر أي صح وحقق قوله وظنه تحقيقاً أي صدق)⁽¹⁾. وبهذا يكون المدلول اللغوي لكلمة «تحقيق» هو إثبات الشيء وإحكامه وتصحيحه.

أما المعنى الاصطلاحي لكلمة «تحقيق» فيعني: إثبات المسألة بالدليل وتصحيح الأخبار، كما ذهب إلى ذلك الجرجاني في قوله: (التحقيق إثبات المسألة بدليلها)⁽²⁾. ويعني أيضاً (بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة، فالكتاب المحقق هو الذي صح عنوانه واسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه)⁽³⁾.

يتضح مما سبق؛ أن التحقيق يراد به الفحص العلمي للنصوص الأدبية من حيث مصدرها وصحة نصها وإنشاؤها وصفاتها وتاريخها... وكل هذا يفضي إلى معالجة ضبط النص، والتأكد من شكله والتيقن من انتمائه.

وتأسيساً على ما سبق؛ يمكن القول إن تحقيق المخطوطات والكتب؛ يقصد به إخراجها للناس وتيسير الاستفادة منها، في الصورة التي وجد عليها النص وتغيها مؤلفه، أو أقرب ما تكون إلى ذلك. ولا يدرك ذلك إلا بعناء وصبر على البحث والتمحيص... خاصة وأن المخطوط بمعناه الشامل هو كل ما خط باليد من كتاب أو رسالة أو تقييد باللغة العربية، مما له قيمة تاريخية أو أدبية أو فنية، تدفع إلى العناية به والإفادة منه. إنه أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ، لذلك فمتن الكتاب حكم على

(1) «لسان العرب» لابن منظور، مادة حقق..

(2) «التعريفات» للشريف الجرجاني، ص 55.

(3) «تحقيق النصوص ونشرها»، عبد السلام هارون، ص 42

المؤلف، وحكم على عصره وبيئته، وهي اعتبارات تاريخية لها حرمتها التي تمنع من الاعتداء على حق المؤلف، أو التناول على ما ألفه وكتبه بزيادة أو نقص أو تصحيف أو تحريف...

2. شروط التحقيق العلمي:

لا شك أنه من المهمات التي يضطلع بها المحقق؛ هي التأكد من صحة المخطوطة من حيث نسبتها إلى مؤلفها، ومدى صحة العنوان وانطباقه على موضوع الكتاب، واسم المؤلف ونسبة الكتاب إليه، خاصة بالنسبة للكتب المغمورة أو التي كانت في عداد المفقود، لأن الضرب صفحا عن العناصر السالفة أو إهمالها من شأنه أن يسقطنا في مزلق تسيء للمخطوط وصاحبه، ومن هنا فإن بعض الكتب لا تتناسب مادتها العلمية مع مكانة وعلم مؤلفها أو عصره ككتاب «تنبية الملوك والمكايد» المنسوب للجاحظ، وفيه حكايات وأخبار حدثت بعد عصر الجاحظ (ت 255هـ)، من ذلك وجود باب فيه بعنوان (نكت من مكايد كافور الإخشيدي (ت 357هـ)، و(مكيده توزن بالمتقي بالله (ت 357هـ)، وبين هذين العلمين والجاحظ عشرات السنين كما نص على ذلك عبد السلام هارون⁽¹⁾. وكثيرة هي الكتب التي نسبت إلى غير مؤلفيها كـ«شرح ديوان المتنبي» لابن عدلان الموصلي (ت 666هـ) الذي نسب إلى أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، وكتاب «إعراب القرآن» للزجاج (ت 311هـ) ويرجح أنه لمكي بن أبي طالب القيرواني (ت 437هـ).... وقد نص علماء التحقيق أن أهم ما يجب في تحقيق متن الكتاب أن يؤدي بأمانة وأن يكون حذرا أميناً وصبوراً، وأن لا يجترئ على النصوص فيغير ويبدل كما يشاء... فعلى المحقق أن يضطلع بمجموعة من المهام التي نجد في طليعتها مايلي:

(1) . «تحقيق النصوص ونشرها»، عبد السلام هارون، ص 46.

- الخبرة والتمرس في تحقيق المخطوطات، والدراسة الواسعة لأصول تحقيقها ومعرفة أصولها، والمخطوط التي كتبت بها سواء، مشرقية، و فارسية و مغربية... ناهيك عن معرفة اصطلاحات القدامى في ضبط الشكل و علامات إهمال الحروف غير المعجمية، أو ما يسمى بالتعقبية.

- الأمانة في أداء النص، تلزم المحقق بتوخي الموضوعية والصحة دون زيادة أو نقصان، فالمحقق بمثابة راوية للكتاب الذي يجب عليه أن يرويه بطريقة جيدة.

- عدم التصرف في المخطوطات وضرورة الحفاظ على عباراتها وأساليبها، و يتعين عليه التجرد من الأهواء الشخصية، والعصبية المذهبية، أو العبث في إخراجها على أي شكل و صورة.. رغبة في الاستنكار وتحقيق المكاسب المادية أو بالسطو على جهود الآخرين.

- الإحساس بقيمة التراث العلمي و الفكري إحساسا ينبع من الإيمان العميق بدوره الفعال في بناء حضارة الأمة عن طريق إحياء تراثها.

- الحب والتعلق بالتراث المخطوط، و توثيق الصلة به وبزمانه وإنسانه ومكانه، بكيفية واسعة وقراءة مستفيضة و دراسة واعية، وخبرة مكينة، ودراية بأسراره ودقائقه وخصائصه، وأساليب تدوينه، ومناهج كتابته.

- التذرع بالصبر و الأناة: لأن المحقق غالبا ما تواجهه مشكلات وصعوبات قد تتطلب وقفات طويلة و متأنية للوصول إلى إخراج النص سالما معافى مدثر بالعلم واليقين، وبعد طول بحث و تقصي بعيد عن النظرة العجلى التي تأخذ بأقرب ما يتبادر إلى الذهن، من دون إعمال الفكر ولا تدقيق النظر، ولا تقلب الأمر على جميع وجوهه المحتملة بغية الوصول إلى وجه الصواب.

- على المحقق أن يكون على علم ودراية بموضوع الكتابة، فذلك أدعى إلى أن يكون العمل أكثر إتقاناً ودقة مما لو تصدى له شخص آخر له جهة علمية أخرى، ومهما يكن العلم الذي يحقق فيه فإن من مستلزمات المحقق إتقان اللغة العربية، نحواً، ولغة، وصرفاً، وعروضا، واشتقاقاً، وترادفاً، وبلاغة...، لأن الإلمام الواسع باللغة العربية وأساليبها ومفرداتها.. يسهم إسهاماً وافراً في تدليل الكثير من الصعاب التي قد تواجه المحقق في أساليب المخطوطة، ولغتها، حيث يجد من الحصيلة اللغوية ما يمكنه من تدقيق النظر، والوصول إلى الوجه الصحيح.

- سعة الاطلاع على كتب التراث ومصادره في مختلف جوانب البحث والمعرفة، والإلمام بمناهج مؤلفه، وتوجهاته العلمية، وطرق البحث في مصنفاته حول شتى العلوم.. مما يساعد المحقق على تحرير وتوثيق نصوص الكتاب الذي يعمل على إخراجها من عتمة المخطوط إلى نور المطبوع.

- التواضع واستعداد المحقق للحوار الهادف، والنقاش البناء، والبعد عن تمسك بالرأي الواحد الشخصي.

- أن يكون على دراية كافية بالبيبلوغرافيات العربية وفهارس الكتب وقوائمها.

- أن يكون عارفاً بقواعد تحقيق المخطوط وأصول نشر الكتاب.

إن الذي تقدم؛ يركز بالأساس على جانب القواعد والتقنيات في تصحيح النص وإخراجه. وقد ترسخت مع هذه المهام والشروط سلسلة قواعد وخطوات وإجراءات عملية، يقوم بها محقق النص من قبيل: المقارنة، والموازنة بين النسخ، وتخريج النقول بإرجاعها إلى مظانها، وضبط أسماء الأعلام، وتخريج غريب اللفظ، وملء الخروم، وما يتبع ذلك من توثيق الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية، والتعريف ببعض الأعلام، وتحديد بحور الأشعار... كلها أمور لن تكتمل إلا بفهم النص المحقق،

وبصفة عامة الإلمام بعلوم الآلة فضلا عن العلوم الأخرى؛ كالمنطق والفلسفة والفقه وأصوله... وفي ذلك يقول الدكتور إبراهيم السامرائي: (إن من تمام آلة المحقق أن يكون ذا اختصاص أو ما يشبه الاختصاص في الكتاب ومادته، ليتأتى له وجه الصواب في الأمر)⁽¹⁾. وبهذا تكون عملية التحقيق التي يقوم بها المحقق تشمل: العدة المعرفية، والعدة المنهجية والتقنية، والعدة اللغوية، لأن عمل المحقق لا يقتصر على المستوى التقني الشكلي (القواعد والإجراءات) التي وضعها، وإنما يتجاوزها إلى مستوى الإسهام في بناء النص، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا باعتماد العُدَّة السابقة الذكر.

3. وسائل التحقيق العلمي والعوائق التي تحول دون ذلك:

لما بدأ المخطوط في الانتشار، كان يصل من المؤلف إلى القارئ بإحدى الطريقتين: «التأليف» و«الإملاء»، دون أن ننسى بأن العرب قديما اعتمدوا الرواية الشفهية، والذاكرة في حفظ تراثهم وتسجيله. ثم بدأ التدوين بظهور الإسلام، وكان المصحف أول كتاب عربي يدون كاملا.. ومن هنا يمكن الإشارة إلى أن المخطوطات هي تلك النفاثس الخام التي لم تطبع بعد.. فعمد بعض المحققين إلى تحقيقها حفظا لها من الاندثار والموت المحتم... وهذه المخطوطات تتكون من أربعة عناصر:

- تراث علمي يكتب.

- مواد يكتب عليها، منها، العصب والكرانيف، والأكتاف والأضلاع، واللخاف، والمهارق، الجلود، وأوراق البردي، والحجارة والأدم والورق....
- المواد التي يكتب بها (الأحبار) منها: الحبر الكربوني، والحبر الحديدي، وحبر دهن بذرة الفجل والكتان، والأحبار الحمراء.

(1) «مع المصادر في اللغة والأدب»، إبراهيم السامرائي، 3/ 139 - 140.

• الأدوات التي يكتب بها (الأقلام) مثل: قلم الخشب، وقلم العظم، وقلم الريش.

وإلى جانب هذه العناصر، يمكن للمحقق أن يتبين الخصائص الشكلية للمخطوط؛ وهي عنوان المخطوط، والمقدمة والاستهلال، وعناوين الفصول والعناوين الفرعية، والهوامش، وتسطير الصفحات، وعلامات الترقيم، والاختصارات، والتصويبات والإضافات، وترقيم أوراق المخطوط، والخاتمة، والتعليكات والإجازات والسماعات، والصور والرسوم، والزخارف والتذهيب... وليكون مخلصا في عمله أكثر يجب أن يركز على الوسائل التالية:

- الشك في النص أو الشك في النفس؛ وهو عندما يجد المحقق نفسه في حيرة من أمره، أو يجد نفسه عاجزا عن تحقيق المتن، أو فهم بعض من مضامينه، فيتهم النص والمؤلف، دون أن يأخذ في حسابه خطأ الناسخ، أو ما وقع في الكتاب من تصحيف وتحريف، ومن ثم فإن فهم النص يكون ضروريا جدا لتحقيقه كما أوردنا سالفا.

- مراجعة مصادر المؤلف: تبيح هذه الوسيلة للمحقق أن يستنطق المصادر التي أخذ منها المؤلف، ليتأكد مما جاء في النص من مادة علمية، لأن إغفال العودة إلى المصادر سيؤدي إلى كثير من الزيف والخلل في تحقيق المتن.

- مراجعة المؤلفات المماثلة للمتن المحقق، حتى يتأكد المحقق من معرفة مدى صحة كثير من الوقائع والأحداث والتواريخ...

- مراجعة النقول عن الكتاب، والحواشي والشروح؛ إذ من مهمات المحقق الرجوع إلى الاقتباسات التي اقتبسها المؤلف من الآخرين، حتى يتأكد من صحة الأقوال والشواهد المقتبسة..

- تخريج النصوص وذلك بمراجعة المحقق لكل ما جاء في المخطوط من آيات قرآنية، وأحاديث، وأمثال، ونصوص شعرية، وأعلام مختلفة من أشخاص وحيوانات

ونباتات وبلدان... فيضبطها ويبين صحة كل علم من الأعلام، ويشير إلى المصادر الأساسية التي رجع إليها.

يغلب على ظننا أن هذه الوسائل التي يسخرها المحقق لتحقيق نص ما، لا تأتي عارية من عوائق وصعوبات جمّة، يكابدها المحقق لحظة تحقيقه للمخطوط. نذكر منها:

- صعوبة في قراءة الخط والكتابة؛ وهنا نجد المحقق في كثير من الأحيان يعجز عن تفكيك رموز الكلمة ومعرفة بأي خط كتبت، نظرا لتعدد الخطوط العربية، فهناك الخط النبطي والمدني والمقور أو المستدير، والخط اليابس والكوفي، وخط النسخ، وخط الثلث، وخط الرقعة، وخط الإجازة، والخط الديواني، وخط القيرواني، والخط الأندلسي والمغربي والسوداني، ثم الخطوط الفارسية....

- الأرضة والحشرات والميكروبات التي تهدد المخطوط بالتلف أو تآكل بعض أجزائه.

- التقادم الزمني للمخطوط.

- التصحيف أو الالتباس في نَقَط الحروف المتشابهة في الشكل، مثل: الباء والتاء والثاء، والجيم والحاء والخاء، والذال والذال، والراء والزاي، والسين والشين، والصاد والضاد، والطاء والظاء. وفي هذا السياق نستحضر قول السيوطي في كتابه المزهر: (صحّف حماد بن الزبرقان ثلاثة ألفاظ في القرآن لو قرئ بها لكان صوابا؛ وذلك أنه حفظ القرآن من مصحف ولم يقرأه على أحد؛

– اللفظ الأول: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَبَاهُ﴾،

يريد؛ إياه.

- واللفظ الثاني: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي غَرَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، يريد؛ عِزَّة.

- واللفظ الثالث: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، يريد؛ يُغْنِيهِ⁽¹⁾.

• التحريف ويتعلق بتغيير شكل ورسم الحروف المتشابهة في الصورة، مثل: الدال والراء، والdal واللام، والنون والزاي. أو غير المتشابهة في الصورة، مثل: الميم والقاف، واللام والعين.

استنادا إلى ما سبق، نرى أن ما ذكرناه من عوائق قل من كثر، ونعد أن هذا الذي تقدم كاف يجعلنا نقف عند ما يعاينه المحقق أثناء تحقيق المخطوطات، كما تجعلنا واثقين أن في هذه الصعوبات متعة لا تضاهي.

4. قواعد التحقيق العلمي:

لماذا الحديث عن قواعد التحقيق بعد كل الذي تقدم؟ ولماذا جاءت انسابا في أوصال العمل المحقق؟ وهل جميع المحققين يلتزمون بهذه القواعد؟

إنها أسئلة تسعفنا في البحث عن مسوغات التحقيق العلمي والبحث عن قواعده، بغية ضبط النص وإخراجه بالصيغة التي وضعها عليه مؤلفه، في ضوء ما تقرر في مناهج تحقيق المخطوط. ولا يكتفي بذلك فحسب، بل يضيف عليه تعليقا يدفع كل غموض يعتري النص المحقق. ويرتكز المحقق في تحقيق النص على القواعد التالية:

أ. جمع النسخ المرتبطة بالمتن المحقق.

ب. توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

(1) «المزهر في علوم اللغة وأنواعها»، جلال الدين السيوطي، ج2، ص: 354.

ج. ضبط عنوان الكتاب.

د. مقابلة النسخ؛ إذ على المحقق أن يعطي رمزا لكل نسخة، ثم اعتماد الإشارة إليها في الحاشية عند اللزوم، مع مراعاة أقدميتها، وقرئها من المؤلف وعصره...

ه. القيام بالمقابلة بين ما تم نسخه من قبل المحقق والنسخة الأصل، تأكيدا لصحة المنسوخ.

و. ضرورة إثبات هامش المنسوخ بيد المحقق وإبراز الفروق بين النسخ المعتمدة في التحقيق.

ز. تقويم النص.

ح. التخريج والتعليق.

ط. التنقيط والتشكيل.

ي. الترقيم والتهميش.

ك. الكشف أو الفهرسة، وهذه الفهرسة يجب أن تشمل: (فهرس الألفاظ الغريبة، وفهرس الموضوعات العامة، وفهرس الخطب والرسائل والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية والعقائد الدينية والأحكام الشرعية، وفهرس العبارات الشبيهة بالفلسفية والكلامية، وفهرس التعاليم والوصايا والأدعية والابتهالات ... وفهرس الأبيات الشعرية، وفهرس الأعلام والبلدان، وفهرس الكتب الواردة في المتن....).

ل. الالتزام بالشكل التام واستعمال علامات الترقيم، وتقسيم المخطوط إلى أبواب وفصول ومباحث ومطالب.

م. التدقيق في الرسم الإملائي للمخطوط، والانتباه إلى حذف الألفاظ وسط الكلمة، وحذف الهمزة، وتكميل الاختصارات والرموز التي تجدها في النسخ، ويرجعها إلى أصلها، ثم وضع العناوين إذا كان المخطوط خاليا منها، ودعت الضرورة إليها، وكذا تبيان فروق النسخ إلى غير ذلك من العناصر الأساسية والجوهرية التي تمنح الدقة لمنهج المحقق.

ن. المقدمة: وهي آخر ما يكتبه المحقق، إذ تكشف عن مخبوءات العمل المحقق، وعن المنهج المعتمد، وذكر الصعوبات التي واجهته في تحقيق المتن، دون أن ننسى أن المقدمة تعطي إضاءات واصفة للمخطوط أو للعمل المحقق.

س. الاستدراك: وهو الملحق الذي يضيفه المحقق إلى الكتاب، ليستدرك به ما قد فاتته مما يرتبط بالمخطوط أو بعمله فيه...

ختاماً؛ نرى أن عمل التحقيق ينهض على أسس علمية متينة وسليمة، يبرز من خلالها المحقق عصارة جهد علمي لا يعتريه الكلل، من خلال المرحلة النظرية التي يقوم فيها بتجميع نسخ المخطوط والمقارنة بينها وتحديد منازل النسخ، مروراً إلى المرحلة العملية التي يتأكد فيها من مؤلف الكتاب المحقق وعنوانه وهفواته... وصولاً إلى مرحلة الإخراج والنشر.



لائحة المصادر والمراجع

1. رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 1. 1985.
2. عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، بيروت، 1965، ط 2.
3. عبد السلام هارون، منهج البحث وتحقيق النصوص، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 2، 2008.
4. عبد الله الرشدي، نحو بناء مدخل منهجي نقدي لتحقيق النص التراثي (مقاربة نظرية تطبيقية)، تقديم د. فيصل الحفيان، منشورات مركز روافد للدراسات والأبحاث في حضارة المغرب وتراث المتوسط، ط 1، 2018.
5. عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، دار ومكتبة الهلال بيروت / دار الشروق جدة، 2008.

وقفية للمنصور الذهبي لكتاب الجامع الصحيح للترمذي على خزانة جامع القرويين: محاولة لدراسة كوديكولوجية

إنعام بن يحيى

طالبة دكتوراه بتاريخ النصوص والوثائق
بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا بباريس

مقدمة

عرف المغرب أيام السعديين (ق 15 م - ق 16 م) حركة تجديد واسعة ضمت مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية صاحبها حركة فكرية وثقافية نشيطة خاصة أيام السلطان أبي العباس أحمد المنصور الملقب بالذهبي الذي حكم ما بين 1603م و1678م⁽¹⁾. ولعل ما يعكس هذه الحركة الفكرية يتجلى في ظاهرة كثرة الكتب وانتشارها وتعدد مواضيعها وخطوطها من شرقية وأندلسية ومغربية. بالإضافة إلى ما خلفته هذه الدولة من منشآت ثقافية وعلمية تشهد لها بذلك، وأهم مثال عن ذلك هو خزانة القرويين التي تعكس الحراك الفكري والثقافي لهذا العهد، فهذه الخزانة مازالت إلى وقتنا الحاضر تزخر بالعديد من المخطوطات المهمة والنادرة. ولقد لفت انتباهنا مخطوط الجامع المختصر للترمذي (ت 279 هـ / 892 م) الذي يحمل رقم 272.

(1) للمزيد حول هذه الحركة العلمية، ينظر: محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1978.

وتقع هذه الخزنة بجامع القرويين على يسار المحراب، وتاريخ إنشاء المنصور لهذه الخزنة ليس معروفًا بالتحديد. يذهب بعض المؤرخين أنّ إنشاءها كان في نهاية القرن السادس عشر ميلادي. أمّا محافظ الخزنة المؤرّخ محمد العابد الفاسي الفهري (1906م - 1975م) فيرى أنّ إنشاءها كان بين عام 996هـ / 1588م وعام 1000هـ / 1592م⁽¹⁾. بذلك تكون ثاني خزنة شيدت بهذا الجامع بعد خزنة أبي عنان المريني الذي حكم المغرب بين 749هـ / 1348م و759هـ / 1358م، وأنشأ خزنة القرويين المرينية سنة 750هـ / 1349م.

لقد كان جامع القرويين مركز إشعاع ثقافي مرموق بفاس. فلقد زوّد السلطان المنصور خزانته بالعديد من الكتب التي أوقفها عليها، تنتمي هذه الكتب إلى مختلف المعارف من العلوم العقلية والنقلية التي شهدها عصره، ممّا «يناسب عظمة ملكه وبهاء مجده»⁽²⁾. وحسب رأي محمد العابد الفاسي فإنّ أكثر الكتب التي وصلتنا اليوم، هي تلك التي حبسها السلطان أحمد المنصور⁽³⁾.

ومن الدوافع التي شجعت المنصور على إنشاء خزنة بجامع القرويين، المكانة المرموقة لفاس كمركز إشعاع فكري رئيسي بالغرب الإسلامي في ذلك الوقت؛ بحيث

(1) محمد العابد الفاسي الفهري، الخزنة العلمية، الرباط، مطبعة الرسالة، 1960، ص. 46-47؛ مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التاكدارية، تحقيق. عبد الرحيم بنحادة، الرباط، دار تينمال للطباعة والنشر، 1994، ص. 74-75؛ المقرئ، روضة الآس العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، الرباط، المطبعة الملكية، 1983، ج. 2، ص. 27؛ عبد الهادي التازي، جامع القرويين، المسجد والجامعة بمدينة فاس، موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، الرباط، دار نشر المعرفة، 2000، ج. 2، ص. 342.

(2) محمد عبد الحي الكتاني، ماضي القرويين ومستقبلها، بيروت، دار الكتب العلمية، 1971، ص. 27.

(3) محمد العابد الفاسي الفهري، فهرس مخطوطات خزنة القرويين، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1979، ج. 1، ص. 23-24.

كانت تستقطب كبار العلماء في كل العلوم، وكان طلبة العلم يقبلون عليها من كل صوب. ويُقدّم محمد العابد الفاسي سببين رئيسيين في اختيار المنصور لتأسيس «خزائنه» بمكان رمزي كالقرويين يتمثلان في:

– حب هذا السلطان العالم للعلم والروابط القوية التي تجمعها بعلماء فاس، مثل شيخه أبي العباس أحمد المنجور (ت. 995هـ/ 1587م) وأبي المحاسن يوسف الفاسي (ت. 1013هـ/ 1604م) وأبي عبد الله محمد بن يوسف الزياتي (ت. 992هـ/ 1884م) وغيرهم من العلماء.

وكذلك رغبته في الاقتداء بمسيرة السلطان المريني أبي عنان المريني، والذي أنشأ أول خزانة بالقرويين وحسب عليها مئات الكتب⁽¹⁾.

وقد أطلق المؤرخون عدة أسماء على هذه الخزانة، كالخزانة الأحمديّة الشريفة، وخزانة المنصور، والخزانة السّعدية، والخزانة العلميّة⁽²⁾. كل هذه الأسماء تربطها بمؤسسها أحمد المنصور. ونجد أسماء أخرى كالخزانة العليا⁽³⁾ التي تدل على مكان بناء الخزانة المرتفع بالنسبة لمكان الخزانة المرينية.

وكان الدخول إلى هذه الخزانة من داخل المسجد وذلك من أجل حماية أكبر للكتب من السرقة أو الاتلاف والضياع، كما كان ذلك لتسهيل الحصول على الكتب من قبل العلماء وطلبة العلم الذين يرتادون مجالس العلم بجامع القرويين⁽⁴⁾. ولقد جعل

(1) محمد العابد الفاسي الفهري، فهرس مخطوطات خزانة القرويين، مرجع سابق، ج. 1، ص 46-47.

(2) مصطفى بنعلة، تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، من خلال حوالات تارودانت وفاس، 2007، ج. 1، ص. 9.

(3) المقرئ، روضة الآس، مرجع سابق، ص. 22؛ عبد الهادي التازي، جامع القرويين، مرجع سابق، ج. 2، ص. 332، 341.

(4) محمد العابد الفاسي الفهري، فهرس مخطوطات خزانة القرويين، مرجع سابق، ج. 1، ص. 24.

لها أحمد المنصور قَيِّمًا كان يعيِّنه بنفسه من بين العلماء⁽¹⁾.

يبدو أنَّ المنصور السعدي الذي كان يحيط نفسه بالعلماء، وأراد أن يترك للأجيال القادمة صورة عالم ملتزم بجعل «مكتبته» في القرويين أغنى وأغرق مكتبته في الغرب الإسلامي. حيث كان يزودها بكتب كان يبحث عنها ويشترىها من كل البلدان (مكة، القسطنطينية، إسطنبول، الإسكندرية وغيرها)⁽²⁾ وكان يرسل العلماء كي يبعثوا له أهم الكتب، كالإمام أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن البكري (ت. 991هـ/ 1583م)⁽³⁾ والإمام أبي محمد بن يحيى المصري الشهير ببدر الدين القرافي (ت. 1008هـ/ 1599م)⁽⁴⁾ وبعثوا له مؤلفاتهم سواء مع من يرسلون للحج أو مع بعثات خاصة يبعثها.

ومن بين هذه الكتب المحبسة التي لفت انتباهنا كتاب الجامع للترمذي⁽⁵⁾ وهو محفوظ في خزانة القرويين تحت رقم 272 مكوّن من جزئين اثنين (1 و2). وما يهمنا في هذه الدراسة هو الجزء الأول، ويتكون من 229 ورقة. أمّا الجزء الثاني فيحتوي على 205 ورقة، وطولهما 270 ملم، وعرضهما 210 ملم، وتمت كتابة الجزئين بخط مغربي (أندلسي).

-
- (1) عبد الهادي التازي، جامع القرويين، مرجع سابق، ج. 2، ص. 454. إفادة الغماري، ص. 474.
(2) الاستقصا، ج. 5، ص. 97؛ المقري، روضة الأس، مرجع سابق، 1983، ص. 14-15. عبد الهادي التازي، جامع القرويين، مرجع سابق، ج. 2، ص. 450.
(3) رسائل سعديّة، تحقيق عبد الله كنون، تطوان، 1954، ص. 39-40.
(4) رسائل سعديّة، مرجع سابق، ص. 232-233. الفشتالي، مناهل الصفا، تحقيق عبد الكريم كريم، الرباط، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، ص. 272.
(5) توجد نسخة منه تتكون من أربعة أوراق خروم بالمكتبة الوطنية بباريس تحمل رقم (Arabe 6936) كتب بين 1301-1400م. ونسخة ثانية تحمل رقم (Arabe 709) تاريخ نسخه 547هـ/ 1153م.

إنّ هذا المخطوط بالإضافة إلى قيمته العلمية كتأليف له مكانته بين كتب الحديث بحيث يعتبر من بين كتب الحديث الستة⁽¹⁾ المعتمدة، له قيمة كوديكولوجية مهمّة بحيث يحتوي في طياته على نصوص مصاحبة لنص الكاتب، من بينها:

- الوقفية.

- ونص وثيقة سماع للعالم ابن رشيد السبتي.

- إضافة إلى بعض خوارج نص.

وبدراسة هذه النصوص يمكننا أخذ نظرة عن كُتب على كيفية تنقل العلوم والكتب في العهد السعودي. هذه الدراسة حول الوقفية، ستتبعها إن شاء الله بدراسة أخرى حول شهادة السماع، إضافة إلى خوارج النّص الموجودة في هذا المخطوط، حتى نتمكن من وضع خريطة مسار هذا المخطوط ابتداء من نسخة، وحتى استقراره بمكتبة القرويين.

معروف للباحثين أنّ «الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل»⁽²⁾، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة

(1) كتب الحديث الستة وهي: صحيح البخاري (ت. 256هـ/870م)، صحيح مسلم (ت. 261هـ/875م)، سنن أبي داود (ت. 275هـ/888م)، سنن الترمذي (ت. 279هـ/892م)، سنن ابن ماجه (ت. 273هـ/886م)، سنن النسائي (ت. 303هـ/915م).

(2) تم طبع الكتاب لأول مرة بمطبعة بولاق في مجلدين سنة 1292هـ/1875م ثم مرة أخرى في 13 جزء 7 منها بالمطبعة المصرية عام 1350هـ/1932م و6 منها بمطبعة الصاوي عام 1352هـ/1934م، وقام بتحقيق جزءين من هذا الكتاب أحمد محمد شاكر سنة 1938م، وقام بتحقيق الجزء الثالث محمد فؤاد عبد الباقي، وقام بتحقيق الجزءين 4 و5 إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة 1978م. لمعرفة المزيد عن تحقیقات والشروح عن هذا الكتاب يرجى الاطلاع على كتاب:

Fuat Sezgin, Geschichte des arabischen Schrifttums, Brill, Leiden, I, 1967, p. 256-259.

الترمذي. وهو من كبار المحدثين الذين قاموا بجمع الحديث، وقام بالترحال من خراسان إلى العراق ثم إلى الحجاز من أجل جمع مادة الحديث. ومن بين العلماء الذين درس عنهم البخاري. فقد الترمذي بصره في الكبر وتوفي بمدينة ترمذ عام 279هـ/ 892م⁽¹⁾.

وكتابه معروف باسمين هما جامع الترمذي وسنن الترمذي⁽²⁾. وهو يعتبر أحد الكتب الستة في الحديث، ويأتي ترتيبه بينها رابعاً بعد صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود. ويتميز كتابه عن باقي الكتب الستة بأن الترمذي يعقب على الأحاديث بصحيح وحسن وضعيف. كما بين من أخذ به من أهل العلم من الصحابة وغيرهم⁽³⁾.

لا نعرف مكان نسخ هذا المخطوط، ولا اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، لأننا لا نملك قيد الفراغ؛ إذ نسختنا هذه مبتورة الآخر. ورغم ذلك فإنّ النسخة مازالت في حالة حسنة ويمكن الانتفاع بها⁽⁴⁾. توفر لنا هذه النسخة من خلال خوارج النص بيانات أخرى ستساعدنا من معرفة بعض المعلومات عن مسار هذا المخطوط.

ومن المهم التوقف عند نص الوقفية ودراستها. فقد لاحظنا أنّ هذا النص تحكمه قواعد لغوية وشرعية محكمة بحيث تحفظ شرعية الوقف. وهذا يدل على وجود تنظيم

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، 13، ص. 270-277؛ المزني، تهذيب الكمال، 25، ص. 250-252.

(2) ويطلق عليه اسم الجامع الصحيح للترمذي وهذه التسمية خاطئة حسب الإمام الألباني الذي قام بتحقيق أحاديثه في كتابه «ضعيف سنن الترمذي» و«صحيحه» وأعاد طبعه مع مزيد من التدقيق والتصحيح سنة 2000.

(3) محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف سنن الترمذي، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 2000، ص. 9.

(4) محمد العابد الفاسي الفهري، فهرس مخطوطات خزانة القرويين، مرجع سابق، ج. 1، ص. 272.

إداري متطور مسؤول عن تنظيم وإدارة الكتب منذ تحييسها إلى لحظة دمجها في الخزانة المنصورية.

ويأتي نص الوقفية كالتالي:

1. المسطر أسفله صحيح وكتب بخط يده عبد الله سبحانه أحمد المنصور بالله أمير [المؤمنين].

2. ابن مولانا أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الحسنى خار الله سبحانه له ولطف به لطفًا جميلًا بمحمد صلى الله عليه [وسلم].

3. حبّس مولانا الإمام كهف الإسلام ظل الله في الأنام كافل أمة النبي عليه السلام مولانا الإمام أبو العباس المـ [نصـ]ور بالله [ابن موالينا].

4. الخلفاء الراشدين خلد الله للإسلام شريف دولتهم جميع هذا الكتاب المشتمل على جامع الإمام الترمذي المقيد هذا على أول ورقة منه على كل من يقرأ فيه من طلبة [العلم].

5. [وفرهم الله] بخزانتهم التي من آثارهم بقبلي جامع القرويين من فاس المحروسة وشرطوا أيدهم الله في ذلك لأن لا يخرج عن حريم الخزانة المتخذ للمطالعة هنالك بحيث لا يلتفت [إلى القول].

6. الوارد بمخالفة ذلك، فمن بدل أو غير فيدُ الله عليه وسائله يوم يقف بين يديه تحببًا مؤبدًا قصدوا رضي الله تعالى عنهم بذلك وجه الله العظيم والله يجعله من اعمالهم الصـ[الحة].

7. وبسطوا أيدهم الله يد قيم الخز[انة على].

8. حوزة فحازه وكتب خط يده.

9. بصحة ذلك في منسلخ شد [هـ...].

10. المبارك عام أحد عشر وألف.

إنّ نص الوقفية التي يتمّ بها انتقال الكتاب من ملكية خاصة إلى كتاب متاح لكل طلبة العلم تحدد الكثير من المعلومات الجوهرية. وقراءتها تبين لنا أنها أتت بترتيب معين: بحيث تبدأ مباشرة بصيغة التحيس⁽¹⁾ والمتمثلة في الفعل «حبس».

وتُصرّح عن هوية الواقف وهو السلطان أحمد المنصور وذلك بذكر ألقابه (الدّينية والسياسية، والاجتماعية) ثم اسمه ونسبه الشريف⁽²⁾ (السطران 3 و4).

يتلوه عنوان الكتاب الموقّف وتحدد كذلك عدد أجزاء الكتاب إن وجدت، وتحدد بالضبط مكان كتابة الوقفية على الكتاب «جميع هذا الكتاب المشتمل على جامع الإمام الترمذي المقيد هذا على أول ورقة منه» (السطر 4).

ثم يذكر الموقوف عليه وهم طلبة العلم، ثم المكان الذي سيحبس فيه الكتاب وهو خزانة القرويين.

ثم يحدد المنصور شروط استعمال الكتاب بحيث يشترط أن لا يخرج عن حريم الخزانة. أي: منع إعارته (السطران 5 و6).

(1) نلفت الانتباه إلى أنّ الوقفية تبدأ في العادة بجملتي البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) والتّصلية على الرسول (صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما).

(2) للمزيد من المعلومات حول دور لقبه الشريف يمكن الاطلاع على: محمد نبيل مولين، السلطان الشريف، الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2013.

Mercedes García-Arenal, « La conjonction du soufisme et du charifisme au Maroc, le Mahdi comme sauveur », Revue du Monde Musulman et de La Méditerranée, n° 55-56, 1990, Villes au Levant, p. 54.

ثم يضيف جملة «حظر» بحيث يهدد بها كل من تسوّل له نفسه أن يخالف شرط الوقفية وهي: «فمن بدل أو غير فيد الله عليه وسائله يوم يقف بين يديه» (السطران 5 و6)، وهذه الجملة تشير إلى الآية القرآنية 181 من سورة البقرة ﴿فَمَنْ بَدَّلَ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ حيث كان يستشهد الفقهاء بهذه الآية القرآنية لمنع انتهاك شروط الواقف⁽¹⁾.

ويحرص المنصور كذلك على حماية الكتب بتأكيده وإصراره على استشارة الكتاب في حريم المكتبة دون مغادرته. ونشير هنا أنّ الوقفية يمكن أن تزود من يهتم بالتاريخ المعماري للقرويين بمعلومات معمارية مهمة عن الخزنة بحيث يشير إلى أنّه هو من قام بتشييدها وكذلك عن الحريم الذي زودها به، بحيث كان يُستعمل لجلوس الطلبة الذي يودّون مطالعة الكتب به⁽²⁾.

ويضيف كاتب الوقفية جملة «تحبيساً مؤبداً» التي تظهر في السطر 6، وذلك لأنّ الوقف شرعاً يشترط فيه التأييد بالرغم من وجود بعض النقاشات حول هذه المسألة بين علماء الدين⁽³⁾. وغالباً ما يعززها المنصور في سائر الوقفيات بالجملة «ووقفاً مخلداً» وذلك باعتقادنا يأتي للإصرار على أنّ الوقف أبديّ دائم والتأكيد على عدم اخراج الكتاب عن هدفه الأول المحبس من أجله لا يسمح باستخدام الكتاب خلافاً للشروط المذكورة أو سرقته وما إلى ذلك. خاصة أنّ مؤسسة الوقف بصفة عامّة، قد عرفت تدهوراً كبيراً في آخر عهد المرينيين وخلال عهد الوطاسيين، أي: قبيل العصر السعدي،

(1) النشريسي، المعيار، ج. 7، ص. 139.

(2) للمزيد من المعلومات يمكن الاطلاع على: مصطفى بنعلة، تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، مرجع سابق، ج. 2، ص. 9؛ عبد الهادي التازي، جامع القرويين، مرجع سابق، ج. 2، ص. 342.

(3) Luccioni J., Le habous ou waqf: rites malékite et hanéfite, Casablanca, Vigie marocaine et Petit marocain, 1942, p. 56-57.

ويظهر ذلك عبر كتاب الونشريسي «المعيار» الذي يظهر حالات كثيرة لإتلاف الأوقاف وإهمالها وعدم تطبيق شروط الموقفين⁽¹⁾. وعدم كفاءة المسؤولين عن رعاية الأوقاف⁽²⁾. كما أن بعض السلاطين تلاعبوا بأموال الوقف⁽³⁾. لم تنجو المكتبات المحبسة من هذا التدهور، بحيث تم سرقة الكتب ممن كان يستعيرها، وبعض المسؤولين عنها، وحتى بعض المدرسين والأئمة⁽⁴⁾، وكذلك تم تحجيس بعض الكتب المزورة، ومن بينها يمكن ذكر كتاب «إسلام أبي ذر» على سبيل المثال⁽⁵⁾، وتعميد شروط بعض الموقفين⁽⁶⁾.. الخ.

وبعد ذكر شروطه يصرّح الموقف بالغاية من وقفه والتي هي من أجل طلب رضا الخالق ومبتغاة الأجر كما يظهر في السطر 6.⁽⁷⁾

ثم تليها الحيازة والتي تشكّل عنصراً أساسياً لصحة الوقف، كما أنّها تظهر في جميع الوقفيات التي بالكتب المحبسة من قبل المنصور بدون استثناء. بحيث يحوز قيم

(1) الونشريسي، المعيار، ج. 7، ص. 43.

(2) نفسه، ص. 90، 93.

(3) الحسن ابن الوزان الزياتي، وصف افريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، القاهرة، مكتبة الأسرة، 2005، ص. 231.

(4) الونشريسي، المعيار، مرجع سابق، ج. 7، ص. 302.

(5) نفسه، ص. 111.

(6) نفسه، ص. 43.

(7) يلخص المؤرخ مصطفى بنعلة من خلال دراسته دوافع الموقف للقيام بالوقف: الدافع الديني أي لمرضاة الله والتقرب منه، دافع من واقع الواقع بأن يهب ماله كوقف إن لم يكن له ورثة، دافع عائلي من خلال الوقف المعقب لضمان مستقبل ذريته مثلاً، المجتمعي. أي أن يحس الوقف تجاه مجتمعه بالمسؤولية وبضرورة تقديم الخدمة له، وأخيراً دافع الغريزي، أي: أن يحس الموقف بفخر واعتزاز تجاه ما يملك فيحبس العين ويسبل المنفعة. تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين من خلال حوالات تارودانت وفاس الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2007، ج. 1، ص. 55.

الخزانة الكتاب المحبس ويلحقه بالخزانة (السطران 7 و 8). ويمكن أن يكون حرص المنصور على الحياة بوقياته يعود إلى أن الحياة حسب المذهب المالكي - وهو المذهب السائد آنذاك - ضرورية لصحة الوقف على عكس المذاهب الفقهية الأخرى⁽¹⁾. إلى الحد الذي يحدث فيه بطلان الوقف إذا مات الموقوف قبل حياة الشيء الموقوف، أو تبين أنه يعاني من مرض لا يمكن علاجه⁽²⁾.

وحسب بعض المؤرخين فإن حياة الأشياء الموقفة من قبل عامة الناس يقوم القيم بحيازتها، أما إذا كان الموقوف السلطان أو أحد أفراد العائلة الملكية فإن القاضي هو من يحوزها⁽³⁾. بيد أننا لاحظنا من خلال دراستنا للوقيات أن من يقوم بحيازة كتب المنصور إما القاضي أو القيم. خاصة أن المنصور كان يعين بنفسه قيم الخزانة من بين العلماء بحيث كان هذا المنصب ذو مسؤولية كبيرة⁽⁴⁾.

ثم يشير كاتب الوقفية إلى تصحيح المنصور للوقفية بخط يده (السطران 8 و 9) قبل أن يكتب تاريخ عقدها وهو في غالب الأحيان يذكر اليوم والشهر والسنة. ولم يبق

(1) أبو زهرة، محاضرات في الوقف، ص. 55-56. مصطفى بنعلة، تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، مرجع سابق، ج. 1، ص. 123.

(2) أبو زهرة، محاضرات في الوقف، ص. 57. تكون الحياة عند المالكية نوعان حسية أين يتم انتقال ملكية الشيء الموقوف من الواقف إلى الموقوف عليه وتكون فعلية. كما يمكن أن تكون حياة حكمية أين يكون الموقوف عليه تحت الحظر أي محروما من التمتع أو بممارسة حقوقه ويخضع لكفالة الواقف ففي هذه الحالة على الواقف أن يعلن وقفه في حضور الشهود.

(3) أحمد شوقي بنين، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، 2004، ص. 58. الحسين ريوش بلحسن، قراءة في وثائق الحبسية وأهميتها العلمية، مخطوطات خزنة القرويين بفاس انموذجا، ص. 238-239؛ مصطفى بنعلة، تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، مرجع سابق، ج. 1، ص. 122.

(4) عبد الهادي التازي، جامع القرويين، مرجع سابق، ج. 2، ص. 454. مصطفى بنعلة، تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، مرجع سابق، ج. 1، ص. 118.

من كتابته في هذه الصفحة سوى العام 1011هـ/ 1602م فقد مُجِيت باقي التفاصيل جراً تأكل الورق مع مرور الزمن. ويُعتبر وجود سنة التّحيس مؤشراً كوديكولوجياً مهماً بحيث يسمح بمعرفة الزمن الذي دخل به الكتاب إلى الخزانة.

كما نلاحظ عدم وجود أية إمضاءات للشهود العدول التي نجدها في بعض الوقفيات كالمخطوط 18، ج. 4 المحفوظ بخزانة القرويين على سبيل المثال.

لكن ما يميز الوقفية هو وجود تصحيح السلطان المنصور في أولها وذلك ليشهد بنفسه على صحة العقد، ولأهمية هذا التصحيح فكتب الوقفية يشير إليه كما ذكرناه سابقاً قبل تاريخ الوقفية. وهذه عادة السلاطين منذ عهد الموحدين كما يشير إلى ذلك ابن الأحمر في كتابه «مستودع العلامة»⁽¹⁾، وتتم كتابة التصحيح فوق نص التحيس على عكس السلاطين المرينيين أو الوطاسيين الذين كانوا يضعون التصحيح أسفل الوقفية⁽²⁾ ومنهم من لم يكن يضع تصحيحاً⁽³⁾. بحيث يأتي تصحيح أحمد المنصور مباشرة بعد البسملة والتّصلية ليؤكد ويشهد على صحة ما تنصّ عليه الوقفية. وهذا ما يظهر لاختلاف نوع الخط ولون المداد أنّه قد تمت كتابته بعد كتابة نص الوقفية. وعادة ما يكون مكتوباً بلون بني مذهّب لتمييز خط السلطان عن خط كاتب الوقفية⁽⁴⁾.

(1) ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق. محمد التركي ومحمد بن تاويت، المركز الجامعي للبحث العلمي، تطوان، 1964، ص. 20-21.

(2) مخطوطتان محفوظتان بخزانة القرويين الأولى تحت رقم 605 ج. 1، والثانية تحمل رقم 1140، من تحيس السلطان أبي عنان المريني الذي حكم منذ 749هـ/ 1348م إلى 759هـ/ 1358م. أحمد شوقي بنين، تاريخ خزائن الكتب بالمغرب، ترجمة مصطفى طوي، الخزانة الحسنية، 2003، ص. 218.

(3) المخطوط 505 حبسه السلطان المريني موسى بن أبي عنان (ت. 788هـ/ 1386م) عام 788هـ/ 1386م. والمخطوط 1034 الذي حبسه الوزير أبو الحجاج يوسف بن المنصور بن زيان الوطاسي عام 855هـ/ 1451م.

(4) القلّوسي، تحف الخواص في طرف الخواص، في صنعة الأمددة والأصباغ والأدهان، تحقيق. حسام أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، 2007، ص. 25.

من خلال هذه العناصر التي تزودنا بها الوقفية فإنها تسمح لنا بأخذ نظرة شاملة عن مكتبة القرويين. فالوقفية تخبرنا عن الغنى الثقافي وعن انتقال العلوم في ذلك الوقت. وفيما يخص هذه الخزنة بالتحديد فهي تنيرنا بطريقة دقيقة ومفيدة للغاية عن كيفية تحبيس الكتب.

وما يزيد من أهمية هذه النسخة أنّها تحتوي على قيد سماع⁽¹⁾ أيضًا. ويطلعنا هذا القيد على معلومات تاريخية مهمة كسلسلة الإسناد وذكر أسماء العلماء الذين اهتموا بدراسة وتدريس هذا الكتاب. وما يهمنا في هذا السياق هو أنّ هذا العقد يصرّح باسم الكتاب المقروء وهو جامع سنن الترمذي واسم العالم الذي قرئ عليه الكتاب وهو ابن رشيد السبتي (ت. 721هـ/ 1321م) وطالبه القارئ للكتاب هو أبو العباس ابن الملقوم الأزدي.

فابن رشيد السبتي واسمه الكامل عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسين بن محمد بن عمر الفهري، عالم محدّث ومفسّر ونحوي رحّالة عارف بالقراءات السبع. ولد بسبّعة سنة 657هـ/ 1259م، وتلقّى تعليمه على مشايخها⁽²⁾. وكان مهتمًا بعلوم الحديث والسنة. وانتقل إلى المغرب ثم همّ بالحج ورحل إلى مكة سنة 684هـ/ 1285م وقد رحل إلى المشرق مرتين ونزل بعدة مدن بالشام ومصر وتونس⁽³⁾ وأخذ العلم عن علمائها. وعاد إلى مدينة

(1) وسنفرد هذا القيد ببحث مستقل إن شاء الله.

(2) منهم امام القراءة أبو الحسين ابن الربيع (ت. 688هـ/ 1289م) وأبو الحسن علي بن الخضار الكتامي (ت. 689هـ/ 1290م) والأديب أبو الحكم مالك ابن المرحل (ت. 699هـ/ 1300م) وأبو القاسم القبتوري (ت. 707هـ/ 1308م) وغيرهم.

(3) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق. سالم الكرنكوي الألماني، حيدرأباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1929-1931 ج 4، ص. 112.

سبته فتصدر لتدريس الحديث والفقه ثمّ عين خطيباً بجامع غرناطة، وعاد إلى المغرب ليستقر بها. وكان دخوله إلى المغرب أيام المرينيين، وتوفي بفاس سنة 721هـ/ 1321م⁽¹⁾. وخلف العديد من المؤلفات⁽²⁾.

أمّا الطالب الذي سمع عنه وأخذ منه الإجازة فهو أحد طلبته الكثر⁽³⁾ وهو عبد الله أحمد بن أبي العباس بن الملجوم⁽⁴⁾، ولم نجد له سيرة عن حياته في كتب الطبقات. وقد أجاز ابن رشيد لابن الملجوم أن يروي عنه الكتاب برواية الصّدفي وفق شروط الرواية المشهورة. كما أن الوثيقة تحدد لنا زمن السّماع المذكور وهو عام 710هـ الرابع من شهر جمادى الموافق لـ 29 سبتمبر 1310م. ويجب الإشارة إلى أنّ وجود نص وثيقة السّماع على هذا الكتاب المخطوط يعني أنّه كان معتمداً في التعليم آنذاك.

ومن بين النصوص الخارجية نشير إلى نص خارجي يقع بالهامش على يسار قيد السماع وتحت آخر سطر من وثيقة التّحسيس، ويدلّ على أنّ نص الوثيقة كتب من قبل ابن رشيد السبتي، كما أنّ الكتاب كان في ملكه. بالإضافة إلى وجود وثيقة السماع

(1) خير الدين الزركلي، الأعلام، لبنان، دار العلم للملايين، 2002، ج. 6، ص. 314؛ عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، 1960، ج. 1، ص. 206؛ القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط، 1977 مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، ج. 1، ص. 120؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق. عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، بيروت، دار ابن كثير، 1986، ج. 8، ص. 102.

(2) من بينها: ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة، السنن الأبين، والمورد الأمعن، في المحاكمة بين الإمامين - البخاري ومسلم - في السند المعنعن، إفادة النصيح، بالتعريف بإسناد الجامع الصحيح، إيضاح المذاهب فيمن يطلق عليه اسم الصاحب، ترجمان التراجم وغيرها.

(3) رحلة ابن رشيد السبتي، تحقيق. أحمد حدّادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2003، ج. 1، ص. 181.

(4) محمد العابد الفاسي الفهري، فهرس مخطوطات خزانة القرويين، مرجع سابق، ج. 1، ص. 272.

بالمخطوط مما يزيده قيمة ويعتبر من بين مواصفات المخطوطات التي تكسبها أهمية بالغة، فهذه المميزات باعتقادنا مما دفع السلطان السعدي إلى اقتناء هذا الكتاب ثم تحبيسه على القرويين. كما يدلّ على اهتمام السلطان السعدي بكتب ابن رشيد السبتي هو وجود نسخة من كتابه «استدعاءات الاجازة» وهو محفوظ بين كتبه في المكتبة السلطانية الزيدانية المحفوظة تحت رقم 1999، بمكتبة دير الأسكوريال بمدريد في إسبانيا.

خلاصة

إذن من خلال دراسة النصوص الخارجية المتمثلة في عقد السماع وعقد الوقفية من ناحية التاريخ الثقافي من جهة وباستخدام المعطيات الكوديكولوجية التي يُتيحها المخطوط، نستطيع أن نأخذ نظرة شاملة عن انتقال العلوم بصفة عامة وانتقال الكتاب الذي بين أيدينا بصفة خاصّة. بحيث نستخلص أنّ الكتاب الموقّف الجامع لسنن الترمذي الذي كان من بين الكتب المهمة التي يدرسها طلبة العلم، وهذا ما تدلّ عليه وثيقة قيد السماع بحيث كتبها ابن رشيد السبتي ذو الأصل الأندلسي، والذي تملك الكتاب ودرّسه لطلّبه بالمغرب ومن بينهم ابن الملجوم سنة 710هـ/ 1310م، ثم انتقال الكتاب إلى مراکش واقتناؤه من قبل السلطان أحمد المنصور الذهبي ثم انتقاله بصفة نهائية سنة 1011هـ/ 1602م إلى فاس بخزانة القرويين عن طريق عملية التحيس من قبل السلطان المنصور.

لائحة الكتب المستعملة (ببليوغرافيا)

المصادر:

1. مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعودية التاكداربية، تحقيق. عبد الرحيم بنحاد، الرباط، دار تينمال للطباعة والنشر، 1994.
2. المقرري، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، الرباط، المطبعة الملكية، 1983.
3. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق. عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، بيروت، دار ابن كثير، 1986.
4. الناصري، الاستقصا، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ج. 5، 1997.
5. رسائل سعية، تحقيق عبد الله كنون، تطوان، 1954.
6. الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، الرباط، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، ج. 7، 1981.
7. الحسن ابن الوزان الوزاني، وصف إفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، القاهرة، مكتبة الأسرة، 2005.
8. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق. سالم الكرنكوى الألماني، حيدرأباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1929-1931.
9. خير الدين الزركلي، الأعلام، لبنان، دار العلم للملايين، 2002.

10. الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، 1985.
11. ابن الأحمر، مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق. محمد التركي ومحمد بن تاويت، المركز الجامعي للبحث العلمي، تطوان، 1964.
12. الفشتالي، مناهل الصفا، تحقيق عبد الكريم كريم، الرباط، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة.
13. القللو سي، تحف الخواص في طرف الخواص، في صنعة الأمددة والأصباغ والأدهان، تحقيق. حسام احمد مختار العبادي، الإسكندرية، مكتبة الإسكندرية، 2007.

المراجع:

14. محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1978.
15. محمد العابد الفاسي الفهري، الخزانة العلمية، الرباط، مطبعة الرسالة، 1960.
16. محمد العابد الفاسي الفهري، فهرس مخطوطات خزانة القرويين، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1979.
17. محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف سنن الترمذي، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 2000.
18. محمد عبد الحي الكتاني، ماضي القرويين ومستقبلها، بيروت، دار الكتب العلمية، 1971.

19. عبد الهادي التازي، جامع القرويين، المسجد والجامعة بمدينة فاس، موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، الرباط، دار نشر المعرفة، 2000،
20. مصطفى بنعلة، تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، من خلال حوالات تارودانت وفاس، 2007
21. محمد أبو زهرة، محاضرات في الوقف، دار الفكر العربي، 1971.
22. عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، 1960.
23. القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977.
24. رحلة ابن رشيد السبتي، تحقيق. أحمد حدّادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 2003.
- Fuat Sezgin، *Geschichte des arabischen Schrifttums*، Brill، Leiden، I، 1967.
- Mercedes García-Arenal، «La conjonction du soufisme et du charifisme au Maroc، le Mahdi comme sauveur»، *Revue du Monde Musulman et de La Méditerranée*، n° 55-56، 1990، Villes au Levant، p. 233-256.
- Luccioni J.، *Le habous ou waqf: rites malékite et hanéfite*، Casablanca، Vigie marocaine et Petit marocain، 1942.

الوراقة في سوس الخط والنساخت

مولود الحانفي

باحث سلك الدكتوراه

كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير

تمهيد

من المعلوم أن الثقافة العربية والإسلامية كانت منتشرة في سوس منذ عهود مبكرة، فإنه بعد دخول طلائع الفتح الإسلامي إلى المغرب أواسط القرن الأول الهجري، وبعد اعتناق الناس لهذا الدين الجديد، بدأت تعالمة تنتشر، وذلك باشتغال الناس بتعلم مبادئه بدءا بحفظ القرآن الكريم المنزل بلسان عربي مبين، وبعد تعلم الناس لغة القرآن، كان لا بد من الوصول إلى عصر التأليف مع العلماء والمدرسين؛ لتظهر بذلك صناعة النساخة التي يستوجبها التعلم من جهة، بالنسبة للعالم والمتعلم، وكذا التي يستوجبها القوت والكسب من جهة أخرى بالنسبة لمن اتخذها حرفة للكسب.

ولما كانت مدرسة أجلو من أولى المدارس المؤسسة بسوس أواسط القرن الخامس الهجري، فإن صناعة النسخ ستعرف تطورا في هذه الحقبة الزمنية بهذه المنطقة نظرا للحاجة الملحة إليها، وبهذا ستظهر فئة من النساخ الممتهنين لهذه الصناعة كحرفة، وكذا المتعطشين للعلم ومزيد الإطلاع من العلماء الذين كلفوا بنسخ الكتب، ومن الطلبة الذين شغفوا بالتعلم وتحصيل المدارك؛ ولهذا فإنه غير غريب أن نجد نساخا

كثيرون ينتمون إلى هذا الصقع النائي عن مهد الحضارة العربية، والذي لا يقل ثقافة وعلمًا من حيث مختلف الميادين العلمية عن كبريات حواضر المغرب في هذا المجال. كما أنه ليس من الغريب أن توجد وثائق ومستنسخات تعود إلى القرن الخامس والسادس بسوس، حيث انتشر التعليم كما سبقت الإشارة إلى ذلك في أزمنة مبكرة، وانتشرت الثقافة الإسلامية مع تعلم اللسان العربي نظرا لما بين الإثنين من الازدواجية والتلاحق والترابط المتين.

1- ظهور مصطلح النسخة:

معلوم أن النسخة هي من النسخ والاستنساخ، لكن المصطلح هكذا «نسخة» الدال على الحرفة، لم يرد مستعملا في المعاجم القديمة، ويذهب الدكتور أحمد شوقي بنين إلى أن ظهور هذا المصطلح كان في بداية القرن السابع الهجري عام 611هـ حيث جاء في نسخة من كتاب «المفضليات»، و«الأصمعيات» في تقييد فراغها: «وكان فراغ النسخة في يوم الخميس، التاسع عشر من شهر رمضان المعظم سنة إحدى عشر وستمائة»⁽¹⁾.

ثم ظهر هذا المصطلح بعد ذلك في مؤلفات القرن الثامن، ثم توالى استعماله بعد ذلك في القرون الموالية، ووصف بها أصحابها المعروفون بها في كتب التراجم. وعلى كل فعدم ورود مصطلح «النسخة» في كتب المعاجم القديمة، أو عدم استعماله ليس مشكلا، لأن المصطلح يجسد في ذاته حرفة وصناعة، فمعروف أن ما جاء على وزن «فَعَالَة» في العربية وضع للحرفة.

(1) مشكلة النسخة وأثرها في تحقيق كتب اللغة والآداب، عرض للدكتور أحمد شوقي بنين، مدير الخزانة الحسينية، ألقاه بدار الحديث الحسينية، في إطار دورة تكوينية قامت بها مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لفائدة طلبة الدكتوراه، بتنسيق مع المؤسسة المذكورة، في موضوع: تحقيق المخطوطات اللغوية والأدبية، من يوم 4 إلى 9 مارس 2019م.

لكن الذي يطرح إشكالا هو أن «النساجة» عندما أصبحت حرفة لكسب القوت، كثر التصحيف في كتب التراث، وملئت بالأخطاء الشنيعة، وجنى عليها من لا يرى في نسخها إلا لقيمات يقمن صلبه، حتى صار أمرها في بعض الحواضر إلى عوام الناس للأسف، ومن هنا طرحت قضية البحث عن النسخ الصحيحة، أو نسخة المؤلف، والمنقولة من نسخته، والتي نسخها عالم من العلماء، وتمت مداولتها من قبل العلماء ... إلخ. وهذا ما عانى منه أبو الحسن الرجراجي (ت: 631هـ) رحمه الله، عندما أراد شرح «المدونة» ولم يك شرح عليها بالمغرب آنذاك، إلا «التنبيهات» للقاضي عياض، فشكى من سوء نسخها المنتشرة، كما شكى من كونه لم يجد نسخة صحيحة للكتاب، وذلك في كتابه: «مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة».

قال الرجراجي -رحمه الله- متحدثا عن ذلك: «... ولم يصل إلى هذا المغرب الأقصى في هذا الزمان كتاب في شرح المدونة يَشْفِي الْعَلِيلَ عِلَّتُهُ، وَيُرْوِي الْغَلِيلَ غَلْتُهُ، إِلَّا «كتاب التنبيه»⁽¹⁾ لأبي الفضل عياض، غير أنه تناهت به أيدي الطلبة، وقعدوا عليه حتى لا يُقَدَّرَ فيه على النسخة الصحيحة؛ بل تسلطت عليه أقلام من لا يعرف كيف يمسكها، فمسخوه وهو يتوهمون أنهم نسخوه حتى لا يوجد منه شيء يعول عليه إلا من له فطنة ذكية، ورواية زكية، فبلعسر يظفر منه بالمقصود إذا أمعن النظر في المدونة مع توفيق يَعُضُّدُهُ»⁽²⁾. هذا في القرن السابع الهجري، فكيف ستكون الأحوال بعد القرون المتأخرة الأخرى؟!

(1) المراد به: «التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة والمختلطة»، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: 544هـ)، طبع بدار ابن حزم، بتحقيق الدكتور محمد الوثيق، والدكتور عبد المنعم حميتي.

(2) مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل (1/ 44).

2- انتشار النسخة بمراكز السوس الأقصى:

سأتحدث هنا عن بعض المراكز والبؤر التي كانت مهدا للعلم وانتشرت فيها النسخة بالسوس الأقصى، وأقصد به سوس الجنوبية وسأقصرها على أربع مناطق⁽¹⁾:

الأولى: مدرسة زاوية تيمكيدشت

أسسها العلامة أحمد بن محمد الميموني (ت: 1274هـ)، وهي من كبريات المدارس المشهورة في سوس، والتي تشد إليها الرحال للأخذ بها، وكانت تعج بطلبة العلم الأفاقين، وبهذا راجت بها حركة نسخ الكتب من طرف طلبتها، وقد كانت خزائنها من أعظم الخزائن العلمية التي يشار إليها بالبنان في سوس، وقد أصابها يد الدهر الخؤون، ومن الكتب التي استنسخت في هذا المركز وراجت بين طلبتها وكذا في سوس كتاب العربي المشرفي في التعريف بالزاوية وشيخها سيدي أحمد الميموني وابنه الحسن رحمهما الله، وهو الموسوم بـ: «نزهة الأبصار، لذوي المعرفة والاستبصار، تنفي عن المتكاسل الوسن، في ترجمة سيدي أحمد بن محمد وولده الحسن». وكذلك من الكتب المنتسخة هناك: «رسالة الأنوار»، لسيدي الحسن بن أحمد التيمكيدشتي، ونسخها كثيرة هناك⁽²⁾، ومن المنتسخات أيضا الكثيرة في هذا المركز تفسير القرآن لسيدي الحسن بن أحمد أيضا، إضافة إلى طبقات الحضيكي، ودلائل الخيرات للجزولي، وأيسر المسالك، للعربي بن إبراهيم الأدوزي ... وغيرها من الشروح للمتون التعليمية.

(1) اقتصر على هذه المناطق لأنها لم ترد عند الأستاذ الباحثة أحمد بوزيد في عرضه حول الوراقة بسوس،

بعنوان، من تاريخ الوراقة والوراقين بسوس.

(2) الأعلام (2/ 183).

الثاني: مدرسة زاوية تمنارت

هذه المدرسة العلمية الكبيرة التي طار صيتها في سوس، والتي اشتهرت بمؤسسها علامة جزولة الفد بلا منازع سيدي محمد بن إبراهيم الشيخ التمنارقي (ت: 971هـ)، هذا العالم الجليل فتح على طلبة العلم بهذه المدرسة أفاق التعلم، وقد كثرت كذلك بهذه المدرسة حركة النسخ، نظرا لكون المدرسة تعرف إقبالا كبير من الطلبة، وقد قيل أن الشيخ كان يقرئهم مقامات الحريري، والمعلقات السبع، بعد أن تجاوز الثمانين سنة⁽¹⁾، وفي هذه المدرسة كتب أدبية ولغوية فريدة ونادرة،⁽²⁾ ولا شك أن جزءا كبيرا منها من مستنسخات طلبتها.

الثالث: مركز أقا

هذا مركز مهم، ويعد من المراكز العلمية الكبرى بالسوس الأقصى، وفيه ازدهرت الحركة العلمية وبلغت أوجها في زمن مبكر جدا، وتاريخ مدينة تامدولت⁽³⁾ الموجودة هناك، والمؤسسة أوائل القرن الثالث الهجري يخبرنا عن المنطقة ومجدها العلمي، وإن كان لم يصل إلينا من أخبارها الكثير، ولكن ما ورد عنها من الدور الكبير الذي كانت تلعبه من الصلة بين الشمال والجنوب، وكذلك المساجد التي كانت بها والمذكورة في كتب البلدان، يخبر بلا شك أن المدينة كانت مزدهرة علميا وثقافيا، إضافة إلى ازدهارها اقتصاديا وتجاريا.

والموضع الأهم بهذا المركز الأقاوي هو الزاوية المباركية التي شهدت رواجا

(1) خلال جزولة (37 / 3).

(2) خلال جزولة (3 / 35-40).

(3) اندثرت مدينة تامدولت، وكانت نقطة وصل بين الشمال والجنوب وملتقى للمبادلات التجارية بين دول إفريقيا، والمغرب وكذلك أوروبا.

علميا، حيث كان بها سيدي محمد بن مبارك الأقاوي (ت: 924هـ)، وهو مؤسسها قام فيها بالتدريس مدة غير يسيرة فخرج تلاميذ كبار كانت لهم الريادة العلمية في سوس، ومنهم ابنه سيدي عبد الله بن محمد بن مبارك (ت: 971هـ)، سيدي أحمد بن موسى السملالي التازروالي (ت: 971هـ)، وسيدي امحمد بن إبراهيم الشيخ التمنارقي (971هـ)، وسيدي محمد بن يعقوب التاتلي، وسيدي داود بن عبد المنعم المناني الح يحي، وسيدي عبد الله بن داود الويداني، والشيخ يعزى ويهدى ... وغيرهم⁽¹⁾.

وممن مر هناك وشاهد الشيخ سيدي محمد بن مبارك الأقاوي، الحسن الوزان الشهير ب: ليون الإفريقي، حيث جلس في الزاوية وأضافه الشيخ ثلاثة أيام أثناء رحلته⁽²⁾، وممن مر هناك أيضا الشيخ العلامة أحمد بابا التمبكتي السوداني (ت: 1025هـ)، حين جاء به أحمد المنصور الذهبي أسيرا من تمبكتو، وذلك في عهد ابن حفيد مؤسس الزاوية وهو سيدي عبد الله بن مبارك الأقاوي (ت: 1015هـ).

وممن اشتهر بالنسخ في أقا العلامة الفقيه عبد الله بن عبد العزيز من بني الحاج الرحالي الأقاوي، وذلك أواخر القرن الثاني عشر إلى الثالث عشر، وقد وقفت على كتب كثيرة نسخها، منها شروح الرسالة القيروانية، وشروح المختصر وغيرها، ووصفه الأستاذ المختار السوسي بأنه كان كثير الاستساخ للكتب، حيث وقف كذلك عليها ورآها.

(1) لم تذكر كتب التراجم شيئا فيما يتعلق بتلاميذ هذا الشيخ، ولم يكونوا معروفين، وقد وقفت على وثيقة في مخطوط كتبها القاضي الهاشم بن عبد الرحمن الوناس (ت: 1317هـ)، ذكر فيها حوالي إحدى عشر من تلاميذ الشيخ رحمهم الله.

(2) وصف أفريقيا (1/ 145).

وممن كان ينسخ كذلك الكتب هناك العلامة محمد سيدات بن محمد الكنتي بن العربي بن يوسف الجكني الأقاوي، نزيل أقا حوالي سنة 1918م، نسخ جل مؤلفاته بيده، ومنها شرح له على ألفية من نظمه في الفقه في مجلد ضخمة، وشرح ألفية عقود الجمان في البلاغة للسيوطي، وشرح منظومة في علوم الحديث، وشرح متن في أصول الفقه الحنفي، ومختصر الحزب الأعظم ... وغيرها.

وكذلك ممن تداول النسخ في هذا المنطقة القاضي الفقيه الجليل سيدي بوبكر بن محمد الإيجيوازي ثم الأقاوي (ت: 1356هـ)⁽¹⁾، كان قاضيا في قسبة الأحرار بأقا، في إيالة القائد عمر الويراني، وهو فقيه متمكن في الفقه، وله أحكام تدل على سعة الاطلاع، كما له مؤلفات أخرى⁽²⁾، ونجد نصا في المعسول ضمن رسالة أرسلها إلى شيخه الحسين ببس الأخصاصي يطلب فيها منه أن يرسل له نسخة من أجوبة الإمام العباسي قصد نسخها وإرجاعها إليه، ونصه: «... ثم طلبي من سيدي أن يعير لي أجوبة العباسي لأنسخها، ثم ترجع إليكم في موسم الصيف إن شاء الله»⁽³⁾.

قال عنه الأستاذ المختار السوسي: «... وخزائنه التي منها منسوخات كثيرة بيده هي الآن تحت زوجته»⁽⁴⁾.

ثم ممن تداول النساخة أيضا بهذه المنطقة علماء آل الوناس، حيث نجد خزائنتهم مليئة بمستنسخاتهم في مختلف الفنون العلمية اللغوية والشرعية.

(1) ترجمته في المعسول (9/ 130-137).

(2) له رسالة كتبها يؤيد فيها ما ذهب إليه السلطان مولاي عبد الحفيظ حين ثار على أخيه مولاي عبد العزيز، من أنه عاجز مفرط. وله قصيدة في التصوف وشرحها. ينظر خلال جزولة (3/ 55).

(3) المعسول (9/ 135).

(4) خلال جزولة (3/ 55).

الرابع: مركز الوديان (إسافن) وإداومرتيني

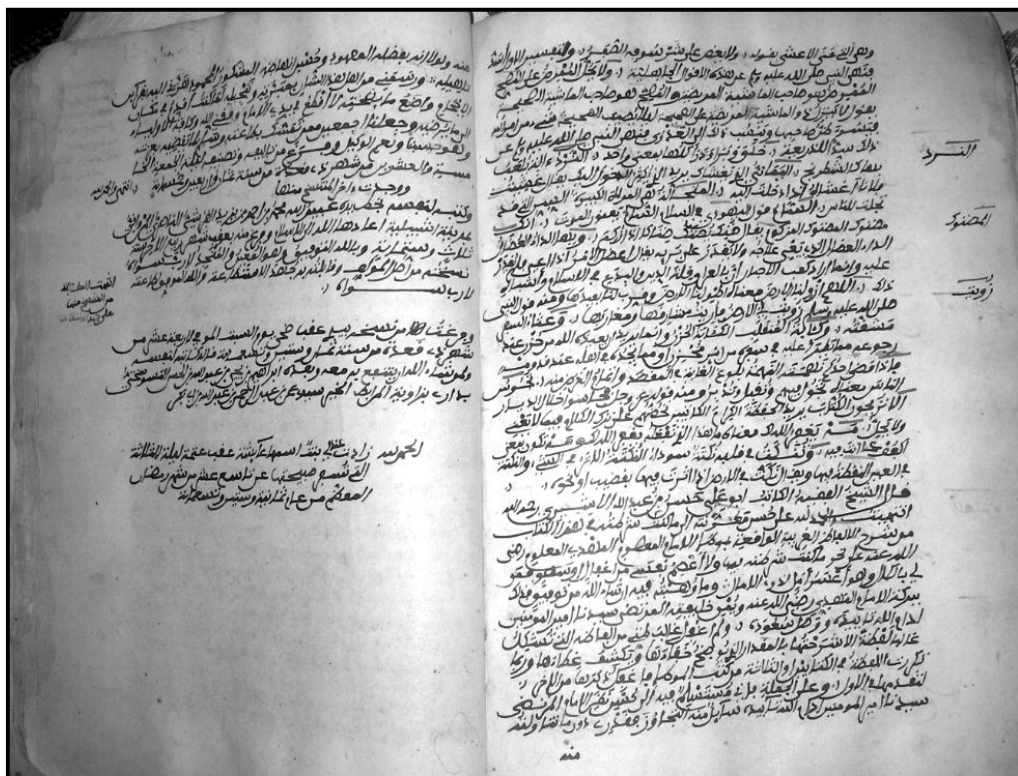
تعرف هذه المنطقة أيضا ازدهارا علميا، ورقيا حضاريا كبيرا، فإن بين هذه الجبال العشرات من العلماء إن لم يفق عددهم المئات ففي تشكجي، وإداوتينست، وإداومرتيني، وطيكي إداوبلول، وأوجو، وتيمقيت وغيرها من القرى إلى إداوكنسوس وتازلاغت ذكر في الوثائق لعدد لا يستهان به من العلماء المفتين، والقضاة المحكمين، والعدول والكتبة الموثقين. كما أن الثقافة الإسلامية والعربية سبقت إلى هذه المناطق مبكرا جدا، وقد وقفت على وثيقة كتبت في هذه الناحية تحدد حدود تسوسخت وإداومرتيني إلى طاطا كتبت أواسط القرن السادس الهجري، وهذا يدل دلالة واضحة وقوية على أن الكتابة والنساخته ازدهرت مبكرا في هذه المنطقة، كما أن المنطقة تزخر بأسر علمية مغمورة، وبكم من الخزانات العلمية البكرة لم تصل إليها أيدي الباحثين، ولم تعط حظها من البحث والتنقيب والتعريف، وممن زاول النساخته هناك: إبراهيم بن يحيى بن عبد الله بن الحسن التسوسختي، وهو من أهل القرن العاشر، جاء في نهاية نسخة لغريب الموطأ قام المذكور بنسختها: «... وفرغت من نسخه بيدي عقب ضحى يوم السبت الموفي لأربعة عشر من شهر ذي قعدة من سنة ثمان وستين وتسعمائة، قاله كاتبه لنفسه، ولمن شاء الله أن ينتفع به معه وبعده، إبراهيم بن يحيى بن عبد الله بن الحسن التسوسختي، بداري بزاوية المرابط الخير سيدي عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي بكر.

هذا ما يمكن الحديث عنه في هذه العجالة من المراكز العلمية التي انتشرت فيها حركة النساخته بسوس الأقصى، وهناك مراكز أخرى غيرها كثيرة.

3- نماذج من الخطوط السوسية

قبل إيراد نماذج للخطوط السوسية، لابد من تقرير أن الخط المغربي بشكل عام خط متميز عن غيره من الخطوط، فإن المغاربة عرفوا بجودة الخطوط مع تنوعها، وكان الخط المغربي دائما مباينا للخط المشرقي العربي وكذلك الخط العجمي، فقد نقل صاحب كتاب: «الدرر المرصعة في أخبار أعيان درعة» محمد المكي بن موسى الناصري الدرعي عن أبي بكر الدلائي أنه قال: «قال لي المشاركة خطنا نحن معشر المشاركة خط العرب، وأما خطكم يا معشر المغاربة، فمفارق للخطين العجمي والعربي»⁽¹⁾. وفيما يلي نماذج للخطوط السوسية من خلال مخطوطات ووثائق:

(1) الدرر المرصعة في أخبار أعيان درعة (2/ 460).



غريب الموطأ بخط سوسي قريب من الخط المجوهر نسخت النسخة سنة 968هـ

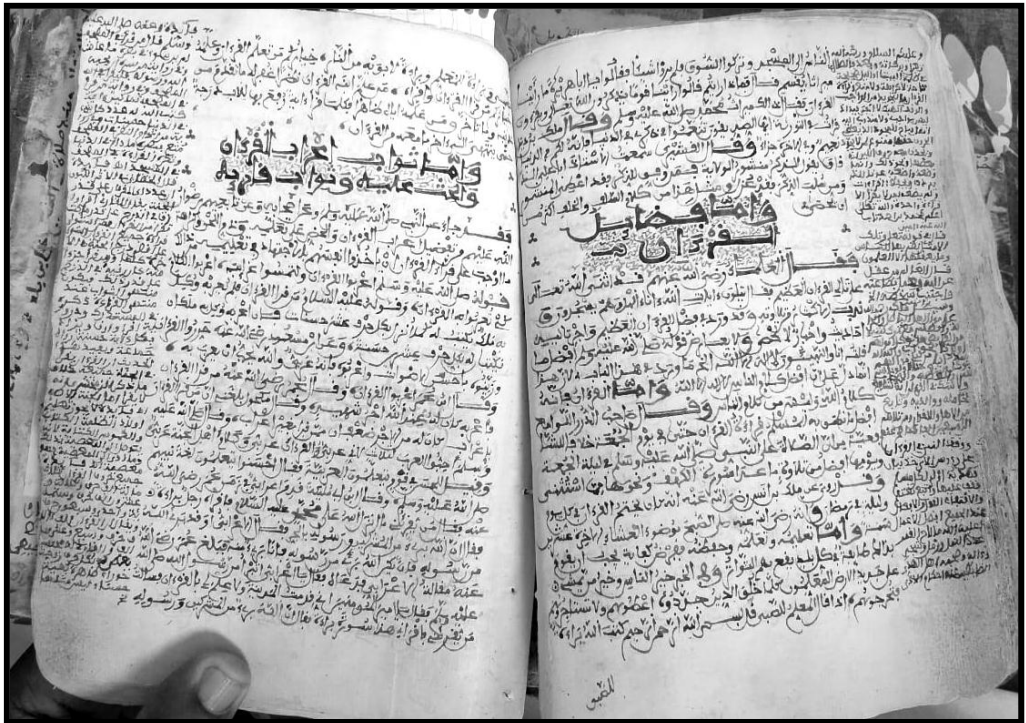
الجزء الثالث من مختصر فتاوى الشيخ
 بكشف أسرار المختصر
 في السراج الموقد والشمس
 المسددة والشمس الموقد
 الذي لا ينفد في موارد الملوك
 الفلح البصير والتعريف الموفق النقيب

لقد رأيت في
 قول الله تعالى وانما افطنا
 في تفسيره ان الله جل جلاله
 لا يغير ما عاهد الا اذ احسن
 او المصالح تتجمل بالانفس
 في شرحه ان الله جل جلاله
 انما يغير ما عاهد الا اذ احسن
 في شرحه ان الله جل جلاله
 انما يغير ما عاهد الا اذ احسن
 في شرحه ان الله جل جلاله
 انما يغير ما عاهد الا اذ احسن

وحيثما علم الله شيئا من العباد وعلم الله بغيره انما الزنوب
 بالله ان لم يكن عينا ما كانت بعد البغى الى غير ما
 باقر الذي هو ما في الكتب وقال الله يجعل دار الخلق
 ويملك الله بها جنة الفنا في غير الجحيم الباطل فاء الله بغيره المكاره
 وفردت من الثابتة واشتقت نفسي بداري نوح طلقا
 باري ههنا اباشادة كلنا باعونه اديا لها منغل فاء



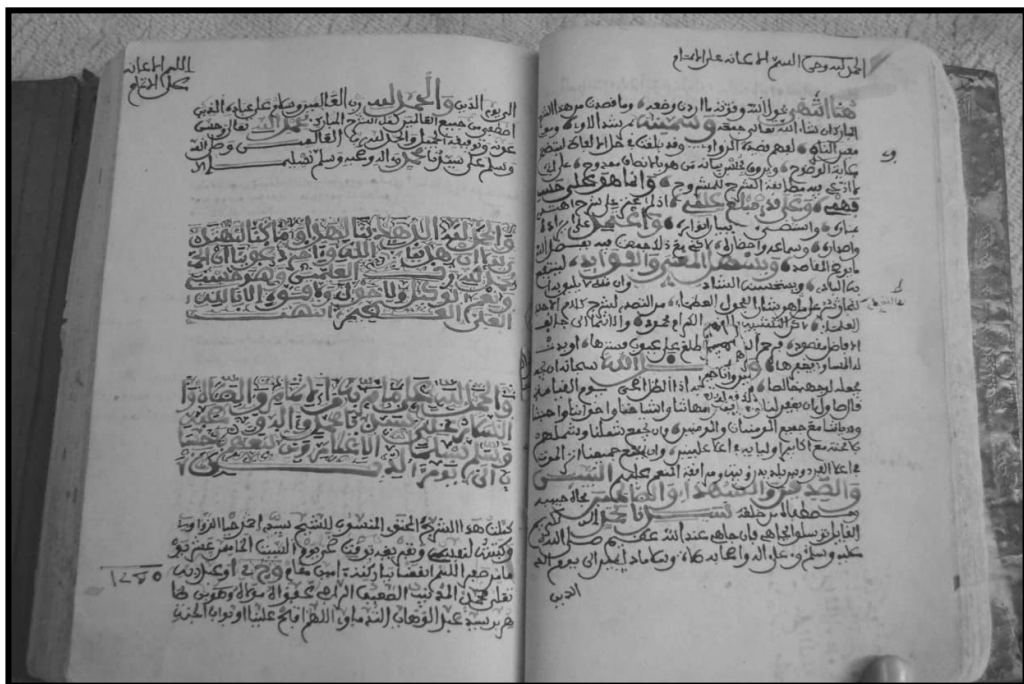
خط سوسي عادي



خط سوسي مبسوط جميل



خط القاضي عبد الرحمن الوناس الأقاوي في الطرة
وهو مائل إلى الخط المغربي المبسوط، وشبيه بالخط المشرقي



الخط السوسي المجوهر

قائمة بأسماء النساخ السوسيين

1. إبراهيم بن سعيد بن أبي القاسم السملالي.
2. إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن بركة بن إبراهيم التفنوتي، من منسوخاته: «الدر المنظم في مولد النبي المعظم»، سنة 1067هـ.
3. إبراهيم بن علي بن أحمد السندالي، من منسوخاته: «التيان في إعراب القرآن»، سنة 1223هـ.
4. إبراهيم بن محمد التملي التسكدلتي، من منسوخاته: «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى»، سنة 1211هـ.
5. إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السكتاني، من منسوخاته: «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى»، سنة 1314هـ.
6. إبراهيم بن محمد بن محمد السملالي العباسي، من منسوخاته: «شفاء الأسقام، في صفة النبي وأصحابه الخلفاء الكرام».
7. إبراهيم بن مسعود الرسموكي، من منسوخاته: «قصة مولد النبي صلى الله عليه وسلم»، سنة 1014هـ.
8. إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم السوسي، من منسوخاته: «شرح العقيدة الصغرى»، لأبي عبد الله الحفصي المراكشي عام 1258هـ.
9. أحمد الأخصاصي، من منسوخاته: «أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل»، سنة 1074هـ.
10. أحمد بن إبراهيم التملي، من منسوخاته: «الشمائل النبوية»، سنة 1254هـ.
11. أحمد بن إبراهيم الرسموكي.

12. أحمد بن إبراهيم الكنسوسي الإيجاسي، من منسوخاته: «رفع النقاب عن تنقيح الشهاب»، للشيشاوي سنة 1144هـ.
13. أحمد بن الحسن بن محمد المنضيفي السوسي، من منسوخاته: «الجواب عن مسألة فضل قراءة القرآن سنة 1214هـ».
14. أحمد بن الحسين السوسي الجرسيفي، من منسوخاته كتاب: «اللباب في مشكلة الكتاب سنة 1206هـ».
15. أحمد بن مبارك بن يعزى الرسموكي.
16. أحمد بن محمد التاملي.
17. أحمد بن محمد التناي الزرعي.
18. أحمد بن محمد بن عبد الله النكرتي، من منسوخاته تفسير: «الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز»، فرغ منه سنة 1198هـ.
19. أحمد بن محمد بن محمد بن سعيد السوسي التهالي، من منسوخاته: «تنقيح الفصول في علم الأصول سنة 1190هـ». ومن منسوخاته أيضا: «حاشية على شرح المحلي علي جمع الجوامع».
20. خالد بن الحاج إبراهيم بن محمد الرسموكي.
21. داود بن عثمان بن محمد السملالي، من منسوخاته: «الإتقان في علوم القرآن»، سنة 1074هـ.
22. داود بن محمد الهشتوكي.
23. سعيد بن إبراهيم بن محمد الكنسوسي

24. سعيد بن أحمد بن عبد الملك السوسي الفلالي، من منسوخاته: «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى»، سنة 1113هـ.
25. سعيد بن داود بن محمد الأوزالي، من منسوخاته: «التورية بسور القرآن العزيز في مدح النبي الكريم»، سنة 978هـ. و: «التيسير العجيب، في تفسير الغريب»، سنة 978هـ. و: «مفتاح الباب المقفل، في فهم القرآن المنزل»، سنة 977هـ.
26. سعيد بن محمد الترودي السوسي.
27. سعيد بن يعزى بن إبراهيم بن داود بن محمد بن علي الجزولي الإيسي الكر ضملاني⁽¹⁾.
28. عائشة بنت مبارك بن محمد بن الحسين الشلح التكي الغشي الحسنوي، من منسوخاتها شرح: «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات»، فرغت منه سنة 1237هـ، ونسختين من: «مدارك التنزيل وحقائق التأويل»، لأبي البركات النسفي، فرغت من إحداهما سنة 1244هـ، ومن الأخرى سنة 1245هـ.
29. عبد الرحمن بن محمد التمنارقي أبو زيد، من منسوخاته: «تحرير اختصار كتاب الإتيقان، وتحرير قواعد علوم القرآن».
30. عبد السلام بن أحمد الملقب الملولي، نسبة إلى أكال ملولن، من منسوخاته كتاب: «اللباب في مشكلات الكتاب»، سنة 1058هـ.
31. عبد السلام بن الطيب بن يونس الحسنني الساحلي، من منسوخاته: «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل» للومخشري، سنة 1097هـ.
32. عبد القادر بن عبد السلام أجموح السكراتي، من منسوخاته: «مغاني الوفاء، بمعني الاكتفاء» سنة 1265هـ.

(1) نسبة إلى قرية أكرض إيمالان، في طريق تيمكدشت وإيسي، بضواحي تافراوت.

33. عبد الله بن أحمد بن محمد الشيخ السوسي، من منسوخاته: «الشمائل النبوية»، سنة 1165هـ.

34. عبد الله بن عبد العزيز من بني الحاج الرحالي الأفاوي، كان مشارطاً بمسجد قرية إرحالن، في أواخر القرن الثاني عشر إلى القرن الثالث عشر، وكان كثير النسخ للكتب، وقد وقفت على منسوخاته هناك، ومنها الشرح الكبير على مختصر خليل وغيره، قال الأستاذ السوسي: «ومن علماء قرية إرحالن عبد الله بن عيد العزيز من بني الحاج، عالم حسن محصل، يعتني بالنساخة، فقد رأيت هناك منسوخات كثيرة بيده، وخطه وسط...»⁽¹⁾.

35. عبد الله بن عمر بن إبراهيم السموكني، من منسوخاته: «رفع النقاب عن تنقيح الشهاب».

36. العربي بن إبراهيم الصوابي، نسخ طبقات الحضيكي.

37. علي بن إبراهيم بن محمد السملالي العباسي، من منسوخاته: «البهجة في شرح التحفة»، لأبي الحسن التسولي.

38. علي بن أبي القاسم الهلالي السوسي، من منسوخاته حاشية على شرح المحلي على ورقات إمام الحرمين سنة 1088هـ.

39. علي بن الحبيب السكراتي (ت: 1375هـ/ 1955)، صاحب تحلية التروس، نسخة منه بخطه في خزانة الأستاذ المختار السوسي، ونسخ طبقات الحضيكي وغيرها.

40. علي بن داود الجزولي.

41. محمد العربي بن الحسن بن أحمد الإسحاق، من منسوخاته تفسير الجلالين سنة 1054هـ، وتفسير سورة الفاتحة في السنة نفسها.

(1) خلال جزولة (61/3).

42. محمد الملقب بالقرشي بن عبد الملك بن الحاج الهلالي، من منسوخاته: «معالم التنزيل»، سنة 1221هـ.

43. محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود بن عبد العزيز بن موسى بن بوبكر السملالي، من منسوخاته: «العقد المنظم للحكام»، المعروف بوثائق ابن سلمون، بتاريخ 12 ربيع الثاني 1064هـ.

44. محمد بن أحمد الإكراري، صاحب «روضة الأفنان»، نسخ عدة كتب منها كتابه الروضة، وطبقات الحضيكي.

45. محمد بن أحمد السكتاني.

46. محمد بن أحمد السوسي الجزولي الطاطائي، من منسوخاته: «الفتح الفياض، في شرح شفاء القاضي عياض»، سنة 1273هـ.

47. محمد بن أحمد بن محمد المرجي السوسي، من منسوخاته: «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى».

48. محمد بن أحمد بن محمد بن داود أعلي.

49. محمد بن أحمد بن يعزى بن ياسين الوسلامي، من منسوخاته: «نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن الكريم» سنة 1205هـ.

50. محمد بن الحسن بن سليمان الجزولي الغشاني، من منسوخاته: «الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة» سنة 994هـ.

51. محمد بن الطاهر بن سيدي عبد الوهاب التدماري، من منسوخاته: «المرشد الآوي، ومعين الناوي، لفهم قصيدة الزواوي» للعباسي البعقلي.

52. محمد بن بلقاسم التيسوتي (ت: 1289هـ)⁽¹⁾، كانت له همة كبير في نسخ الكتب، حيث قام بنسخ: «البهجة» للسيوطي وأتمها بعد العصر السبت الثاني من شعبان 1268هـ، والتاودي علي «الزقاقية» في الإثنين الثاني عشر من رمضان 1268هـ، و: «الأجوبة الروضية، عل مسائل مرضية، في المبيع بالثيا والوصية»، و: «المقنع»، و: «شرح الزواوي»، و: «الفقهيات»، للجشتيمي، والتاودي على «التحفة»، و: «متن الزواوي»، و: «كنز العربية في شرح الأجرومية» للصنهاجي، وبعض شرح «السلم»، والدردير على «المختصر»، والأزهري على «الأجرومية»، وابن كيران، على ابن عاشر، وأبو الحسن على «الرسالة»، هذه كلها نسخها بيده وربما نسخ غيرها⁽²⁾.

53. محمد بن بلقاسم بن أحمد السملالي، من منسوخاته: «رفع النقاب عن تنقيح الشهاب».

54. محمد بن سعيد بن الحسن العطاري الهشتوكي، من منسوخاته: «نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض»، سنة 1130هـ.

55. محمد بن سعيد بن علي التاسكدلتي، من منسوخاته: «شرح ابن النقاش على العقيدة المرشدة» لابن تومرت.

56. محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله البكري الجزولي، من منسوخاته: «شرح الشفاء بتعريف حقوق المصطفى»، سنة 1289هـ.

57. محمد بن عبد الله بن أحمد بن سعيد بن يبورك الهلالي.

58. محمد بن عبد الله بن محمد الإنذالي.

59. محمد بن علي الهلالي، من منسوخاته: «معالم التنزيل» سنة 1211هـ.

(1) ترجمته في المعسول (1/ 148-153).

(2) المعسول (1/ 149).

60. محمد بن علي بن ابراهيم التاسكدلتي، من منسوخاته: «التنوير» لابن عطاء الله السكندري.

61. محمد بن محمد الصغير الإفرائي، من منسوخاته: «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير»، سنة 1109هـ.

62. محمد بن محمد بن أحمد الدرعي، من منسوخاته: «شرح التلخيص» للسعد التفتزاني في البلاغة، نسخه لإبراهيم بن علي المرتيني.

63. محمد بن محمد بن الحسن السوسي السملالي.

64. محمد بن يعزى بن أحمد الصوابي، من منسوخاته: «شرح نفحات الأزهار، ولمحات الأنوار، في بعض آيات النبي المختار»، سنة 1213هـ.

65. مخلوف بن عبد الله بن أحمد من فخذ بني ولك، من أعلا «تودما»، نسخ جمل فضل الله الخوانجي في المنطق، وخطه مغربي جميل يميل إلى المجوهر.

66. يوسف بن يعزى بن داود بن يونس الرسموكي، من منسوخاته: «الجواهر الحسان، في تفسير القرآن» سنة 1232هـ.



قائمة المصادر والمراجع

1. «الأعلام» (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة العاشرة 1992م.
2. التنبيهات المستنبطة، على الكتب المدونة والمختلطة، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: 544هـ)، طبع بدار ابن حزم، بتحقيق الدكتور محمد الوثيق، والدكتور عبد المنعم حميتي.
3. خلال جزولة، لمحمد المختار السوسي (ت: 1383هـ)، طبع بتطوان، المغرب.
4. الدرر المرصعة في أخبار أعيان درعة، لمحمد المكي بن موسى الناصري (ت: 1150هـ)، تحقيق: محمد الحبيب النوحى، مطبعة النجاح الجديدة، سنة 2014م.
5. فهارس الخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط، (المنطق، آداب البحث، الموسيقى، نظم الدولة، الفنون الحربية، جوامع العلوم)، تصنيف: محمد العربي الخطابي، الرباط 1405هـ / 1985م.
6. فهارس الخزانة الحسنية، فهرس مخطوطات النحو والصرف، إنجاز: خالد زهري، ومصطفى طوبي، إشراف ومراجعة وتقديم: أحمد شوقي بنين، الناشر: الخزانة الحسنية بالرباط، طبعة المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش، الطبعة الأولى: 1424هـ / 2003م.
7. فهارس الخزانة الملكية (الطب والصيدلة، البيطرة، والحيوان، والنبات)، تصنيف محمد العربي الخطابي، الرباط 1402هـ / 1982م،

8. فهرس الكتب المخطوطة في الحكمة والمنطق، وآدب البحث والمناظرة والوضع، تأليف: خالد زهري، وعبد المجيد بوكاري، منشورات الخزانة الحسنية بالرباط، مراجعة وتقديم: أحمد شوقي بنين، الطبعة الأولى 1432هـ/ 2011م، طبع دار أبي رقرق للطباعة والنشر.
9. فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسنية، إنجاز محمد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدر، مراجعة وتقديم: أحمد شوقي بنين، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط. الطبعة الأولى 1431هـ/ 2010م.
10. فهرس الكتب المخطوطة في علم أصول الفقه المحفوظة في الخزانة الحسنية، منشورات الخزانة الحسنية الرباط، مراجعة وتقديم: أحمد شوقي بنين، تأليف: خالد زهري، عبد المجيد بوكاري، الطبعة الأولى: 1436هـ/ 2014م، طباعة ونشر دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط.
11. فهرس الكتب المخطوطة في علوم القرآن والتفسير المحفوظة بالخزانة الحسنية، إنجاز: محمد سعيد حنشي، وعبد العالي لمدر، إشراف ومراجعة: أحمد شوقي بنين، الطبعة الأولى 2017م، طبعة دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط.
12. فهرس مخطوطات التصوف، منشورات الخزانة الحسنية، القصر الملكي الرباط، مراجعة وتقديم: أحمد شوقي بنين، المطبعة والوراقة الوطنية الداوديات مراكش، الطبعة الأولى 2010م.
13. مشكلة النساخة وأثرها في تحقيق كتب اللغة والآداب، عرض للدكتور أحمد شوقي بنين، مدير الخزانة الملكية، ألقاه بدار الحديث الحسنية، في إطار دورة تكوينية قامت بها مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لفائدة طلبة الدكتوراه، بتنسيق مع

المؤسسة المذكورة، في موضوع: تحقيق المخطوطات اللغوية والأدبية، من يوم 4 إلى 9 مارس 2019م.

14. المعسول، لمحمد المختار السوسي (1383هـ)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1962م.

15. مناهج التحصيل ونتائج لطائف التأويل، لأبي الحسن علي الرجرجي (ت: 631هـ)، تحقيق: أبو الفضل أحمد بن علي الدميّطي، طبعة دار ابن حزم.

16. وثائق مخطوطة بالخزانة الوناسية.

17. وصف إفريقية، تأليف الحسن بن محمد الوزان، تحقيق: محمد حجي، طبعة دار الغرب الإسلامي.